ISSN 0970-3713

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية ، جامعة، فصلية

المجلد ٥٦، العدد ١

٢٠٠٥

مدير التحرير التنفيذي

د. رضوان الرحمن



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

نيو دلهي

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و ضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية " ثقافة الهند" و في الإنكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و في الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" و في الأسبانية "Papeles de la India" و في الهندية "Gagananchal" و كلها يصدر أربع مرات في السنة.

والمراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر توجه إلى:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس:

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١٠٠ روبية	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

نشرها و طبعها السيد بوان كي ورما المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية ـ آزاد بهوان، نيودلهي، الهند.

طبعت في مطبعة شيبرا ، دلهي- ١١٠٠٩٢

ثقافة الهند

المجلد ٥٦ ، العدد ١، ٢٠٠٥ م

في هذا العدد

كلمة التحرير

يصل اليكم هذا العدد لـ"ثقافة الهند" وفي طياته مقالات متنوعة على مختلف جوانب الثقافة الهندية و مساهماتها في الدراسات العربية و الاسلامية و كذلك يتضمن هذا العدد مقالات تتحدث عن بعض الشخصيات الكبرى الذين ساهموا في علم الحديث و الفقه و اللغة العربية و آدابها.

الدكتورجلال السعيد الحفناوي في مقالته " رحلة إبن بطوطة: دراسة حضارية " يلقي الأضواء على مختلف جوانب الحضارة الهندية التي ذكرها إبن بطوطة في رحلته. و يناقش فيها الكاتب أوضاع المجتمع الهندي آنذاك و يوجز عادات السكان الهنود و تقاليدهم الاجتماعية و الدينية و أنواع الطمام و التقاليد الزيجية التي قد ورت في هذه الرحلة. هى دراسة منقحة و مطولة للدكتور الحفناوي تُبرز كل جوانب هذه الرحلة الشهيرة.

ومقالة الدكتور أيوب تاج الدين الندوي تسلط الأضواء على تطور الصحافة المقروءة في القرن العشرين. بدأ الدكتور مقالته بمدخل جميل ذكر فيه بداية الصحافة في الهند و من هنا تدرج الى تطورها في القرن العشرين فذكر فيها الصحافة الفارسية و العربية

و الإنجليزية و الأردوية و جال جولة مقبولة في أرض الصحافة المعاصرة في الهند و تناول بشيء من التفصيل دورها في المجتمع الهندي.

و تتبعها مقالة عن تطور اللغة العربية و آدابها في ولاية بيهار للدكتور محمد مجيب الرحمن. إن هذه المقالة الفاضلة دراسة شاملة عن ورود علماء اللغة العربية في ولاية بيهار و خدماتهم الجليلة في هذا المجال. كما أن الدكتور تناول بالتفصيل ما فعله المتأخرون متبعين خطى آبائهم و أسلافهم الكبار فأثروا مؤلفات مهمة و رسائل قيمة لعبت دورا رياديا في تطور هذه اللغة في ولاية بيهار خاصة و في الهند و البلاد المجاورة عامة.

و تاتي وراءها مقالة بعنوان مشابه لأورنغ زيب الأعظمي. ذكر فيها الأعظمي تطور اللغة العربية و آدابها في مدينة أعظم كره، مدينة يطير صيتها في مختلف المجالات العلمية لا سيما الدراسات الإسلامية. هذه المقالة من سلسة المقالات التي كتبها الأعظمي مبرزا مساهمة أعظم كره في العلم و المعرفة. ممن ذكر آثارهم من العلماء الشيخ محمد فاروق الشرياكوتي و الشيخ صبغة الله الأعظمي و العلامة شبلي النعماني و الإمام عبد الحميد الفراهي. كلهم مشهورون في الهند و خارجها لأعمالهم البارزة.

و الأستاذ فيض الحسن السهارنبوري شخصية تلمذ عليه مشايخ كبار و علماء أفاضل و رجال السياسة و الدين و الإصلاح

فالسير سيد أحمد خان و العلامة شبلي النعماني و الإمام عبد الحميد الفراهي و العلامة الناقد ألطاف حسين حالي كلهم وردوا هذا المورد و سكنوا غليلهم من هذا المنهل. و هو نفسه كان علامة معترفا به لدى العلماء في معرفة اللغة العربية و آدابها. أعمالهم القيمة خير مثال لمجهودات العلماء غير العرب في سبيل تطوير الدراسات العربية و الإسلامية خارج ديارها.

و السيدة فاطمة الزهراء تلقي الأضواء الكاملة على شخصية علمية فذة في معرفة علوم الحديث و الفقه و تحقيق المخطوطات في هذين المجالين فقد إعترف به العرب و أثنوا عليه في هذا المجال. من أبرز أعماله "مصنف عبد الرزاق" الذي خلد إسمه على صفحات تاريخ علوم الحديث.

و الهند ،كما نعرف، مهد الديانات و الثقافات المختلفة و يتوطنها المسلمون كما يسكنها الهندوس و اليهود و النصارى و لكل منهم أعياد و مهرجانات يحتفل بها الهنود بكل رغبة و نشاط بدون التمييز العرقي. و ديباولي من هذه الأعياد التي تنتمي الى الهندوس و لكن يحتفل به الهنود كافة فهو عيد الأنوار و السُرُج، عيد تتنور به الهند كلها.

ولاية بنغال الغربية منطقة تتميز بالاهتمام الشديد بالنشاطات الثقافية. و في هذه الولاية برز رابيندرا نات طاغور الفائز بجائزة

نوبيل للأدب و كذلك وُلد فيها شخصية أخرى فائزة بجائزة نوبيل لعلم الإقتصاد، أمارتياسين. و علاوة على شغف البنغاليين في العلم و المعرفة لهم إهتمام خاص بالأعياد و الاحتفالات الدينية و الثقافية. فمقالة سعيد الرحمن تناقش هذا الاهتمام لسكان ولاية بنغال الغربية بالاحتفالات الهندوسية التي يتم الاحتفال بها في مختلف المواسم.

نأمل أن المقالات الأخرى لهذا العدد أيضا تعجبكم و تفيدكم و نرجو الحصول على تعليقاتكم البناءة لتحسين مستوى هذه المجلة.

و شكرا

د. رضوان الرحمن*

* أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والأفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي.

الهند في رحلة إبن بطوطة: دراسة حضارية

- د. جلال السعيد الحفناوي*

احتلت الهند مساحة كبيرة من الاهتمام في رحلة إبن بطوطة كماً وكيفاً حيث شغلت مجلداً كاملاً من مجلدات الرحلة الأربع، وبذلك تعد مصدراً تاريخيا مهما من المصادر العربية القليلة لتاريخ الهند في العصور الوسطى. بل إن حديث إبن بطوطة عن الهند الإسلامية في عهد آل تغلق يعتبر وثيقة تاريخية لأنه يكاد يكون العربى الوحيد الذي كتب عنها، و بقية معلوماتنا عن تاريخ الهند الإسلامية وخاصة أيام الخلجيين ومن جاء بعدهم من آل تغلق فمصدره مراجع فارسية وهندية وإنجليزية.

كما أن لرحلة إبن بطوطة أهمية كبيرة في دراسة التاريخ اللغوى للهند من خلال الكلمات الهندوستانية(الأردية)التي وردت بها

---

* أستاذ مشارك، جامعة القاهرة،مصر

والرحلة كذلك شاهدة على التطور اللغوى الذي مرت به اللغة الأردية.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة رحلة إبن بطوطة للهند دراسة حضارية ولغوية، وسوف يتتبع البحث مراحل رحلة إبن بطوطة في الهند منذأن دخلها إبن بطوطة من الشمال قادما من أفغانستان وعبوره لنهر السند ثم منطقة البنجاب "بنج آب" باكستان الحالية في أول محرم سنة ٧٣٤ هـ/١٢ سبتمبر ١٣٣٣م ثم دخوله مدينة جناني ومنها إلى سيوستان ثم ملتان ومنها إلى أبوهر ثم اجودهن ثم دهلى التي طال حديثه عنها ووصفها وصفا دقيقا منذ فتحها وماتعاقب عليها من ملوك وتحدث بالتفصيل عن الأسر الحاكمة التي حكمتها وأطال الحديث عن دولة آل تغلق التي حكمت في أيامه ومؤسسها غياث الدين تغلق، وكان الملك محمد تغلق (٧٢٥-٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥١م) يحكم الهند عندما د خلها إبن بطوطة، وقد مكث إبن بطوطة فيها ثمان سنوات وأكرم السلطان محمد تغلق وفادته وعينه قاضى قضاة دهلى، وقد تزوج إبن بطوطة وأنجب في الهند وتملك القرى والضياع ثم أرسله السلطان محمد تغلق في سفارة له إلى ملك الصين.

ويركز البحث في الرحلة على الجزء الشمالى من الهند الذي اصطلح عليه "بالهند الإسلامية" وشهد حكم المسلمين وازدهار الحضارة الإسلامية، ومن ثم نشأة اللغة الأردية التي جاءت مع

الجيش الإسلامى الذي فتح الهند. ويهدف سرد الأحداث التاريخية إلى بيان السياق اللغوى للكلمات الهند وستانية(الأردية) وتأصيلها حيث كان إبن بطوطة يذكر معناها أحيانا، ولا يذكر المعنى أحيانا أخرى حتى باتت تلك الكلمات على كثرتها تمثل عائقا كبيرا في سبيل فهم رحلة إبن بطوطة في الهند. وتزداد هذه الصعوبة في الرحلة إلى الهند حيث زارها إبن بطوطة ويذكر أسماء المواضع كما كانت تعرف في أيامه، وقد تغير معظم هذه الأسماء اليوم ودثرت قرى ومدن كثيرة، والتعرف عليها يحتاج إلى بحث وتحقيق في اللغات الهندية والفارسية والأردية التي لم يكن إبن بطوطة متقنا لها، ثم أنه كان يرسم الأسماء كما كان يسمعها، ولم يكن هذا السماع دائما صحيحا فيتطلب الأمر من الباحث الاهتداء إلى الرسم والنطق الصحيح لهذه الكلمات وهو أمر عسير جداً لأن الأردية كانت لغة وليدة ولم يكتمل معجمها اللغوى بعد، وكانت تسمى باللغة الهندوستانية، وقد مرت هذه اللغة بتطورات عديدة في تلك القرون بحيث باتت تختلف اختلافا كليا عن اللغة الأردية المتداولة الآن.

كما أن التصدى لهذا البحث يتطلب من الباحث معرفة اللغتين الفارسية والأردية لأن الفارسية كانت لغة البلاط والحكام والثقافة والأدب ولغة الخواص في ذلك الوقت بينما كانت اللغة الأردية لغة العوام.

ومما دفعنى للكتابة في هذا الموضوع هو عدم تناوله من قبل أحد من الباحثين، ولم يتعرض كذلك باحث للكلمات الأردية التي

وردت في الرحلة بالدراسة والتأصيل، كما لم يتصد لذلك من قام بترجمة الرحلة إلى الأردية. وعلى الرغم من الاهتمام الذي نالته الرحلة من قبل الباحثين العرب والمستشرقين من خلال الطبعات التي صدرت لها، والدراسة والترجمة إلى لغات شرقية وغربية عديدة نجد أن الدراسة اللغوية للرحلة خاصة لم تنل حظا وافرا من البحث فظهرت بحوث قليلة ومتفرقة حول هذا الجانب يعوزها التنسيق فيما بينها وتناولت جوانب من الرحلة فقط منها على سبيل المثال:

١ـ الملاحظات اللغوية التي ذكرها الدكتور عبد الهادى التازى عرضا في هامش الصفحات عند تحقيقه للرحلة ومما يؤخذ عليها أنها كانت ملاحظات عابرة لم تصل إلى الدراسة والتأصيل، وقد صدر تحقيقه في خمسة مجلدات. الرباط. ١٩٩٧م [١]

٢ـ عادل خلف: الملاحظات اللغوية لإبن بطوطة: معجم ألفاظ إبن بطوطة غير العربية. مكتبة الآداب. القاهرة. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. وان كان اهتمامه لم ينصب على الكلمات الأردية.

٣ـ الترجمات الأردية لرحلة إبن بطوطة ولم تتعرض لتأصيل الكلمات الأردية الواردة في النص.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على كتب التاريخ والجغرافيا وتحقيق الرحلة بالعربية واعتمدت على تحقيق الدكتور عبد الهادى

التازى لأنه أكمل هذه الدراسات المحققة للرحلة وأحدثها. كما اعتمدت على دراسات المستشرقين الذين كان لهم الفضل في اكتشافها ودراستها وترجمتها إلى اللغات الأوربية الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية وغيرها. [٢]

وفيما يتعلق بالرسم الصحيح للكلمات الأردية التي عربها إبن بطوطة فقد اعتمدت على الترجمات الأردية للرحلة وعددها ثلاث ترجمات. [٣] وكذلك كتب الأدب وأدب الرحلات الأردية التي لاتخلو من ذكر رحلة إبن بطوطة. إلى جانب الاستعانة بالمعاجم الأردية للبحث عن أصول الكلمات وعلى رأس هذه المعاجم فرهنك آصفية و فيروز اللغات.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في اعتبارها"دراسة حالة" يمكن أن تطبق على الكلمات الأجنبية التي وردت في رحلة إبن بطوطة بشكل عام، وكلمات اللغات الشرقية (الفارسية والتركية والقازاقية....الخ) بشكل خاص.

وأرجو أن أكون قد أكملت بهذه الدراسة المتواضعةحلقة من حلقات الدراسة الحضارية واللغوية لرحلة إبن بطوطة في الهند.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث هي:

١ـ المبحث الأول: تناولت فيه الرحالة إبن بطوطة ورحلته، والدراسات الشرقية والإستشراقية، والترجمات والطبعات التي صدرت للرحلة.

٢ـ المبحث الثانى: دراسة الهند في رحلة إبن بطوطة دراسة حضارية من خلال المجالات الحضارية للرحلة مثل: الأعلام الشخصية والأعلام الجغرافية والمصطلحات الحضارية.. ..الخ حيث احتوت الرحلة على جوانب حضارية عديدة لنواحي الحياة الاجتماعية والسياسية.

٣ـ المبحث الثالث: دراسة الهند في رحلة إبن بطوطة دراسة لغوية من خلال تتبع الكلمات الأردية التي ذكرها إبن بطوطة في رحلته للهند وإرجاعها إلى أصولها الهندية السنسكريتية والفارسية والتركية والعربية، وتحقيق صيغةالكلمة الأردية وأصلها ورسمها وتد وينها عندابن بطوطة وفي المعاجم الأردية.

وختمت البحث بالنتائج التي توصل إليها البحث وبقائمة المصادر والمراجع و ملاحق المجالات الحضارية للرحلة وملحق تأصيل الكلمات الأردية عند إبن بطوطة.

الرحالة إبن بطوطة ورحلته

سيكون رفيقنا ودليلنا في هذه الرحلة رجلا فريدا في بابه في تاريخ الحضارة الإسلامية والحضارة الإنسانية جميعا، وهو الرحالة الأشهر عبد الله محمد بن عبدالله بن إبراهيم اللواتى الطنجى رحالة الإسلام دون منازع، وهو واحد من أولئك الأفذاذ الذين فطرهم الله على السعىالدائب نحوالمعرفة والكشف وتحمل المشاق وركوب

الأخطار في سبيل المعرفة، ولاهدف لهم إلا إشباع ذلك الشوق النبيل إلى العلم ومعرفة البلاد و العباد.

ولد إبن بطوطة بطنجة يوم الاثنين ١٧ رجب ٧٠٣هـ/٢٤ فبراير ١٣٠٤م [٤]. ويبدو أن الأسرة تنسب إلى سيدة كانت تحمل اسم فاطمة - عادة معروفة من قديم تنسب الناس إلىأمهاتهم - وتتحول فاطمة في المشرق - تدللا - إلى بطة، ونحن نعرف إبن بطة العكبرى (ت ـ٧ ٣٨ هـ /٩٩٨م)، وتمسى بطة في المغرب بطوطة كسفودة على ما جاء في تاج العروس للزبيدى (فصل الباء من باب الطاء)، وقد لقب في المشرق بشمس الدين و في الهند بمولانا بدرالدين، وقبيلة لواته التي ينتسب إليها قبيلة واسعة الانتشار في مصر ويؤكد المقريزى أنهاعربية.[٥] ويقول إبن بطوطة نفسه في سياق حديثه: إنه ينحدر من بيت فقهاء تولى الكثير من أفراده القضاء، ويذكر في أثناء رحلته في الأندلس أنه لقى في مدينة رُندة أحد أعمامه وكان قاضياً - وقد تولى إبن بطوطة القضاء أيضا في دهلى عند الملك محمد تغلق. [٦]

وبيت إبن بطوطة معروف على أنه بيت علم وقضاء ونعرف أن طنجه نفسها كانت مرفأ دوليا هاما يتوفر على كل مقومات الحضارة كما نعرف عن أسرة البطوطة التي وضع أحد أفرادها بفاس قطعة اسطرلاب فائقة الدقة[٧].

وقد درس إبن بطوطة على طريقة أقرانه من الشباب في ذلك العصر فحفظ القرآن، وبدأ يدرس على الشيوخ لكى يكون فقيها كأبيه وبقية النابهين من أهل بيته ولكنه لم يتم دراسته لأن سن الحادية والعشرين التي خرج فيها للرحلة تدل على أنه لم ينتظر حتى يستكمل دراسة الفقه وكانت هذه الدراسة وقتها تطول فلا يفرغ الشاب من دراسته إلا في حدود الثلاثين.[٨]

والواضح أن رغبته في السفر والجولان أعجلته عن اتمام الدراسة، ولكنه وهو مايزال في بداية طريقه في الاسكندرية أخذ عن الشيخ ياقوت تلميذ أبى العباس المرسى، وقد حصل في دمشق على نحو من ثلاثة عشرة إجازة، وفيمن أجازوه أم عبدالله زينب بنت الكمال المقدسية، ولقد كان حريصا على أن يذكر الذين أجازوه في أرض الشام، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على انتساب الرجل إلى بيت العلم والفقه.[٩]

وقد اختلف من كتب عن إبن بطوطة حول سنة وفاته والمكان الذي دفن فيه فيرى الدكتور حسين مؤنس أنه زار ضريحة في زاوية بطوطة قرب سوق أحرضان[١٠] في حين أن الدكتور عبد الهادى التازى يرى غير ذلك فيقول: إذا كان مترجموه أهملوا الحديث عن ظروف وفاته فإن الحافظ إبن حجر في الدرر الكامنة يفيد أن إبن بطوطة بقي إلى سنة سبعين وأدركته وفاته وهو متول للقضاء يعنى حتى عهد السلطان عبد العزيز بن أبى الحسن أخى

السلطان أبى عنان، مما يعنى أن أجله أدركه (بتامسنا) التي كانت عاصمتها آنذاك وليس بفاس ولا بطنجة. [١١] ولكن ما الدافع الأول لإبن بطوطة على الخروج للرحلة؟ يجيب إبن بطوطة على هذا السؤال في بداية رحلة فيقول:

"وكان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، منفردا عن رفيق آنس بصحبة، وركب أكون في جملته لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم، فحزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد، فتحملت لبعدهما وصبا ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا، وسني يومئذ ثنتان وعشرون سنة". [١٢]

اذن كان دافع إبن بطوطة إلى الخروج للرحلة هو الرغبة في أداء فريضة الحج ثم تجول في رحلاته في مشارق الأرض ومغاربها حتى صار "أكبر رحالة في التاريخ البشري كله" على حد قول اندرية ميكيل. [١٣]

وبعد عودة إبن بطوطة إلى المغرب أصبح من جلساء السلطان أبى عنان فأصدر أمرا إلى كاتبه إبن جُزى بتدوين رحلة إبن بطوطة ويبدو الاهتمام بأدب الرحلات وهو أبو عبدالله بن جزى

وكلفه أن يعيد صوغ ما يكتبه إبن بطوطة من أنه كان لا يملك أسلوبا طبيعيا في الترسل فعهد السلطان إلى وزير من وزرائه من أهل الأدب حديث رحلته فجعل إبن بطوطة يكتب وإبن جزى يتقح ويصوغ ثم عاد إبن جزى على ماكتبه فنقحه، وربط أجزائه وأضاف إليه بعض ما لديه من حديث عن البلاد.

وقد أضفي إبن جزى نفسه في المقدمة على إبن بطوطة من كل الأوصاف التي تؤكد عمق معارف الرحالة إبن بطوطة فهو:"الشيخ، وهو الفقيه، وهو الثقة، وهو الصدوق، وهو الذي باحث فرق الأمم وسبر سير العرب والعجم".[١٤]

وقد تعرضت رحلة إبن بطوطة للنقد، وأشهر من تعرض لها بالنقد السيرها ميلتون جب والمستشرق التشيكي ايفان هربك وغيرهم، فقد حاسبوه على ذكر بعض الأحداث في غير محلها وأنه يحكى في الرحلة السابقة ماحصل له في الرحلة اللاحقة على نحو ما حكاه عن الشريف أبى غرة وهو في النجف بينما سيسمع الحكاية عنه في الهند وعندما عبر نهر السند مع علاءالملك إلي العاصمة لاهري من الحدودالشمالية الحالية وفي اتجاه جنوب البلاد هناك لم يستوعب المحطات النهرية التي كان يمربها.

لكن الحقيقة التي ينبغي أن نجعلها نصب أعيننا ونحن نتتبع تلك التعقيبات هي أن تلك"التقييدات" التي جمعها إبن بطوطة قرابة ثلاثين سنة قام إبن جزى "بتلخيصها" في أقل من ثلاثة شهور.

ومتى كانت ثلاثة شهور كافية لتغطية تلك الأعوام واستيعاب ذلك العدد من الأسماء الجغرافية والأعلام البشرية التي مرت بذاكرته عبر تلك الأحقاب؟ هذا إلى جانب تعرض إبن بطوطة للسطوفي الجزيرة الصغرى التي تقع بين هنور وفاكنور بالهند حيث سلبه القراصنة "التقييدات" التي كان قد دون فيها معلومات عن الشخصيات التي التقى بها.[١٥]

والمهم بعد هذا أن سائر الذين تعقبوه وانتقدوه قد أجمعوا على إكباره وتقديره، وعلى براعته في طريقته لجلب القراء بما كان يختاره من بديع النكتة ودقة التعبير، وبما كان يتخذه شعارا له من الصراحة في القول، واتفقوا جميعا على ان إبن بطوطة هو الرحالة الأمين الذي كانت مذكراته تتميز عن غيرها بما يحسه القراء ولايستطيعون التعبير عنه.

رحلة إبن بطوطة في الدراسات الإستشراقية:

نالت رحلة إبن بطوطة نصيبا وافرا في الدراسات الاستشراقية، كانت في بؤرة اهتمام المستشرقين الذين شغلوا بالعالم العربى والإسلامى، وقد وجد المستشرقون في الرحلة مجالا خصبا يساعدهم على فهم مايدور في العالم الإسلامى.

وقد تجاوزت رحلة إبن بطوطة حدود بلاد المغرب عند ما روج أخبارها إبن خلدون في مقدمته، والتمجرونى في رحلته،

وكذلك المقرى في كتابه نفح الطيب ومن ثم بدأ المستشرقون يبحثون عن نسخ الرحلة الأصلية ولكنهم لم يجدوا إلا مختصرا اكتشفه المستشرق الألمانى[١٦] بوركهارت Burckhardt الذي كان أول من أثار انتباه أوربا لهذه الرحلة في أعقاب المهمة التي كلف بها في إفريقيا عام ١٨٠٩م ولم يكن هذا المخطوط المختصر المكتشف ـ ونسخه ثلاث ـ غير المنتقى الذي ألفه العالم محمد بن فتح الله البيلونى، وقد انتقل المخطوط بعد وفاة البيلونى إلى مكتبة جامعة كيمبرج وعلى هذا المخطوط وتحت إشراف الجمعية التي تعنى بترجمة المكتبة الشرقية قام المستشرق Samuellee صامويل فترجمه إلى الإنجليزية وزوده بعدد من التعليقات المفيدة.

ثم ترجم المستشرق البرتغالى الأب جوزى دى سانتوا نطونيومورا Moura P.Jose de Santo Antonio السفر الأول من الرحلة الأصلية إلى البرتغالية سنة١٧٩٧ م ونشرته الأكاديمية في لشبونه عام ١٨٤٠م.

لكن العمل الذي نبقى مدينين له بكل التقدير هو ذلك الذي قام به فيما بين عام ١٨٥٣ـ١٨٥٨م بتكليف من الجمعية الآسيوية كل من C.Defremery ديفريميرى و Sanguinetti・B.R سانجينتى ، ذلك العمل الذي تمثل في نشرهما للرحلة مترجمة بكاملها في أربعة أجزاء بعد أن توفرت في المكتبة الملكية في باريس نسخ ثلاث مخطوطة لرحلة إبن بطوطة. وبفضل ظهور المجلدات الأربع

للرحلة مصحوبة بالترجمة الفرنسية أمست رحلة إبن بطوطة في متناول العالم العربي، بل حتى في متناول العالم الإسلامى والعربي الذي كاد أن يجهل كل شئ عن رحلة إبن بطوطة وهناك شخصية ثالثة أسدت معروفا لا ينسى لذلك التراث ويتعلق الأمر بالأستاذ هاميلتون أليكساندر روسكين جب H-A-R-Gibb الذي ترجم معظم الرحلة إلى الإنجليزية في أواخر العشرينات. [١٧]

وكان أول من استفاد من عمل جب المستشرق الروسى كراتشكوفسكى(ت ـ ١٩٥١م) في كتابه القيم "تاريخ الأدب الجغرافي العربي" الذي قال عن إبن بطوطة: "إنه منافس خطير لمعاصره الأقدم منه تاريخا ما ركوبولو، ومن الطبيعى أن إبن بطوطة الطنجى كان له إحساس فطرى ذاتى بظروف حضارة العالم الذي يصفه أكثر مما كان لدى ماركو بولو البندقى، وأن وصف الرحالة المسلم لخط سير رحلته كان أدعى إلى الثقة مما عليه الحال مع معاصره المسيحى". [١٨]

وقد ترجمت رحلة إبن بطوطة ـ كلا أوبعضا ـ إلى عدد من اللغات الأخرى غير الفرنسية والإنجليزية ، فترجمها الدكتور هانس فون مزيك Hans von Mzik إلى إلى الألمانية [١٩]، وترجمها ايفان هربك Ivan Hrbek إلى التشيكية [٢٠] وترجمها إلى الإيطالية جابرييلى Gabrieli عام ١٩٦١م [٢١] وترجمت رحلة إبن بطوطةإلى اللغة الإسبانية وقد صدرت طبعة حديثة من الترجمة عام ١٩٩٣م،

وترجم هيرمان المكسيط.Herman Almquist الرحلة إلى اللغة السويدية.

رحلة إبن بطوطة في الدراسات الشرقية

صدر في المشرق طبعات عديدة للرحلة منذ أواخر القرن الماضي وبالضبط ١٢٨٨هـ -١٨٧١م وحتى اليوم ، ولكن تلك الطبعات بدون استثناء منقولة عن الطبعة الباريسية ، أي أنه لا يوجد ناشر واحد قام بمبادرة من عنده للاعتماد على مخطوطات جديدة غير التي اعتمد عليها الناشران الفرنسيان: ديفر يمبرى وسانجينتى.

وقد طبعت رحلة إبن بطوطة العربية أولا بمطبعة وادى النيل ، بتصحيح أبى السعودأفندى في عام ١٨٧١م ، ثم جاء الشريف القادرى الفاسى ونشرطبعة ثانية للرحلة بمطبعة التقدم بشارع محمد على عام ١٩٠٤م ولم يذكر أن الأصل هو الطبعة الباريسية، ثم ظهرت طبعة ثالثة عام ١٩٢٨م عن المطبعة الأزهرية جزآن في مجلد واحد ، أشرف على طباعتها إبن الشيخ حسن الفيومى ابراهيم.[٢٢]

وقد اهتمت بيروت بطباعة رحلة إبن بطوطة ، فظهرت أول طبعة لها عام ١٩٢٧م في سلسلة"الروائع" لفؤاد البستانى، وبعدها توالت الطبعات البيروتية لرحلة إبن بطوطة ، فأصدرت دار صادر

طبعة كاملة للرحلة عام ١٩٦٠م [٢٣]. ثم نشرت دار الكتاب طبعة أخرى في نفس السنة ١٩٦٠ (سلسلة التحرير: ١٦٦). [٢٤]

ثم صدرت عن المكتبة التجارية الكبرى بمصر طبعتان للرحلة الأولى عام ١٩٦٤ م والثانية عام ١٩٦٧ م، وتوالت الطبعات المختلفة بعد ذلك ، حيث صدرت في بيروت عن دار التراث نسخة جديدة من الرحلة ، تتميز بأنها تنسب المقدمة لصاحبها إبن جزى وليس لإبن بطوطة، ثم صدرت طبعة جديدة للرحلة عام ١٩٧٢م عن مؤسسة الرسالة في بيروت ، وأخرى عن دار إحياء العلوم في بيروت عام ١٩٩٢م.

وأخيرا صدرت طبعة كاملة محققة في خمسة أجزاء عن مطبعة المعارف الجديدة بالرباط بالمغرب من قبل أكاديمية المملكة المغربية (سلسلة التراث) ، وقد حققها ووضع فها رسها وخرائطها الدكتور عبدالهادى التازى سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م وهي التي اعتمدت عليها في دراسة الرحلة. [٢٥]

ونالت رحلة إبن بطوطة نصيبا وافرا من الاهتمام في اللغات الشرقية، فترجمت إلى اللغة الأردية ثلاث ترجمات. الأولى ترجمة مولوى محمد حسين باسم"عجائب الاسفار شيخ إبن بطوطة كا سفرنامه " ونشرت في دهلى سنة ١٩١٣م. والثانية ترجمة رئيس أحمد جعفرى الندوي بعنوان" سفرنامه إبن بطوطة" وصدرت عن

دار نفيس أكاديمى للطباعة في كراجى سنة ١٩٦١م، والترجمة الثالثة لمولوى عبد الرحمن خان "خلاصة تحفة النظار يعنى سفر نامه شيخ إبن بطوطة" وصدرت في دهلى سنة ١٩٧٢م.

وترجمت رحلة إبن بطوطة إلى اللغة التركية على يد لجنة من وزارة المعارف أواخر عهد العثمانيين وتقع في خمسة مجلدات ونشرت عام ١٩١٧م، وهناك ترجمة أخرى بالتركية تسمى (تقويم وقائع)، وقد ترجمت إلى اللغة الفارسية من قبل الدكتور محمد على موحد بعنوان: سفرنامه إبن بطوطة "ونشرت في طهران سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٩م، و ترجمت إلى اللغة الأوزبكية وقام بالترجمة الدكتور إبراهيم نعمة الله [٢٦] كما ترجمت إلى اللغات الشرقية الأخرى مثل الروسية، والصينية (ترجمة ماجين بونغ)، واللغة اليابانية، واللغة الأرمينية ، وناهزت الترجمات العشرين.

الهند في رحلة إبن بطوطة: دراسة حضارية

تمهيد:

يتناول هذا البحث الدراسة الحضارية للهند في رحلة إبن بطوطة من خلال المجالات المختلفة للرحلة وهي: الأعلام الشخصية، والأعلام الجغرافية، والقبائل والسلالات والأجناس والدول والفرق، والأدوات والآلات والوسائل والمراكب، والأسلحة، والأنهار والأودية والبحيرات، والجواهر والحلى، والزوايا

والـرباطات والقصـور، والـحيوانات، والعطـور والـبخور، والطعـام والشراب، والعـادات، واللباس، والمعلومات، والأسواق، والحصـون والقـلاع، والجوامـع والمسـاجد والمـدارس، والمشـاهد والمقابـر، والمنشـآت المتـنوعة، والمـواد، والنـباتات، والـنقود، والمصـطلحات الحضـارية.

وسيتناول البحـث هذه المجـالات الحضـارية كما وردت عند إبـن بطوطـة علـى أن يقتصـر البحـث علـى ذكـر نمـاذج مهمـة في كل مجـال مـن المجـالات وإحالـة مـابقى فـي كـل مجـال إلـى الملاحـق المفصلة لجميع مجالات الرحلة تجنبا للإسهاب.

وسـيتم التركـيز فـي رحلـة إبـن بطوطـة للهند علـى الـرحلة كمصـدر مـن مصـادر تـاريخ الهـند الإسـلامية فـي ذلـك العصـر، وكمصدر لتاريخ العلاقات الدولية والاستعانة بالنقوش كمصدر لإبن بطوطـة، ودراسـة الـرحلة وإظـهار قدرها كوثيقة تـاريخية واجتماعية وحضـارية ولغويـة ذات قيمة كبيرة. وسيقتصـر البحـث على الدراسة الحضـارية للهند الإسـلامية أي شـمال شبه القارة الهندية ـ في عصـر إبــن بطوطـــة، وعلاقـــة إبـــن بطوطـــة بالســلطان محمـــد تغلــق (٧٢٥ـ٧٥٢هــ/١٣٢٥ـ١٣٥١م) الـذي أكـرم وفادتــه وولاه قضــاء دهلـى وأقطع له القرى والضياع، وأوفده سفيرا له إلى ملك الصين، فابن بطوطة يكاديكون المصدر العربى الوحيد الذي تحدث عن حكم الدولـة التغلقية وآل تغلق للهند ـ وذلك بإجماع المؤرخين [٢٧] وباقي

معلوماتنا عن تاريخ الهند الإسلامية أيام حكم آل تغلق مصدره مراجع فارسية وهندية وإنجليزية.

لقد زار ابن بطوطة جنوب الهند وهي في أغلبها مناطق لم تصل إليها الحضارة الإسلامية - عدا الدكن - وبالتالى فإن اللغة الهندية واللغات المحلية الأخرى مثل: التاميلية والتليجو والماليالم لغات سائدة فيها وهي بعيدة عن مجال دراستنا لأنها تندرج ضمن الحضارة الهندية.

فابن بطوطة حمل نفسه مهمة لاتضطلع بمثلها إلا جمعية علمية كبيرة ذات مال وفير، وهي مهمة استطلاع العالم الإسلامى كله في عصره استطلاعا مباشرا يقوم على المشاهدة والمعاينة والمعاناة وكتابة "تقرير" واف بقدر الإمكان عن ذلك العالم الإسلامي، إن رحلة إبن بطوطة "تقرير" عن أحوال الأمة الإسلامية خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي.

ولعل السبب في عزوف الناس عن دراسة رحلة إبن بطوطة دراسة تحقيق وتمحيص هو أن تلك الدراسة تتطلب من صاحبها معرفة عشرات اللغات لتاصيل الكلمات الواردة في الرحلة و اطلاعا واسعا على الأدب الجغرافي الإسلامي أي العربي و الفارسي و التركي والأردي حتى يستطيع الدارس تحقيق أسماء الأماكن و التعرف على الأشخاص.

أولا: الهند في عصر إبن بطوطة:

تلقي رحلة إبن بطوطة الضوء على جانب مهم من جوانب ملامح العصر الذي عاش فيه وهو القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى لأن هذا العصر في عالم الإسلام كله كان عصر الأولياء وأصحاب الكرامات والطرق الصوفية وشيوخها، وهذه ظاهرة طبيعية ومنطقية من الناحية التاريخية والنفسية في عالم الإسلام في الشرق والغرب على السواء. فقد ابتلي العالم الإسلامى كله خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بنكبات متوالية يرجع السبب في معظمها إلى تدهور نظام الحكم والهجمة الصليبية على العالم الإسلامى.

وعاش إبن بطوطة وقام برحلاته في عصر انحسرت فيه الأخطار على أمة الإسلام فقد انكسرت الموجة الصليبية في المشرق على يد صلاح الدين الأيوبي ثم جاء المماليك فأكملوا عمل صلاح الدين واطمأن المشرق الإسلامي بعض الشئ، وكان الإسلام يتقدم حثيثا في الهند وشرق آسيا وجنوبها: أي أن إبن بطوطة جال في العالم الإسلامى في عصر إشراق وأمل، وفي القرن الذي تلا رحلاته وهو القرن الخامس عشر يدخل الإسلام في عصر زاهر من القوة، عصر الدول العظمى الإسلامية الأخيرة وهي سلطنة مغول الهند.

دولة آل تغلق بين تأريخ إبن بطوطة والمصادر الأردية:

يعتبر تأريخ إبن بطوطة لدولة آل تغلق وحكمها للهند الذي استمرقرابة مائة عام (٧٢٠هـ-١٣٢١م/٨١٢هـ/١٤١٢م) هو المصدر العربي الوحيد الذي وصلنا وباقي معلوماتنا عن الهند الإسلامية في ذلك العصر فمصدره مراجع فارسية وهندية وأردية وإنجليزية. وتكمن القيمة العلمية في تأريخ إبن بطوطة في أنها قائمة على مشاهدته للوقائع وما سمعه من أناس يثق بهم حضروا الواقعة وقصوها عليه، وقد حرص إبن بطوطة على الدقة في نقل الواقعة متبعا منهج رواية الحديث النبوي فيقول: "حدثني فلان.."وقد اعترف المؤرخون في المصادر الأردية والهندية بالدقة التي التزم بها إبن بطوطة في نقل الواقعة التاريخية وعلى رأس هؤلاء المؤرخ الهندي المشهور ايشورى برشاد في كتابه: History of Medieval India[٢٨].

وسوف نتتبع هناأهم الأحداث التي أرخ لها إبن بطوطة وموقف المصادر الأردية منها. فعند الحديث عن بداية ظهور آل تغلق وتأسيس دولتهم في الهند يقول إبن بطوطة تحت عنوان: ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه: "وضبط اسمه بضم التاء المعلوة وسكون الغين المعجم وضم اللام وآخره قاف، حدثني الشيخ الإمام الصالح العالم العامل العابد ركن الدين إبن الشيخ الصالح شمس الدين أبي عبد الله بن الولي الإمام العالم العابد بهاء الدين زكريا

القرشـي الملتانـي، بزاويته منـها، أن السـلطان تغلق كان من الأتراك المعروفين بالقرونة بفتح القاف والراء وسكون الواو وفتح النون وهم قاطنون بالجبال التـي بين بلاد السند والترك، وكـان ضـعيف الحـال فقدم بـلاد السند فـي خدمـة بعض التجار و كـان كلوانيا له، والكلوانى،بضم الكاف المعقودة هو راعي الخيل، وذلك علـى أيام السلطان علاء الدين، وأمير السند إذ ذاك أخوه أولوخان بضم الهمزة واللام، فخدمـه تغلق وتعلـق بجانبه فرتبه فـي البيادة بكسر البـاء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف، وهم الرجالة، ثم ظهرت نجابته فأثبت فـي الفرسـان، ثم كـان من الأمراء الصـغار وجعلـه أولوخـان أميرخيله، ثم كان بعد من الأمراء الكبار وسمي بالملك الغازى"[٢٩]

بعد قراءة هذا النص الذي تحدث فيه إبن بطوطة عن أولية ظهور السلطان غياث الدين تغلق شاه مؤسس دولة آل تغلق نلاحظ مايلى:

١ـ دقة إبن بطوطـة فـي نقل الواقعة بعد ذكر مصدرها وهو الشـيخ ركـن الديـن بـن شـمس الديـن بـن الامـام بهـاء الديـن زكـريا القرشـي الملتانـي الذي حرص علـى أن يذكر نسبه الصالح إلى جده الأخير. ليدلل بذلك على صدق روايته.

٢ـ قـام إبن بطوطة بضبط الأسماء الأعجمية التي وردت في النص بدقة ليسهل قراءتها على القاري العربي، كأن يقول: "وضبط

اسمه (تغلق)بضم التاء المعلوة وسكون الغين المعجم وضم اللام وآخره قاف" ولايخطيء أحد في قراءتها.

٣ـ قدم إبن بطوطة ترجمة دقيقة ـ بقدر الامكان ـ لكل كلمة أعجمية وردت في النص بعد ضبطها كأن يقول: "القرونة: هم قاطنون بالجبال التي بين بلاد السند والترك". وقد نشأت هذه القومية من تزاوج بين أب تركي جغتاني وأم سندية. ويقول:" كان كلوانيا له، والكلوانى هو راعي الخيل" وكلوانى كلمة أردية تعنى سايس الخيل.

ويقول:"فرتبه في البيادة... وهم الرجالة".

٤ـ عن هذا النص نقلت جميع المصادر الأردية والهندية والفارسية وأكدت على صحته ومن هذه المصادر:

(أ) نقل محمد قاسم هند وشاه في كتابه "تاريخ فرشته" عن إبن بطوطة عند حديثه عن ظهور السلطان غياث الدين تغلق على مسرح التاريخ حيث يقول: "ارتقى غازى ملك تغلق عرش دهلى في شعبان من عام ٧٦٠هـ/١٣٢١م باسم السلطان غياث الدين تغلق، وهو تركي الأب من قوم جغتأي زطى الأم من البنجاب، بدأ حياته جنديا بسيطا فظل يرتقي بجده واجتهاده حتى بلغ مرتبة القيادة. وما لبث أن لمع نجمه إبان حكم السلطان علاء الدين الخلجي حين ساهم بجهود بارزة في دفع المغول عن الحدود الغربية ثم طفق

ينزل بهم من بعد ذلك مزيدا من الهزائم حتى انجاب خطرهم عن البلاد".[٣٠]

(ب) نقل أنوارها شمى في كتابه "تاريخ باك وهند" هذه الواقعة منسوبة لإبن بطوطة يقول: "جلس غياث الدين تغلق على عرش دهلى في سبتمبر ١٣٢٠هـ وقد ذكر إبن بطوطة أنه كان رجلا فقيرا من قبيلة "قرونة" التركية ترك والده تركيا واستوطن في الهند وتزوج من فتاة بنجابية زطية وقد ورث عنها غياث الدين الشجاعة والاقدام وكان جنديا عاديا في جيش ألغ خان أخو علاء الدين الخلجي وترقى بالتدريج حتى صار أهم حكام الأقاليم الشمالية الحدودية وصد المغول عنها بنجاح وفاز بلقب "غازى ملك".[٣١]

حـ - بعد أن نقل الدكتور الساداتى نص هذه الواقعة يقول : "كذلك أنشأ غياث الدين نظاما محكما للبريد لم تعرف الهند له ضريبا من قبل في دقته وسرعته، حتى بلغت العاصمة أخبار الرحالة العربي إبن بطوطة بعد وصوله مصب السند بأيام خمسة قطع فيها البريديون مايزيد على تسعمائة ميل في طريق آمن معبد وقد أشاد الرحالة بما كانت عليه الهند من تقدم ومدنية في عهد هذا السلطان وخلفائه. وسجل في مذكراته الكثير من عادات المسلمين والهنادكة هناك في دقة يؤيدها مؤرخو الهند أنفسهم عن ذلك العصر".[٣٢]

ولم يكتف إبن بطوطة بما نقله عن ظهور السلطان غياث الدين تغلق، بل أكد ذلك بما رآه رأي العين من نقش على مقصورة الجامع في مدينة ملتان. يقول: "ورأيت على مقصورة الجامع بملتان، وهو الذي أمر بعملها: إنى قاتلت التتر تسعا وعشرين مرة فهزمتهم فحينئذ سميت بالملك الغازى".[٣٣]

وقد أكد أحمد نبى خان صدق رواية إبن بطوطة من خلال دراسته للنقوش المكتوبة على مقصورة جامع الملتان.[٣٤]

ومن الروايات التي اختلف حولها كل من أرخ للسلطان غياث الدين تغلق، رواية موته وبقدر ما اختلف المؤرخون حول هذه الواقعة إلا أنهم أجمعوا على أن رواية إبن بطوطة هي أصح هذه الروايات. يقول إبن بطوطة:-

"وكان بمدينة دهلي الولي نظام الدين البذاوني[٣٥] ولايزال محمد شاه ابن السلطان يتردد إليه ويعظم خدامه، ويسأله الدعاء، وكان يأخذ الشيخ حال تغلب عليه، فقال إبن السلطان لخدامه: إذا كان الشيخ في حاله الذي تغلب عليه فأعلموني بذلك، فلما أخذته الحال أعلموه فدخل عليه، فلما رآه الشيخ قال: وهبنا لك الملك. ثم توفي الشيخ في أيام غيبة السلطان، فحمل إبنه محمد نعشه على كاهله فبلغ ذلك أباه فأنكره وتوعده... وبلغه أن المنجمين زعموا أنه لايدخل مدينة دهلي بعد سفره ذلك فتوعدهم.

ولما عاد من سفره وقرب من الحضرة أمر ولده أن يبنى له قصرا وهم يسمونه الكشك بضم الكاف وشين معجم مسكن .. فبناه في ثلاثة أيام وجعل أكثر بنانه بالخشب مرتفعا على الأرض قائما على سواري خشب وأحكمه بهندسة تولى النظر فيها الملك زاده كبير وزراء السلطان محمد، وكان إذ ذاك شحنة العمارة، وكانت الحكمة التي اخترعوها فيه أنه متى وطئت الفيلة جهة منه وقع ذلك القصر وسقط.

ونزل السلطان بالقصرو أطعم الناس وتفرقوا واستأذنه ولده في أن يعرض الفيلة بين يديه وهي مزينة فأذن له.

وحدثني الشيخ ركن الدين أنه كان يومئذ مع السلطان ومعهما ولد السلطان المؤثر لديه محمود فجاء محمد إبن السلطان، فقال للشيخ: ياخوند! هذا وقت العصر، إنزل فصل.! قال لي الشيخ: فنزلت وأتى بالأفيال من جهة واحدة حسبما دبروه، فلما وطئتها سقط الكشك على السلطان وولده محمود قال الشيخ فسمعت الضجة فعدت ولم أصل فوجدت الكشك قد سقط، فأمر ابنه أن يؤتى بالفنوس والمساحى للحفر عنه، وأشار بالإبطاء فلم يؤت بهما إلا وقد غربت الشمس فحفروا، ووجدوا السلطان قد حنا ظهره على ولده ليقيه الموت! فزعم بعضهم أنه أخرج ميتا وزعم بعضهم أنه أخرج حيا، فأجهز عليه، وحمل ليلا إلى مقبرته التي بناها بخارج البلدة المسماة باسمه تغلق آباد فدفن بها". [٣٦]

ونلاحظ هنا أن إبن بطوطة نقل واقعة موت غياث الدين عن شخص ثقة شاهد الواقعة وحضرها. وقد اختلف المؤرخون اختلافا شديدا فيما يتعلق بموت غياث الدين، فالجميع اتفقوا على أن موته كان تحت أنقاض القصر و لكن الاختلاف في سبب موته، وكانت رواية إبن بطوطة لهذه الواقعة هي حجر الزاوية لمن أدلوا بدلوهم فيها من آراء ومنها:

أ ـ يقول أنوار هاشمي: "وفي مارس ١٣٢٥هـ أعد إبنه جونا خان (محمد تغلق) قصرا لاستقباله بعد عودته من اخضاع البنغال لكي يقيم فيه السلطان غياث الدين تغلق بشكل مؤقت ولكن القصر سقط عليه ورحل متأثرا بجراحه. ويرى إبن بطوطة أن موت السلطان مؤامرة من جوناخان وحده، وتأكيدا لذلك أن جوناخان تعجل الحصول على العرش ولم يطق صبرا ولهذا ارتكب هذه الحماقة. وتشير الأبحاث والتحقيقات الحديثة أن جوناخان كان مقربا من غياث الدين وكان وليا لعهده وسيحصل على الحكم وبالتالى لم تكن هناك ضرورة لهذه المؤامرة، وبناءا على هذه الأبحاث يمكن القول أن جوناخان لم يرتكب هذه المؤامرة التي كانت سببا في موته". [٣٧]

ب ـ يرى المؤرخ هندوشاه في كتابه "تاريخ فرشته" أن "موت السلطان في قصره الموقت هذا كان مصادفة ولم يكن لجوناخان يد في موته" [٣٨]

حـ ـ في حين يرى المؤرخ الهندى ايشورى برشاد أن "موت غياث الدين تغلق كان مؤامرة بين نظام الدين أولياء وجوناخان." [٣٩]

د ـ عرض الشيخ محمد اكرام في كتابه "آب كوثر" عددا من الآراء التي تذكر تبادل رسائل الوعيد بين غياث الدين تغلق ونظام الدين والتي بنى عليها بعض الباحثين الهنود والأوربيين فكرة "نظرية المؤامرة" وشكك في هذه الروايات معتمدا على رواية إبن بطوطة لعدة أسباب:-

١ـ إبن بطوطة الذي جاء إلى الهند بعد وفاة تغلق بتسع سنوات وأطلعه الشيخ ركن الدين الملتانى على تفصيلات كبيرة لهذه الواقعة مشافهة ـ لم يكتب أي كلمة تتعلق بالخلاف اللفظى بين الشيخ والملك تغلق. فهو يقول: "إن أحد المنجمين قال إن الملك لن يعود من هذا السفر" وبالرغم من وجود عدة نصائح من السلطان تتعلق بألغ خان لكنه لم يذكر في أي موضع منها تهديد الملك أو رد نظام الدين عليه.

٢ـ لم يكتب سيد ضياء الدين برني ـ الذي كان حيا في ذلك الوقت ومن أشد المعتقدين في الشيخ نظام الين أولياءـ أي كلمة حول هذه الواقعة.

٣ـ يجب أن نذكر أن الشيخ نظام الدين كان في ذلك الوقت في الخامسة والتسعين من عمره وكان يعاني من آلام المرض منذ

ستة أشهر، ويبدو من المستبعد جدا أن يجد الفرصة للعداوة مع أحد وهو في هذه الحالة التي لا تسمح له بالنزاع والعراك.[40]

ونرى بعد ذكر هذه الروايات أن موت الملك غياث الدين تغلق كان مصادفة وذلك تأكيدا لرواية هندو شاه في كتابه "تاريخ فرشته ".

وإذا كان إبن بطوطه قد أرخ للسلطان غياث الدين تغلق بالسماع عنه من ثقاة القضاة و الفقهاء الذين كان يلازمهم فإن تأريخه للسلطان محمد تغلق (١٣٢٥-١٣٥١م)(٧٢٥-٧٥٢هـ) تكتسب أهميتها من معاصرة إبن بطوطة له حيث حضر بلاطه وولاه السلطان محمد تغلق قضاء دهلي وأرسله في سفارة له إلى الصين. وكان تأريخ إبن بطوطة للسلطان محمد تغلق مصدرا أساسيا لكل من كتب عنه.

كما أن حديث إبن بطوطة عن الهند الإسلامية أيام محمد تغلق يعتبر وثيقة تاريخية مهمة لأن إبن بطوطة في بداية تأريخه لحكمه يؤكد على منهجه وهو:-

١- مشاهدة معظم أخبار هذا الملك أيام إقامته بالهند.

٢- شهادته بالله وملائكته ورسله أن جميع مانقله عنه من الكرم الخارق للعادة حق يقين وكفي بالله شهيدا

٣ـ قـول الحـق فـي كـل مـا عايـنه وعـرفه وأكـثر ذلـك ثابـت بالـتواتر فـي بـلاد المشـرق وتحـت بـاب "ذكر السلطان أبـي المجـاهد محمـد شـاه بـن السلطان غياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند الذي قد مناعليه" يقول إبن بطوطـة : "ولمامـات السلطان تغلق اسـتولى إبنـه محمد على الملك من غير منازع له ولامخالف عليه، وقد قد منا أنـه كـان اسـمه جونـه، فلمـا ملك سمي بمحمد، واكتنى بأبى المجاهد، وكل ماذكـرت من شـأن سـلاطين الهند فهو ممـا أخـبرت بـه وتلقيته أومعظمه من الشيخ كمال الدين بن البرهان الغزنوي قاضـي القضـاة، وأمـا أخبار هذا الملك فمعظمهـا ممـا شاهدته أيام كوني ببلاده. وهذا الملـك أحـب الـناس في إسداء العطايا وإراقة الدماء فلا يخلو بابه عن فقير يغنـى أوحـي يقتل ! وقد شـهرت فـي الـناس حكاياتـه فـي الكرم والشـجاعة، وحكاياتـه فـي الفتك والبطش بـذوي الجنايات، وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا وأكثرهم إظهارا للعدل والحق، وشعائر الدين عنده محفوظـة، ولـه اشتداد فـي أمر الصـلاة والعقوبة على تركها ... وسنذكر من أخباره فيه عجائب لم يسمع بمثلها عمن تقدمه وأنا أشهد بـالله وملائكته ورسله أن جميع ما أنقله عنه من الكرم الخارق للعادة حق يقين وكفي بالله شهيدا .

وأعلـم أن بعـض مآثـره مـن ذلـك لايسـع فـي عقـل كـثير مـن الـناس ويعد ونـه مـن قبيل المستحيل عادة ولكن شيئا عاينته وعرفت صـحته وأخذت بحظ وافرمنه لايسعني إلا قول الحق فيه، وأكثر ذلك ثابت بالتواتر في بلاد المشرق".[٤١]

كان هذا منهج إبن بطوطة في التأريخ للسلطان محمد تغلق وقد نقل عنه كل من أرخ له من مؤرخي الأردية والمؤرخين الهنود. يقول المؤرخ الشيخ محمد اكرام: " يعد هذا الملك لغزا لدى المؤرخين فقد كان حافظا للقرآن الكريم، وملتزما بالصلاة والصيام، وكانت له رسائل بالعربية والفارسية، وبالنسبة لمسلكه السياسي يقول عنه المؤرخ الهندي (الدكتور) تاراجند: " كان متمسكا بدينه ولم تكن حياته الأسرية يعتريها أي نقص، ولم يكن متعصبا، ولم يعط أي أهمية كبرى لآراء الفقهاء المتعصبين، وسلك سلوكا حميدا مع الهندوس، وحاول إصلاح حياتهم الاجتماعية وعين أحد الهندوس حاكما على السند وأسند مناصب عليا للآخرين منهم" ويسلم الجميع بأهليته وجدارته ولكنه رغم ذلك أضربالهند أكثر مما أفادها لأنه كان يتبع الشدة المفرطة في تحقيق كل أمر يقر في قلبه، وحاول نقل عاصمه بلاده إلى دولت آباد بعد أن ترك دهلى".[٤٢]

وتأكيدا لرأي إبن بطوطة يقول المؤرخ الهندي رأي شودرى: "استهل السلطان محمد تغلق حكمه ببذل المال والعطايا لرجاله ورعاياه في سخاء، وترامت أخبارهبات السلطان وكرمه إلى خارج حدود الهند، فوفد إلى بلاطه من أهل العراق وخراسان وفارس وبلاد ما وراء النهر طمعا في نواله وعطائه. و كان من بين الوافدين عليه كذلك طائفة من المشتغلين بالعلوم والفنون والآداب. ذلك أن محمد تغلق لم يكن من رعاة العلوم والفنون فحسب

بل كان هو نفسه من بين طليعة المشتغلين بها والضليعين فيها في عصره. فمنثوراته ومنظوماته الفارسية والعربية على السواء تشهد له بالذوق الرفيع مع حسن السبك وجمال الصورة.

هذا إلى جانب عنايته الفائقة بتجويد فن الخط والنقش وتمكنه المكين في علوم الفلسفة والحكمة والمنطق حتى نبغ في تشخيص الأمراض وقام على علاج الناس بنفسه وأقام الكثير من دور الشفاء وملاجئ العجزة".[٤٣]

وخلاصة ما يقال في هذا الملك هو ماتوصل إليه المؤرخ الهندي ايشورى برشاد بعد تأثره بماكتبه إبن بطوطة فيقول: "هذا وينسب بعض المؤرخين ماصادف هذا السلطان من الفشل في مشروعاته الكثيرة إلى سوء طالعه، وماكان حوله من مستشارين تنقصهم الخبرة والإخلاص، وينسب إبن بطوطة لهذا الملك كثيرا من الفضائل، كما يثني المؤرخ ضياءالدين برنى معاصره على تمسكه بأهداب السنة، وحرصه على إقامة العدل بين الناس، ويشير أغلب مؤرخي الهندوس المحدثين إلى تسامحه، حتى قرب إليه الكثير من الهندوس وولاهم عدة مناصب في الدولة، وينفون عنه ما أشيع من ميله لسفك الدماء، وتعطشه لارتكاب العنف والقسوة، ويقولون إن تشنيع بعض المؤرخين عليه بهذه التهم لم يكن إلا لقتله بعض الدراويش والفقهاء ولعل قياس هذه الحوادث جميعاً على ضوء مجتمع القرون الوسطى وتقاليده، قد يربأ بهذا السلطان عن أن يحشر في زمرة جلادي عصره".[٤٤]

ثانيا: إبن بطوطة في الهند: دراسة حضارية:

قام إبن بطوطة برحلته إلى الهند قادمامن أفغانستان ودون أن يشكو من العوز أوالضائقة لأن الأمة الإسلامية هي التي قامت بنفقات رحلته، وتولت كل شئونه بفضل ترابط هذه الأمة واهتمامها بإبناء السبيل الذين أوصي بهم في القرآن الكريم مرة بعد مرة، فعلى طول الرحلة كان الرجل ينزل في الزوايا والمدارس المنتشرة في جميع نواحي العالم الإسلامى، وكان هناك دائما أهل الخير أو أهل الطرق الصوفية الذين يعنون بأمر هذه الزوايا والمدارس والنازلين فيها، ولم يقتصر الأمر على مجرد تقديم الزاد الضروري والمأوى الخشن لإبناء السبيل، بل تعدى ذلك إلى الطعام والمأوى المؤثث الوثير، وفي أحيان كثيرة كان القائمون بأمر هذه الزوايا يعطون إبن السبيل شيئا من المال والكسوة، وهذا دليل على ثراء الحضارة الاسلامية وازدهارها في ذلك العصر.

دخل إبن بطوطة الهند وهو ميسور الحال كثير المال والخيل والخدم بفضل ما اجتمع لديه من عطايا الملوك والأمراء والخواتين، وقد وصل إليه هذا المال على اعتبار أنه فقيه ورجل دين، وقد طال عهد إبن بطوطة بالمظهر الدينى وملازمة الشيوخ والقضاة والسماع عنهم حتى أصبح فقيها جليلا حقا، وهذه الصفات جعلت الرجل يدخل الهند شخصية محترمة مرموقة يصاحب الملوك والأمراء وذوي السلطان ويخدمهم ويفوز بعطاياهم.[٤٥]

دخـل إبـن بطوطـة الهند مـن الشمال مـن طـريق يـؤدي إلـى مدينـة "شش نكر" والتي تغير اسمها الآن إلى "هشت نكر" بالقرب مـن بشـاور، وعـبر نـهر السـند إلـى البـنجاب فـي غـرة المحـرم سـنة ٧٣٤هـ/١٢ سبتمبر ١٣٣٣م وقد حـرص علـى تسـجيل ذلك. يقول: "ولمـا كـان بـتاريخ الغـرة مـن شـهر الله المحـرم مفتـتح عـام أربعـة وثلاثين وسبعمائة وصلنا إلى وادي السند المعروف ببنج آب ومعنى ذلك المياه الخمسة، وهذا الوادي من أعظم أودية الدنيا ... وهو أول عمالة السلطان المعظم محمد شاه ملك الهند والسند".[٤٦]

وتوجـه إبـن بطوطـة من السند إلى مدينة "جنانى" ومنها إلى "سيوستان" ثم "ملتان" ومـنها إلـى "أبوهر" ثـم أجودهن ثـم دهلـي التـي طـال الحديث عنها ووصفها وصفا دقيقا منذ فتحها ومن حكمها من الملوك والأسرو فصل القول في دولة آل تغلق التي كانت تحكم فـي أيـام دخولـه إلـى دهلـى التـي دخلها أيام السلطان محمد تغلق ثانى السـلاطين مـن آل تغلـق الذيـن خلفـوا الخلجييـن سنـة ٧٢٠هـ/١٣٢١م وتولـى محمـد تغلـق الحكـم بعد وفـاة أبـيه غيـاث الديـن تغلـق مؤسـس الدولة في ربيع الأول سنة ٧٢٥هـ/فبراير ١٣٢٥م.

وحديـث إبـن بطوطـة عـن الهـند الإسـلاميةأيام آل تغلـق يعـد وثيقة تاريخية لأنه يكاد يكون العربي الوحيد الذي كتب عنه، وبقية معلوماتـنـا عـن آل تغلق فمصدره مراجع فارسية وهندية ثم إنجليزية. ويـتحدث إبـن بطوطـة عـن جـامع دهلـي الـذي جدده غازى ملك تغلق

والد السلطان محمد تغلق وصفا دقيقا، وهو في الأصل مسجد القطب الذي بناه قطب الدين أيبك في موضع (بدخانه) أي معبد بوذى (أصنام) وبنى لنا المئذنة المعروفة باسم قطب مينار، ويصف لنا إبن بطوطة هذا المنار الذي يسميه صومعة وصفا دقيقا وهو أول وصف عربى بين أيدينا عن هذه المئذنة الهائلة التي لانظير لها في الدنيا.[٤٧]

وقد بلغ إبن بطوطة في الهند كرامة لم يبلغها في أي بلد آخر، حيث صار من كبار القوم وحظي بقرب السلطان محمد تغلق الذي أغدق عليه المال الوفير وأنزله دارا بالقرب من (دروازه بالم) جنوب غرب دهلى، وولاه قاضي دهلي وأقطع له الاقطاعيات وعهد إليه بالاهتمام بمقبرة السلطان قطب الدين.

وقد أسهب إبن بطوطة في وصف تكريم الملك محمد تغلق له وأفرد لذلك صفحات طوالا من الرحلة يقول: "ثم انصرفنا إلى الدار المعدة لنزولنا بمدينة دهلى، وبمقربة من دروازة بالم، وبعث لنا الضيافة، ولما وصلت إلى الدار التي أعدت لنزولي وجدت فيها ما يحتاج إليه من فرش وبسط وحصر وأواني، وسرير الرقاد. وجاء وا مع السرير بمضربتين ومخدتين ولحاف، كل ذلك من الحرير ... ولما كان من غد ذلك اليوم ركبنا إلى دار السلطان وسلمنا على الوزير فأعطاني بدرتين: كل بدرة من ألف دينار ودراهم، وقال لى هذه سرششتى ومعناه لغسل رأسك وأعطاني خلعة من المرعز ...

بعد ذلك عينت ضيافة السلطان، وهي ألف رطل هندية من الدقيق، ثلثها من الميرا، وهو الدرمك، وثلثاها من الخشكار وهو المدهون، وألف رطل من اللحم ومن السكر والسمن والسليف والفوفل أرطال كثيرة لاأذكر عددها، والألف من ورق التنبول، والرطل الهندى عشرون رطلا من أرطال المغرب، وخمسة وعشرين من أرطال مصر".[٤٨]

وبلغ تكريم السلطان محمد تغلق مداه عندما عين إبن بطوطة قاضيا على دهلي وهو من أكبر المناصب عندهم. يقول إبن بطوطة: "قال لي الملك الكبير (الحاجب): اخدم، فقد جعلك خوند عالم قاضي دار الملك: دهلي، وجعل مرتبك اثني عشر ألف دينار في السنة، وعين لك مجاشر (قرى وضياع) بمقدارها، وأمر لك باثنى عشر ألفا نقدا تأخذها من الخزانة غدا إن شاءالله وأعطاك فرسا بسرجه ولجامه ... وأخذ بيدي فتقدم بي إلى السلطان فقال لي السلطان: لاتحسب قضاء دهلى من أصغر الأشغال، وهو أكبر الأشغال عندنا، وكنت أفهم قوله ولا أحسن الجواب عنه، وكان السلطان يفهم العربى ولايحسن الجواب عنه ... فقلت له: بل عبدكم وخديمكم، فقال لي باللسان العربى: بل أنت سيدنا ومخدومنا ، تواضعا منه وفضلا وإيناسا".[٤٩]

ثم ولاه السلطان أمر مقبرة قطب الدين إلى جانب القضاء فكانت تدر عليه الكثير من المال وعلت مكانته وعظم شأنه وأصبح من الأعيان.

ولم يقنع إبن بطوطة بما أوتي من مال وضياع ووظيفة قاضي دهلى وربما شعر بسهولة الحصول على مال آخر من السلطان فنظم قصيدة له يرجوه فيها أن يمنحه خمسة وخمسين ألف دينار ليد فعها إلى التجار يقول فيها:

- إليك أمير المؤمنين المبجلا   أتينا نجد السير نحوك في الفلا
- فجئت محلا من علائك زائرا   ومغنــــاك كهف للزيارة أهلا
- فلوأن فوق الشمس للمجد رتبة   لكنـــــت لأعلاها إماما مؤهلا
- فأنت الإمام الماجد الأوحد الذي   سجـــاياه حتما أن يقول ويفعلا
- ولي حاجة من فيض جودك أرتجى   قضاها، وقصدى عند مجدك سهلا
- أأذكرها أم قد كفاني حياؤكـــم   فإن حيـــــاكم ذكره كان أجملا
- فعجل لمن وافي محلك زائرا   قضـــا دينه إن الغريم تعجلا [٥٠]

وقد أعجب السلطان بقصيدة إبن بطوطة وأمر له بما أراد.

مكث إبن بطوطة في الهند وعظم شأنه ولقب في الهند بمولانا بدر الدين يقول: "قال لى ملك الندماء: بسم الله، مولانا بدر الدين، وكانوا يدعوننى بأرض الهند بدر الدين، وكل من كان من أهل الطلب إنما يقال له مولانا". [٥١]

وتزوج إبن بطوطة في الهند وأنجب البنين والبنات في غضون السنوات الثمانية التي قضاها بالهند فتزوج من الهند

"مباركة" وأنجب منها ولده أحمد الذي تركه عند سفره في الهند يقول: "تركت ولدا لي سميته أحمد لماسافرت، ولا أدري ما فعل الله به". [٥٢]

كما تزوج من "حورنسب" وأنجب منها بنتا. يقول: "كان الشريف إبراهيم المعروف بالخريطة دار، هو صاحب الكاغد والأقلام بدار السلطان واليا على بلاد حانسى وسرستى ... وكان شجاعا كريما حسن الصورة، وكنت متزوجا بأخته حورنسب، وكانت صالحة تتهجد بالليل ولها أوراد من ذكر الله - عزوجل - ، وولدت مني بنتا، ولا أدري ما فعل الله فيهما". [٥٣]

وكان التكريم الأكبر من السلطان محمد تغلق لإبن بطوطة هو اختياره لسفارة له إلى ملك الصين - وكانت الصين آنذاك من الدول العظمى في ذلك العالم القديم - وهذا يدل على الثقة التي أولاها له السلطان محمد تغلق بعد أن ثبتت جدارته في قضاء دهلي. يقول إبن بطوطة تحت عنوان "ذكر ما أمرني به من التوجه إلى الصين في الرسالة": "بعث إلى السلطان خيلا مسرجة وجوارى وغلمانا وثيابا ونفقة فلبست ثيابه وقصدته ... ولما وصلت إلى السلطان زاد في إكرامي على ما كنت أعهده، وقال لي: إنما بعثت إليك لتتوجه عني رسولا إلى ملك الصين فإني أعلم حبك في الأسفار والجولان، فجهزني بما أحتاج له". [٥٤]

ثالثا: المجالات الحضارية للرحلة:-

اشتملت رحلة إبن بطوطة للهند على جوانب حضارية عديدة لنواحي الحياة الاجتماعية والسياسية المختلفة، وسوف نتناول هنا المجالات الحضارية للرحلة وهي: الأعلام الشخصية، والأعلام الجغرافية، والقبائل والسلالات والأجناس ... إلخ والتي ذكرت بالتفصيل في التمهيد لندلل بذلك على استيعاب الحضارة الإسلامية في الهند للرحالة العربى إبن بطوطة فتزوج بها وأنجب البنين والبنات، وتولى القضاء وسفارة ملك الهند إلى امبراطور الصين. لقد استطاع إبن بطوطة وهو مسلم من أقصى الغرب الإسلامى أن يعين قاضيا لدهلى حاضرة المسلمين في أقصى الشرق دون قيود! بل يتملك القرى والضياع، وهذا يدل على بعد تلك الحضارة عن التعصب العرقي. ونرى هنا دقة إبن بطوطة في ضبط الأعلام الشخصية والجغرافية والأسماء الأعجمية، والألقاب والوظائف والمهن بالشكل ليسهل قراءتها على القارئ العربى، كما قام بترجمة الكلمات الفارسية والأردية والتركية والهندية إلى العربية.

وجسد إبن بطوطة برحلته للهند جسرا متينا من الحوار بين الحضارة الإسلامية والحضارات المختلفة. وإبن بطوطة هو الذي لاحظ أن أهل الهند لايجعلون بيت المال عاصبا عند ما تستكمل حصص الوارثين على عكس ما يوجد عند المالكية الذين يعتبرون بيت المال عاصبا عند فقدان الوارث. ولابدأن نلفت النظر إلى نوع

من المقارنـات الطـريفة والدالـة علـى الحس الإقتصـادى والـتجاري الـذي كـان يـتوفر عليه والـذي يعبر عن شمولية شخصيته واكتمالها: قضـية تتـبعه للأسـعار وتـتبعه للمكاييل والمعايير والأوزان، وقـيمة العمـلات حـتى لكـأنك مصـحوبا بجـريدة تطلعك على أسعار مايجرى فـي السـوق. وهكذا لم يكن الرحـالة رجل فقه وأحكام وأوراق، ولكنه رجل مطلع على كل شئ.[٥٥]

وقـد اهـتم إبـن بطوطـة بقضـايا الصـرف والمقارنـة بيـن العمـلات فـي المغرب وفـي الهند، وكذلك المقارنة بين الرطل والمن والأوقية والدينار المغربى ومـا تعرف عليه هناك وسماه "التتكة" ومـن هنـا اعتـبرت الـرحلة فـي العصـر الوسيط دلـيلا تجاريـا للذيـن تهمهم الدراسات الاقتصادية.[٥٦]

ومـن الملاحـظ أن إبـن بطوطـة كـان يـتأقلم بسـرعة زائـدة، فهويـتعلم اللغـة التـي يـتكلم بهـا القـوم الذيـن يـنزل بسـاحتهم .. وقد بدأ يفهم اللغة الفارسية قبل أن يتعلم التركية، لأن الفارسية كانت منتشرة فـي المـنطقة كلهـا حـتى فـي بـلاد الصـين ويكـتب اللغتيـن بحـروف عربيـة. وحـتى إذا لـم يحسـن الكـلام باللسـان فإن آذانه تلتقط مايصلها من جمـل و كلمات ومن هنا وجدناه يردد بعض الكلمات التي تطرق سمعه بالفارسية والتركية والهندية (الأردية).[٥٧]

واهـتم إبـن بطوطـة بـالنقوش واعتـبرها مصـدرا مـن مصـادر رحلـته فكـان يقـف علـى كل مـا هو مكتوب على لوحة خشبية أوقطعة

من حجر أورخام ويسجلها ويحفظها وقد أمست بالنسبة لنا اليوم بمثابة وثيقة حيث تؤكد ما كان يرويه الرجل قبل نحو من سبعة قرون.

فأخبرنا إبن بطوطة وهو في الهند بأنه قرأ على مقصورة الجامع في ملتان والتي أمر السلطان غياث الدين تغلق شاه بعملها: "إنى قاتلت التتر تسعا وعشرين مرة فهزمتهم فحينئذ سميت بالملك الغازي". [58]

كما سجل إبن بطوطة ما كتبه جلال الدين أحسن شاه على الدنانير والدراهم بعد أن أدعى الملك لنفسه: " وكان يكتب في إحدى صفحتي الدينار:(سلالة طه ويس أبو الفقراء والمساكين، جلال الدنيا والدين) وفي الصفحة الأخرى (الواثق بتأييد الرحمن أحسن شاه السلطان)".

ومما يجري مجرى النقوش نذكر بعض النصوص التاريخية التي حرص على تسجيلها مما يعتبر اليوم لدى المهتمين بها حججا يعتمد عليها، ونشير مثلا إلى النص التاريخى لجواب سلطان الهند على رسالة امبراطور الصين هيونتى(Hyunti) الذي طالب بترميم معبد بوذى عتيق بقرب جبل الهيمالايا في الموقع المعروف بسمهل حيث نجد أن العاهل الهندى يكتب إليه قائلا:" إن هذا المطلب لا يجوز في ملة الإسلام إسعافه، ولايباح بناء كنيسة بأرض المسلمين إلا لمن يعطي الجزية فان رضيت باعطائها أبحنالك بناءه، والسلام على من اتبع الهدى". [60]

تعتبر سفارة إبن بطوطة للصين والتي وردت في الرحلة معلومة أصيلة لأن إبن بطوطة شاهد عيان عليها إذ لا يوجد ذكر لها في المصادر الهندية ولا الصينية. كما تعتبر هذه الفقرة من رحلة إبن بطوطة إسهاما جديدا في كتابة التاريخ الدولي للإسلام وعلاقته بالديانات والعقائد المجاورة حيث نرى ما كانت عليه المراسلات بين ملوك الإسلام وملوك البوذية حول موضوع يتعلق بحرية ممارسة الشعائر وما يتصل بها من ظروف.

وقدم لنا إبن بطوطة وصفا دقيقا للمراسم والتشريفات المتبعة في القصور وكذلك عندما يتنقل سلاطين الهند وعند استقبالهم للأعياد وتنظيمهم للاستقبالات والحفلات واستعمالهم للسرير الأعظم والمبخرة العظمى.

ومن المظاهر الحضارية التي ذكرها إبن بطوطة لمنا هضة العنصرية من قبل بعض حكام الهند المستنيرين الذين حرموا في دولتهم استعمال كلمة (أجنبى) أو كلمة (غريب) واستعملوا بدلا منها كلمة (عزيز) والجمع (أعزة) وذلك لكل من قصدهم ورتبوا لهؤلاء الأعزة مكانة متميزة في المراسم والحفلات.

وسوف نتناول هنا أهم المجالات الحضارية التي ذكرها إبن بطوطة في رحلته وإحالة ما بقي من مجالات إلى الملاحق الخاصة بذلك:-

١ـ الأعلام الشخصية:

ذكر إبن بطوطة عددا هائلا من الأعلام الشخصية المهمة التي أسهمت بنصيب وافر في إثراء جوانب الحضارة الإسلامية في الهند وهم من الملوك والأمراء والأميرات والحجاب وأصحاب القلم والتجار والصوفية والزاهدين والعلماء والشيوخ والفقهاء، والقادة والأبطال والحاشية والقضاة وزوجات السلطان ورؤساء الشرطة والندماء والغلمان. نذكرمنهم:

أ- غياث الدين تغلق شاه:

تحدث إبن بطوطة عن الملك غياث الدين تغلق مؤسس أسرة آل تغلق كثيرا وفصل القول في حكمه يقول حول دخوله دهلي واعتلائه لسرير الملك: "وقصد تغلق حضرة دهلي وخرج إليه خسروخان في عساكره ونزل بخارج دهلى بموضع يعرف بآصيا أباد ومعنى ذلك رحى الريح، وأمر بالخزائن ففتحت وأعطى الأموال بالبدر، لابوزن ولا عدد، ووقع اللقاء بينه وبين تغلق وقاتلت الهند أشد قتال وانهزمت عساكر تغلق ونهبت محلته وانفرد في أصحابه الأقدمين الثلاثمائة فقال لهم: إلى أين الفرار؟ حيثما أدركنا قتلنا، واشتغلت عساكر خسروخان بالنهب وتفرقوا عنه، ولم يبق معه إلا قليل فقصد تغلق وأصحابه موقفه، والسلطان هنالك يعرف بالشطر الذي يرفع فوق رأسه ... فلما قصده تغلق وأصحابه حمى

القتال بينهم و بين الهنود وانهزم أصحاب السلطان ولم يبق معه أحد وهرب ... واجتمع الناس على تغلق وقصد المدينة فأتاه الكتوال بالمفاتيح، ودخل القصر ... وقعد على سرير الملك وبايعه الخاص والعام"

وعند حديثه عن مدينة تغلق آباد التي بناها السلطان تغلق يقول:" وبها كانت خزائن تغلق وقصوره، وبها القصر الأعظم الذي جعل قراميده مذهبه، فإذا طلعت الشمس كان لها نور عظيم وبصيص يمنع البصر من إدامة النظر إليها، واختزن بها الأموال الكثيرة ويذكر أنه بنى صهريجا وأفرغ فيه الذهب إفراغا فكان قطعة واحدة فصرف جميع ذلك ولده محمد شاه لما ولي". [٦١]

ب ـ السلطان محمد بن تغلق:

أطال إبن بطوطة الحديث والوقوف عند هذا السلطان لأنه كان سلطان الهند عندما دخلها إبن بطوطة وقد صارت بينهما لقاءات تعارف عديدة ونتج عن تلك اللقاءات تولية السلطان إبن بطوطة على قضاء دهلى ولهذا فإن كل ما حكاه إبن بطوطة عن السلطان محمد تغلق من حكايات شاهدها وحضرها. يقول تحت عنوان: "حكاية في تواضع السلطان وإنصافه" "ادعى عليه رجل من كبار الهند أنه قتل أخاه من غير موجب ودعاه إلى القاضي فسلم وخدم، وكان قد أمر القاضي قبل ذلك أنه إذا جاءه إلى مجلسه فلا

يقوم ولا يتحرك، فصعد إلى المجلس ووقف بين يدي القاضي فحكم عليه أن يرضى خصمه عن دم أخيه فأرضاه "و "إدعى عليه صبى من إبناء الملوك أنه قد ضربه من غير موجب ورفعه إلى القاضى فتوجه الحكم عليه بأن يرضيه بالمال إن قبل ذلك وإلا أمكنه من القصاص، فشاهدته يومئذ وقد عاد لمجلسه واستحضر الصبى وأعطاه عصا، وقال له، وحق راسى لتضر بنى كما ضربتك فأخذ الصبى العصا وضربه بها إحدى وعشرين ضربة حتى رأيت الكلاه قد طارت عن رأسه !!". [٦٢]

جـ - المخدومة جهان والدة السلطان :

ذكرها إبن بطوطة باعتبارها أهم الأعلام الشخصية النسائية. يقول:"وكان سلطان الهند الذي قصدنا حضرته غائبا عنها ... وكانت والدته وتدعى المخدومة جهان، وجهان إسم الدنيا". [٦٣]

وفي موضع آخر يتحدث عن كرمها وفضلها تحت عنوان: "ذكر وصولنا لدار أم السلطان وذكر فضائلها" يقول: "وأم السلطان تدعى المخدومة جهان، وهي من أفضل النساء، كثيرة الصدقات عمرت زوايا كثيرة، وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر وهي مكفوفة البصر، وسبب ذلك أنه لما ملك إبنها جاء اليها جميع الخواتين وبنات الملوك والأمراء في أحسن زي وهي على سرير الذهب المرصع بالجوهر فخد من بين يديها جميعا، فذهب بصرها للحين، وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع". [٦٤]

د ـ ملك الندماء و أمير الحجاب:

ذكـر إبـن بطوطـة فـي رحلـته للهـند عـددا مـن الـندماء والحجـاب الذيـن الـتقى بهـم يقول:" ولمـا وصـلت الـنوبة إلـي دخلت فوجدت السلطان قـاعدا على كرسى فظننته أحد الحجاب حتى رأيت معه ملـك الندماء ناصـر الديـن الكافـي الهـروى، وكنـت عرفته أيـام غيبة السلطان فخدم الحاجـب فخدمت، واستقبلنى أمير حاجب وهو إبن عم السلطان المسمى بفيروز ". [٦٥]

هـ ـ صاحب الخاتم:

يقول عنه إبن بطوطة :" فرأيت عنده منهم نصرا وبختيار والمهردار، وهـو صـاحب الخـاتم الـذي يخـتم بـه علـى المـاء الـذي يشـرب السلطان مـنه، وكنيته أبـو مسلم، وكـان بينـي وبيـنه صـحبة ومودة". [٦٦]

و ـ صاحب الأوراق والقلم:

وهـي وظـيفة مهمـة لـدى سـلطان الهـند يقـول إبـن بطوطـة: "وكـان الشـريف إبراهـيم المعـروف بالخـريطة دار، هـو صـاحب الكـاغد والأقـلام بـدار السلطان واليا علـى بلاد حانسى وسرستى لما تحـرك السـلطان إلـى بـلاد المعـبر، وأبـوه هـو القـائم بـبلاد المعـبر الشريف أحسن شـاه .. وكان شجاعا كريما حسن الصورة". [٦٧]

ز- تاج الدين بن الكولمى:

وهو من كبار التجار يقول إبن بطوطة: "وكان تاج الدين بن الكولمى من كبار التجار فوفد على السلطان من أرض الترك بهدايا جليلة منها المماليك والجمال والمتاع والسلاح والثياب، فأعجب السلطان فعله وأعطاه اثني عشر لكا، ويذكر أنه لم تكن قيمة هديته إلا لكا واحدا، وولاه مدينة كنباية، وكانت لنظر الملك مقبل نائب الوزير، فوصل إليها وبعث المراكب إلى بلاد المليبار وجزيرة سيلان وغيرها، وجاء ته التحف والهدايا في المراكب وضخمت حاله".[68]

ح- أعلام الفقهاء والواعظين والمحدثين والشيوخ والصوفية:

ذكر إبن بطوطة صورا من تكريم السلطان محمد تغلق للفقهاء والواعظين والمحدثين والشيوخ والصوفية نذكر منهم:

ذكر عطائه للواعظ الترمذي ناصر الدين :

"وكان هذا الفقيه الواعظ قدم على السلطان وأقام تحت إحسانه مدة عام ثم أحب الرجوع إلى وطنه فأذن له في ذلك، ولم يكن سمع كلامه ووعظه، فلما خرج السلطان يقصد بلاد المعبر أحب سماعه قبل انصرافه فأمر أن يهيأ له منبر من الصندل الأبيض، وجعلت مساميره وصفائحه من الذهب وألصق بأعلاه حجر ياقوت عظيم، وخلع على ناصر الدين خلعة عباسية سوداء

مذهبة مرصعة بالجوهرو عمامة مثلها ونصب له المنبر بداخل السراجة، وقعد السلطان على سريره والخواص عن يمينه ويساره وأخذ القضاة والفقهاء والأمراء مجالسهم، فخطب خطبة بليغة ووعظ وذكر، فلما نزل عن المنبر قام السلطان إليه وعانقه وأركبه على فيل وأمر جميع من حضر أن يمشوا بين يديه، وكنت في جملتهم ... وكان أعطاه حين قدومه مائة ألف دينار دراهم ومئين من العبيد". [٦٩]

ذكر عطائه لشمس الدين الاندكانى:

"وكان الفقيه شمس الدين الاند كاني حكيما شاعرا مطبوعا فمدح السلطان بقصيدة باللسان الفارسىوكان عددأبياتها سبعة وعشرين بيتا فأعطاه لكل بيت منها ألف دينار دراهم وهذا أعظم ما يحكى عن المتقد مين الذين كانوا يعطون على بيت شعر ألف درهم وهو عشر عطاء السلطان!. [٧٠]

ط ـ تكين وتمور وكافور المهر دار من قادة الجيش:

ذكر إبن بطوطة عددا من أعلام قادة جيش السلطان محمد تغلق يقول:"ولما استقر تغلق بدار الملك بعث ولده محمدا ليفتح بلاد التلنك ... وهي على مسيرة ثلاثة أشهر من مدينة دهلى، وبعث معه عسكرا عظيما فيه كبار الأمراء مثل الملك تمور، بفتح التاء المعلوة وضم الميم وآخره راء، ومثل الملك تكين بكسر التاء المعلوة والكاف وآخره نون، ومثل ملك كافور المهر دار بضم الميم". [٧١]

ى ـ غلمان ومماليك السلطان:

ومن الغلمان والمماليك التي ذكرها إبن بطوطة مملوك إسمه سرتيز. يقول: "وكان أمير أمراء السند على هذا العهد مملوك السلطان يسمى سرتيز، وهو عرض المماليك، وبين يديه تعرض عساكر السلطان ومعنى اسمه الحاد الرأس". [٧٢]

ك ـ محمد الهروى الكتوال (رئيس الشرطة):

كان محمد الهروى "الكتوال" رئيس الشرطة من الأعلام البارزين في مملكة السلطان محمد تغلق ويصف إبن بطوطة لقاءه فيقول: "ولما مضى من وصولنا إلى ملتان شهران وصل أحد حجاب السلطان وهو شمس الدين البوشنجى والملك محمد الهروى الكتوال، بعثهما السلطان لاستقبال زوجة خداوندزاده وأتوا بالخلع لهما ولأولادهما ولتجهيز من قدم من الوفود، وأتوا جميعا إلي وسألوني: لماذا قدمت؟ فأخبرتهم أني قدمت للإقامة في خدمة خوند عالم وهو السلطان وبهذا يدعى في بلاده". [٧٣]

٢ـ الأعلام الجغرافية:

تناول إبن بطوطة العديد من الأعلام الجغرافية التي زارها في رحلته إلى الهند نذكر منها مدن: أبوهر، وأجودهن، وأوجه، وجنانى، وسرستى، وحانسى،ودهلى، ولاهرى، وتارنا، ولاهور، وملتان، وسيوستان وغيرها. وسنذكر هذه المدن متتبعين أولية

وصول إبن بطوطة لها من ناحية السند ـ باكستان الحالية ـ وسوف نلاحظ أن إبن بطوطة حاول جاهدا ضبط هذه المدن بالشكل حتى يسهل على القارئ العربى قراءتها بشكل صحيح. ونذكر كذلك بعض مدن السند التي وصفها قبل دخوله للهند.

أ- السند:

ذكر إبن بطوطة عدة مدن سندية وهو في طريقه لدخول الهند. يقول:"ولما كان بتاريخ الغرة من شهر الله المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة وصلنا إلى وادي السند المعروف ببنج آب، ومعنى ذلك: المياه الخمسة، وهذا الوادي من أعظم أودية الدنيا ... وهذا الوادي هو أول عمالة السلطان المعظم محمد شاه ملك الهند والسند". [٧٤]

وقد فتحت السند في أواخر القرن الأول الهجرى عام ٩٤هـ/٧١٢م في حين دخل الإسلام بلاد الهند في بداية القرن الخامس الهجرى أيام السلطان محمود الغزنوى، وكانت ملتان عاصمة السند أيام إبن بطوطة والآن مدينة كراتشى الواقعة على بحر العرب هي عاصمة السند.

ب - جنانى:

ووصل إبن بطوطة إلى مدينة جنانى. يقول :"وسرنا من نهر السند يومين، ووصلنا إلى مدينة جنانى، وضبط اسمها بفتح

الجيم والنون الأولى وكسر الثانية، مدينة كبيرة حسنة على ساحل نهر السند لها أسواق مليحة، وسكانها طائفة يقال لهم: السامرة، استوطنوها قديما واستقربها أسلافهم حيث فتحها على أيام الحجاج بن يوسف حسبما أثبت ا لمؤرخون في فتح السند".[٧٥]

جـ - سيوستان :

وتوجه إبن بطوطة إلى مدينة سيوستان وهي مدينة صغيرة شمال كراتشى. يقول: "ثم سافرنا من مدينة جنانى إلى أن وصلنا إلى مدينة سيوستان وضبط اسمها بكسر السين الأول المهمل وياء مد وواو مفتوح وسين مكسور وتاء معلوة وآخره نون، وهي مدينة كبيرة وخارجها صحراء ورمال، ولا شجر بها إلا شجر أم غيلان، ولايزرع على نهرها شئ ما عدا البطيخ، وطعامهم الذرة والجلبان، ويسمونه المشنك ... ومنه يصنعون الخبز، وهي كثيرة السمك والألبان الجاموسية".[٧٦]

د- لاهرى :

ثم سافر إبن بطوطة خمسة أيام مع علاء الملك إلى أن وصل إلى مدينة لاهرى . يقول" ووصلنا إلى موضع ولايته وهو مدينة لاهرى، وضبط اسمه بفتح الهاء وكسر الراء، مدينة حسنة على ساحل البحر' الكبير، وبها يصب نهر السند في البحر فيلتقى بها بحران، ولها مرسى عظيم يأتي إليه أهل اليمن وأهل فارس وغيرهم".[٧٧]

ولاهرى هي المدينة المعروفة الآن باسم (لارى بندر) وتقع على بعد ٢٨ ميلا جنوب شرقي كراتشي عند مصب نهر السند في بحر العرب.

هـ ـ تارنا:

بعد ذلك يقدم لنا إبن بطوطة أول وصف لمدينة "تارنا" وآثارها التاريخية في المصادر التاريخية العربية وينطبق هذا الوصف على أطلال موراماري أوموهنجدارو. يقول: "وركبت يوما مع علاء الملك فانتهينا إلى بسيط من الأرض على مسافة سبعة أميال منها يعرف بتارنا، فرأيت هنالك مالا يحصره العد من الحجارة مثل صور الآدميين والبها نم، وقد تغيرت كثير منها ودثرت أشكاله فيبقى منه صورة رأس أو رجل أوسواهما، ومن الحجارة أيضا صور الحبوب من البرو الحمص والفول والعدس، وهنالك أثر سور وجدران دور، ثم رأينا رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة وفي وسطه دكانة حجارة منحوتة كأنها حجر واحد، عليها صور آدمى إلا أن رأسه طويل، وفمه في جانب من وجهه، ويداه خلف ظهره كالمكتوف".[٧٨]

و ـ أوجه :

ثم سافر إبن بطوطة إلى مدينة أوجه وهي على طريق الملتان في غرب ولاية بها ولبور الحالية يقول: "وصلت إلى مدينة

أوجه وضبط إسمها بضم الهمزة وفتح الجيم، وهي مدينة كبيرة على نهر السند، لها أسواق حسنة وعمارة جيدة، وكان الأمير بها إذ ذلك الملك الفاضل الشريف جلال الدين الكيجى أحد الشجعان الكرماء وبهذه المدينة توفي بعد سقطة سقطها عن فرسه".[٧٩]

ز- ملتان :

ويتوجه إبن بطوطة بعد ذلك إلى ملتان عاصمة السند آنذاك وقد اعتنق أهلها الإسلام في الفتوحات الأولى عام ٩٤هـ/٧١٣م. يقول:" ثم سافرت من مدينة أوجه إلى مدينة ملتان وضبط اسمها بضم الميم وتاء معلوة، وهي قاعدة بلاد السند ومسكن أمير أمرائه، ... وأمير ملتان هو قطب الملك من كبار الأمراء وفضلائهم".[٨٠]

ح - ابوهر:

ويصل إبن بطوطة إلى مدينة أبوهر أول بلاد الهند فيقول: "وصلنا إلى بلاد الهند، وكان أول بلد دخلناه مدينة أبوهر، بفتح الهاء، وهي أول تلك البلاد الهندية، صغيرة حسنة كثيرة العمارة، ذات أنهار وأشجار". [٨١]

ط - اجودهن :

من مدينة أبوهر سافر إبن بطوطة إلى مدينة أجودهن. يقول: "وصلنا بعد يومين إلى مدينة أجودهن، وضبط اسمها بفتح الهمزة

وضم الجيم وفتح الدال المهمل والهاء وآخره نون، مدينة صغيرة". [٨٢]

ى - سرستى:

ويتوجه إبن بطوطة بعد ذلك إلى مدينة سرستى وهي الآن تسمى "سيرسا" بمحافظة هاريانا. يقول : "سافرنا من مدينة أجودهن، فوصلنا بعد مسيرة أربعة أيام منها إلى مدينة سرستى. وضبط اسمها بسينين مفتوحين بينهما راء ساكنة ثم تاء مثناة مكسورة وياء، مدينة كبيرة كثيرة الأرز، وأرزها طيب ومنها يحمل إلى حضرة دهلى ولها مجبى كثير جدا". [٨٣]

ك - حانسي :

ثم ينطلق إبن بطوطة إلى مدينة حانسى واصفا ذلك بقوله: "سافرنا منها إلى مدينة حانسى وضبط اسمها بفتح الحاء المهمل وألف ونو ن ساكن وسين مهمل مكسورة وياء، وهي من أحسن المدن وأتقنها وأكثرها عمارة، ولها سور عظيم ذكروا أن بانيه رجل من كبار سلاطين الكفار يسمى توره بضم التاء المعلوة وفتح الراء". [٨٤]

ل - دهلى :

وما أن وصل إبن بطوطة عند دهلي عاصمة الدولة الإسلامية حتى توقف عندها كثيرا وفصل القول في وصفها

ووصف أسوارها وأبوابها ومن قام على تأسيسها. يقول: " وصلنا إلى حضرة دهلى قاعدة بلاد الهند وضبط اسمها بكسر الدال المهمل وسكون الهاء وكسر اللام، وهي المدينة العظيمة الشأن، الضخمة الجامعة بين الحسن والحصانة وعليها السور الذي لايعلم له في بلاد الدنيا نظير وهي أعظم مدن الهند بل مدن الإسلام كلها بالمشرق.

ومدينة دهلي كبيرة الساحة، كثيرة العمارة وهي الآن أربع مدن متجاورات متصلات. إحداها: المسماة بهذا الاسم دهلى وهي القديمة، من بناء الكفار، وكان افتتاحها سنة أربع وثمانين وخمسمائة. والثانية: سيرى، بكسر السين المهمل والراء وبينهما ياء مد، تسمى أيضا دار الخلافة، وهي التي أعطاها السلطان لغياث الدين حفيد الخليفة المستنصر العباسي لما قدم عليه.

والثالثة: تسمى تغلق أباد باسم بانيها السلطان تغلق والد سلطان الهند الذي قدمنا عليه.

والرابعة: تسمى جهان بناه (أي ملاذ العالم) وهي مختصة بسكنى السلطان محمد شاه، ملك الهند الآن الذي قدمنا عليه، وهو الذي بناها، وكان أراد أن يضم هذه المدن الأربع تحت سور واحد فبنى منه بعضا وترك بناء باقيه لعظم مايلزم في بناءه.

والسور المحيط بمدينة دهلى لايوجد له نظير، عرض حائطه إحدى عشرة ذراعا، وفيه بيوت يسكنها السمار وحفاظ

الأبـواب، وفـيها مخـازن للطعـام يسمونـها الأنـبارات ومخـازن للعدد ومخـازن للمجانـيق، والـرعادات ويبقى الزرع بها مدة طائلة لايتغير ولا تطرقه آفة.

ولـهـذه المديـنـة ثمانـية وعشــرون بابـا وهـم يسـمون الـباب دروازه، فمنـها دروازة بذاون وهي الكبرى، ودروازه المندوى وبها رحبه الزرع، ودروازة جل بضم، وهي موضع البساتين ودروازه شـاه، اسـم رجـل، ودروازه بـالم اســم قـريـة ودروازه نجيـب اسـم رجل. [٨٥]

م - لاهور :

تـعد لاهور من المـدن المهمـة التـي ذكرها إبـن بطوطة وقد فتحها غياث الديـن محمد الغوري عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م وظلت مقر الحكومـة الإسـلامية فـي الهند قبل فـتح دهلي وتقع الآن في باكستان. يقـول: " وكـان السلطـان شـهاب الديـن محمـد بـن سـام الغـوري بعـث الأمـير قطـب الدين بعسكر عظيم ففتح الله عليه مدينة لاهور وسكنها وعظم شأنه". [٨٦]

٣- القبائل والسلالات والأجناس والدول والفرق:

ذكــر إبــن بطـوطــة ضــمن هـذا الـباب العديـد مـن المجـالات الحضـارية الخاصـة بالقبائل والسـلالات والأجنـاس والـدول والفـرق مـنها علـى سـبيل المـثال: الأعـزة، والـبراهمة، وأصـحاب الـبريد،

والقرونة ، وأصحاب الأخبار، والتجار، والجلادون، والحجاب، والسامرة، والزقاقيون، والسيافون، وأهل الطرب، والفراشون، والمخبرون، والمشاة، والمماليك، والمؤذنون، والنقباء، والشاميون، والحيدرية، والمرهته، والكهارين والكيوانية والدوادوية وغيرهم نذكر منهم:-

أ - الأعزة:

الأعزة جمع عزيز ويعتبر هذا اللفظ من الكلمات الحضارية التي ينبغى أن نقف عندها ونحن نقرأ بلاد السند فقد ظل الغريب محل توصية من لدن سائر الذين كتبوا عن معاملة الناس حتى ولو كانوا غير مسلمين ... ونحن نعلم أن إبن السبيل من الأصناف التي تصرف لهم الزكاة والطريف الجميل تشجيع الغرباء على استثمار أموالهم بل إن سلطان الهند يمكنهم بما يساعدهم على نفاق تجارتهم وربحهم، وكانوا في الهند يطلقون لقب الأعزة على هؤلاء الغرباء إيناسا لهم. فيقول إبن بطوطة : "ومن عادة ملك الهند السلطان أبي المجاهد محمد شاه إكرام الغرباء ومحبتهم وتخصيصهم بالولايات والمراتب الرفيعة، ومعظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاته وأصهاره غرباء، ونفذ أمره بأن يسمى الغرباء في بلاده بالأعزة، فصارلهم ذلك اسما علما، ولابد لكل قادم على هذا الملك من هدية يهديها إليه، ويقدمها وسيلة بين يديه، فيكافيه السلطان عليها بأضعاف مضاعفة، وسيمر من ذكر هدايا الغرباء إليه كثير".[٨٧]

ب ـ البراهمة:

البراهمة جمع عربي لكلمة "برهمن" أي كاهن الهندوس، وقد تحدث هنا إبن بطوطة عن طقس من طقوس الهندوسية ومباركة البراهمة له وهو "الساتى" حيث تقبل زوجة الهندوسي المتوفي على حرق نفسها طواعية معه تقربا لآلهتهم ولنيل أسرتها العزة والشرف في الدنيا. وقد صدر في الهند قانون عام ١٨٢٩م يمنع حرق الزوجات لأنفسهن وفاء لعهد الزوج. يقول إبن بطوطة :" ... رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا، فسألتهم: ماالخبر؟ فأخبروا أن كافرا من الهند مات وأججت النار لحرقه، وامرأته تحرق نفسها معه، ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقت معه، وبعد ذلك كنت في تلك البلاد أرى المرأة من كفار الهنود متزينة راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر، والأطبال والأبواق بين يديها ومعها البراهمة وهم كبار الهنود". [٨٨]

حـ ـ أصحاب البريد:

تحدث إبن بطوطة عن الدور الحضاري الذي كان يقوم به أصحاب البريد من نقل الأخبار والفواكة المستطرفة والماء والكبار من ذوي الجنايات، ووصف لنا النظام الدقيق والمحكم للبريد واقسامه. يقول: " والبريد ببلاد الهند صنفان: فأما بريد الخيل

فيسمونه الولاق بضم الواو وآخره قاف، وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال، وأما بريد الرجالة فيكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث رتب، ويسمونها الداوة بالدال المهمل والواو، والداوة هي ثلث ميل، والميل عندهم يسمى الكروه بضم الكاف والراء وترتيب ذلك أن يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة، ويكون بخارجها ثلاث قباب، يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة قد شدوا أوساطهم، وعند كل واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين بأعلاها جلاجل نحاس، فإذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده، والمقرعة ذات الجلاجل باليد الأخرى، وخرج يشتد بمنتهي جهده فإذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا له، فإذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب من يده ومر بأقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يصل إلى الداوة الأخرى، ولايزالون كذلك حتى يصل الكتاب إلى حيث يراد منه". [٨٩]

د ـ القرونة:

عند ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه توقف إبن بطوطة عند هذا المصطلح الحضاري وهو "قرونه" وهم جنس ينحدرون من أب تركي أومغولي وأم هندية. يقول: " .... إن السلطان تغلق كان من الأتراك المعروفين بالقرونة، بفتح القاف والراء وسكون الواو وفتح النون، وهم قاطنون بالجبال التي بين بلاد السند والترك". [٩٠]

هـ - الكيوانية والكهارين والدوادوية:

وتحدث ابن بطوطة عن العديد من الفرق والمهن الحضارية في الهند نذكر هنا منهم: الكيوانية والكهارين والدوادوية. يقول تحت عنوان " ذكر خروج السلطان إلى الصيد وخروجي معه وما صنعت في ذلك ": " واشتريت الصيوان، وهو الذي يظلل به داخل السراجة، ويرفع على عمودين كبيرين ويحمل ذلك الرجال على أعناقهم، ويقال لهم: الكيوانية. والعادة هنالك أن يكترى المسافر الكيوانية ... ويكترى الكهارين وهم الذين يحملون أواني المطبخ ويكترى الدوادوية وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل بالليل". [٩١]

٤- الأدوات والآلات والوسائل والمراكب:

ذكر ابن بطوطة في رحلة الأدوات والآلات والوسائل والمراكب المستخدمة في الهند في ذلك الوقت مثل: آلات قطع القصب والأصقالات، والآعمدة والأهورة والطريدة وهي من أنواع المراكب، والجل وهو غطاء الحيوان، والرعادات (المجانيق)، والدولة أي المحفة، وخونجة مائدة من النحاس، والسبك والسين (نوع من القلال) والمذبة والنقارة وغيرها نذكر منها هنا مايأتى:

أ- الأهورة والطريدة:

عند ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذلك يقول إبن بطوطة: "وكان للفقيه علاء الملك في جملة مراكبه مركب يعرف

بـالأهورة، بفتح الهمزة والهـاء وسكون الواو وفتح الراء، وهي نوع من الطـريدة عندنا إلا أنها أوسع منها وأقصر، وعلى نصفها معرش من خشب يصعد له علـى درج، وفوقه مجلس مهيأ لجلوس الأمير ويجلس أصحابه بين يديه".[٩٢]

ب ـ خونجة:

عند ذكر الطعام يقول إبن بطوطة:" وترتيبه أن يؤتى بمائدة نحاس يسمونها خونجه أي مائدة صغيرة".[٩٣]

جـ ـ دوله (محفة):

الدوله هي المحفة التي يركبها المرء وتحمل على الأعناق وكانت وسيلة من وسائل النقل آنذاك في الهند. يقول إبن بطوطة في وصفها: " وبعد أيام جاء الفتيان من دار المخدومة جهان بالدوله وهي المحفة التي يحمل فيها النساء ويركبها الرجال أيضا وهي شبه السرير سطحها من ضفائر الحرير أو القطن وعليها عود شبه الذي على البوجات عندنا معوج من القصب الهندي المغلوق، ويحملها ثمانية رجال في نوبتين: يستريح أربعة ويحمل أربعة".[٩٤]

د ـ السين والسبك:

السين نوع من القلال الذهبية ذكرها إبن بطوطة عند تناوله للطعام في دار أم السلطان. يقول: " ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلال من

الذهب يسمونها السين بضم السين والياء آخر الحروف، وهي مثل القدور، ولها مرافع من الذهب تجلس عليها، يسمونها السبك بضم السين وبضم الباء الموحدة". [٩٥]

٥ ـ الأسلحة:

قدم إبن بطوطة وصفا دقيقا للأسلحة المستخدمة في الحروب آنذاك مثل: الترس والترسة والتركش والدروع والدروق والرعادات والرماح والطبرزين والقتارة والمجانيق والنشاب والنيزة (نوع من الرماح). نذكر منها:

أ ـ الترس والنشابة:

عند ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي يقول إبن بطوطة :" كان له إبن أخ يسمى سليمان شاه، وكان يحبه ويعظمه، فركب يوما إلى الصيد وهو معه وأضمر في نفسه أن يفعل به ما فعل هو بعمه جلال الدين من الفتك، فلما نزل للغداء رماه بنشابه فصرعه وغطاه بعض عبيده بترس وأتى إبن أخيه ليجهز عليه فقال له العبيد: إنه قد مات فصدقهم". [٩٦]

ب ـ التركش:

تحدث إبن بطوطة عن شجاعة السلطانة رضية. يقول:" ولما قتل ركن الدين اجتمعت العساكر على تولية أخته رضية

فولوها الملك واستقلت فيه أربع سنين، وكانت تركب بالقوس والتركش والقربان كما يركب الرجال ولاتستروجهها". [٩٧]

جـ - النيزة:

النيزة نوع من الرماح وقد استعمل إبن بطوطة هذه الكلمة الحضارية عند ذكر عيد الأضحى. يقول:" فإن كان عيد الأضحى أتى السلطان بجمل فنحره برمح يسمونه النيزة، بكسر النون وفتح الزأي، بعد أن يجعل على ثيابه فوطة حرير توقيا من الدم". [٩٨]

٦- الأنهار والأودية والبحيرات:

من الأنهار والأودية والبحيرات التي ذكرها إبن بطوطة: نهرآب حيات (ماء الحياة)، ونهر الجون (جامنا)، ونهر صاغر، ونهر السند (بنج آب)، ونهر الكنك (الجانج)، ووادي أفغان بور، ووادي آش، ووادي خسرو آباد.

أ - نهر الجون (جامنا):

نهر جامنا من أنهار الهند، وأحد الأنهار المقدسة لدى الهندوس، وذكره إبن بطوطة في مَواضع عديدة من رحلته للهند. وعند ذكر قبر السلطانة رضية يقول: " .. وقبرها الآن يزار ويتبرك به وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخ واحد من المدينة". [٩٩]

ب ـ نهر السند (بنج آب):

نهر السند رافد من روافد أنهار البنجاب الخمسة ويقع الآن في باكستان والأنهار الخمسة هي: السند وراوي وجناب وبياس وستلج. ويصفه ابن بطوطة في مستهل رحلته إلى الهند. فيقول: ووصلت رفقتنا سالمة بحمد الله - تعالى - إلى بنج آب وهو ماء (نهر) السند، وبنج بفتح الباب الموحدة وسكون النون والجيم ومعناه الماء، فمعنى ذلك الأودية الخمسة".[١٠٠]

حـ ـ نهر الكنك (الجانج):

نهر الكنك أو جانج هو أقدس أنهار الهند لدى الهندوس ويحجوا إليه ويلقون برماد أجسامهم فيه بعد الموت، وهو جنتهم كذلك بل يغرقون فيه أنفسهم تقربا إلى الآلهة. يقول:" وكذلك يفعل أهل الهند أيضا في الغرق يغرق كثير منهم أنفسهم في نهر الكنك، وهو الذي إليه يحجون، وفيه يرمى برماد هؤلاء، وهم يقولون إنه من الجنة".[١٠١]

د ـ وادي خسرو آباد:

وادى خسروآباد هو الاسم القديم لوادي راوي أحد الروافد الخمسة لأنهار البنجاب وهو بالقرب من مدينة لاهور في باكستان. يقول ابن بطوطة :" وفي الطريق إليها (الملتان) على مسافة عشرة

أميال منها الوادي المعروف بخسرو آباد، وهو من الأودية الكبار لا يجاز إلا في المركب، وبه يبحث عن أمتعة المجتازين أشد البحث".
[١٠٢]

٧ ـ الجواهر والحلى:

لم ينس إبن بطوطة استعراض الجواهر والحلى في الهند الإسلامية باعتبارها مجال بارز من المجالات الحضارية هناك فذكر منها: أحجار الزمرد، وأحجار الياقوت، والياقوت البدخشى، والياقوت البلخش، وأساور الذهب، والتهليل (من ذهب مرصع والجوهر والخلاخيل، والخواتم، والقلادة والقيراط واللازورد، واللؤلؤ الفاخر وغيرها.

أ ـ أحجار الزمرد والياقوت والجوهر:

يصف إبن بطوطة دخول عمال السلطان عليه بالهدايا فيقول :" صنعوا الأواني من الذهب والفضة ... فادخلت الهدية إليه على هذا الترتيب، ورأيت في جملتها صينية مملوءة بأحجار الياقوت وصينية مملوءة بأحجار الزمرد وصينية مملوءة باللؤلؤ الفاخر".

وعند خروج السلطان للعيدين تجهز له الفيلة للركوب عليها. يقول إبن بطوطة :" ويرفع عليها ستة عشر شطرا من الحرير مرصعة بالجوهر، قائمة كل شطر منها ذهب خالص ، وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجوهر".[١٠٣]

ب ـ القلادة وأساور الذهب:

وردت القلادة وأساور الذهب في مواضع عديدة من رحلة إبن بطوطة للهند. يقول:" ومن عاداتهم بتلك البلاد أن الهندي إذا أراد الإسلام أدخل إلى السلطان فيكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة و أساور من ذهب على قدرة".[١٠٤]

٨ ـ الزوايا والرباطات والقصور:

أسهب إبن بطوطة في وصف الزوايا والرباطات والقصور المنتشرة في كل مدن وقرى الهند مثل: زاوية امروها، وزاوية ركن الدين بن بهاء الدين، وزاوية عثمان المرندى، وزاوية قثم بن العباس، وزاوية كشلوخان، وزاوية نظام الدين البذاونى، وقصر تلبت ، والقصر الأحمر، وقصر دار سرا، وقصر دولة خانة، وقصر سرك دوار، وقصر الكشك وغيرها نذكر منها هنا:ـ

أ ـ زاوية كشلوخان:

عندما زار إبن بطوطة مدينة بكار على نهر السند ذكر زاوية كشلوخان يقول: " وهي مدينة حسنة يشقها خليج من نهر السند، وفي وسط ذلك الخليج زاوية حسنة فيها الطعام للوارد والصادر عمرها كشلوخان أيام ولايته على بلاد السند".[١٠٥]

ب ـ القصر الأحمر

يقول إبن بطوطة عند ذكر ما أعطاه السلطان للأمير سيف الدين غدا بن هبة الله بن مهنى أمير عرب الشام:" ولما قدم هذا

الأمير على السلطان أكرم مثواه وأنزله بقصر السلطان جلال الدين داخل مدينة دهلى، ويعرف بكشك لعل، ومعناه القصر الأحمر، وهو قصر عظيم فيه مشور كبير جدا ودهليز هائل، على بابه قبة تشرف على هذا المشور ... وقد دخلت هذا القصر عند نزوله به فرأيته مملوءا أثاثا وفرشا وبسطا وغيرها وذلك كله متمزق، لامنتفع فيه، فإن عاداتهم بالهند أن يتركوا قصر السلطان إذا مات بجميع مافيه لا يعرضون له و يبنى المتولى بعده قصرا لنفسه". [١٠٦]

٩ - الحيوانات:

ذكر إبن بطوطة في رحلة حيوانات الهند المتنوعة مثل: أم جبين، والبازى والبرزون (تتو)، والبغال، والبَقر، والدجاج، والسقنقور، والشقاشق، والطواويس والغزلان، وغزلان المسك، والفيلة، والكركدن، والكلاب، واللاشة (حمير صغيرة)،والمهارى، واليربوع وغيرها. نذكرمنها:

أ - الكركدن:-

تحت عنوان "ذكر الكركدن" يقول إبن بطوطة :" ولما أجزنا نهر السند .. دخلنا غيضة قصب ... فخرج علينا الكركدن، وصورته أنه حيوان أسود اللون، عظيم الجرم رأسه كبير، متفاوت الضخامة، ولذلك يضرب به المثل فيقال: الكركدن، رأس بلابدن، وهو دون الفيل، ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف، وله قرن

واحد بين عينيه، طوله نحو ثلاثة أذرع، وعرضه نحو شبر، ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان في طريقه، فضرب الفرس الذي كان تحته بقرنه فأنفد فخذه وصرعه، وعاد إلى الغيضة، فلم نقدر عليه". [١٠٧]

ب - الفيلة:

الفيل من أشهر حيوانات الهند، وكان يستخدم في الحروب وفي الألعاب وفي المراسم وكانوا يدربون الفيلة لقتل أهل الجرائم. وعند ذكر ترتيب جلوس السلطان يقول إبن بطوطة :" ... ثم يؤتى بخمسين فيلا مزينة بثياب الحرير والذهب مكسوة أنيابها بالحديد إعدادا لقتل أهل الجرايم، وعلى عنق كل فيل فياله وبيده شبه الطبرزين من الحديد، يؤدبه به ويقومه لما يراد منه. على ظهر كل فيل شبه الصندوق العظيم يسع عشرين من المقاتلة وأكثر من ذلك ودونه، على حسب ضخامة الفيل وعظم جرمه". [١٠٨]

حـ - السقنقور:

عند ما وصل إبن بطوطة إلى مدينة سيوستان تحدث عن الحيوانات فيها يقول:" وأهلها يأكلون السقنقور وهي دويبه شبيهة بأم جبين التي يسميها المغاربة حنيشة الجنة إلا أنهالا ذنب لها، ورأيتهم يحفرون الرمل ويستخرجونها منه، ويشقون بطنها ويرمون بما فيه، ويحشونه بالكركم". [١٠٩]

١٠ ـ العطور والبخور:

اشتهرت الهند بعطورها وبخورها الذي يضرب به المثل في الجودة وقد توقف إبن بطوطة كثيرا عنده فذكر لنا الأشجار المزهرة، والجاوى والريبول، وزردشوبه (العود الأصفر)، والصندل والعنبر، والعنبر الأشهب، والعود القاقلى، والعود القمارى والغالية والقرنفل، وجل شنبه، والكافور، والكلخى، وماء الزهر، وماء الورد، والمسك والمصطكى (المستكة)، والنسرين، والنسرين الأبيض والأصفر، والياسمين. ونذكرمنها:

أـ الأشجار المزهرة:

عند ذكره لسور دهلى وأبوابها يقول إبن بطوطة:" وبخارج هذه الدروازة مقابر دهلى، وهي مقابر حسنة يبنون بها القباب ... ويزرعون بها الأشجار المزهرة مثل قل شنبه وريبول والنسرين وسواها، والازاهير هنالك لا تنقطع في فصل من الفصول"

ب ـ الجاوى والعنبر والعود:

عند ذكر المبخرة العظمى التي تعد يوم العيد أمام السلطان يقول إبن بطوطة :" وينصب في ذلك اليوم المبخرة العظمى وهي شبه برج من خالص الذهب منفصلة، فاذا أرادوا اتصالها وصلوها، وتحمل القطعة الواحدة منها جملة من الرجال، وفي داخلها ثلاثة

بيوت يدخل فيها المبخرون يوقدون العود القمارى، والقاقلى والعنبر الأشهب والجاوى، حتى يعم دخانها المشور كله". [١١٠]

جـ - الياسمين وقل شنبه وريبول ونسرين وماء الورد:-

كان من عادات أهل الهند أن يخرجوا إلى قبر الميت في اليوم الثالث من دفنه ويفرشون جوانب القبر بالبسط وثياب الحرير، ويصف إبن بطوطة ذلك المشهد فيقول:" ويجعلون على القبر الأزاهير، وهي لاتنقطع هنا لك في فصل من الفصول كالياسمين وقل شنبه وهي زهر أصفر، وريبول وهو أبيض،النسرين وهي على صنفين أبيض وأصفر .... ويؤتى بالمصاحف فيقرء ون القرآن فإذاختموه أتوا بماء الجلاب فسقوه الناس ثم يصب عليهم ماء الورد صبا". [١١١]

١١ـ الطعام والشراب:

تميز الطعام والشراب في الهند الإسلامية بالتنوع والوفرة وقد فصل إبن بطوطة القول في وصف موائد الطعام والشراب وما حفلت به من لحوم وحلوى وخبز وفاكهة مثل: الإجاص، والأرز، والبطيخ، والرمان (أنار)، والتفاح، والتنبول، والتمر الهندى، والجرادق (خبز رقيق)، والجلاب، وجلد الفرس (حلوى)، والحريرة، والحلوى الصابونية، وخبز الجلبان (المشنك)، والخشتى (رغيف حلوى)، والخشكار، والخيار والدرمك، ودهن السمسم،

ورأس غنم مشوى، والرقاق، والزنجبيل، وزيت سمسم، والسفر جل والسموسك، وعصيدة القافي (شبه القلقاس)، والعنب، والفواكه اليابسة، والفقاع، والفوفل، والقاهرية، والقسطل، وكسيرا (فاكهة هندية)، وكشرى، والكوشان واللحم المشوى واللحم المطبوخ، واللحم المهروس، ولقيمات القاضى، واللوز، وماء الجلاب، وماء النبات، والمشنك (خبز)، والمقرضة (حلوى)، والمهوا (شجر يشبه الإجاص) والنارجيل (جوز الهند)، والنارنج (الحامض والحلو)، والنبق، والهاشمى (نوع من الحلوى). نذكر منها:

أ ـ وصف مائدة الملك للغرباء الوافدين:

ذكر ابن بطوطة في وصفه لهذه المائدة السلطانية ألوانا من الطعام والشراب. يقول:" وترتيب ذلك الطعام أنهم يجعلون الخبز، وخبزهم الرقاق، وهو شبه الجراديق، ويقطعون اللحم المشوى قطعا كبارا بحيث تكون الشاة أربع قطع أوستا، ويجعلون أمام كل رجل قطعة ... ويجعلون وسطها الحلواء الصابونية، ويغطون كل قرص منها برغيف حلوى يسمونه الخشتى ومعناه الأجرى مصنوع من الدقيق والسكر والسمن، ثم يجعلون اللحم المطبوخ بالسمن والبصل والزنجبيل الأخضر في صحاف صينية، ثم يجعلون شيئا يسمونه سموسك، وهو لحم مهروس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل والأباريز، موضوع في جوف رقاقة مقلوة بالسمن، يضعون أمام كل إنسان خمس قطع من ذلك أو أربعا ثم يجعلون

الأرز المطبوخ بالسمن وعليه الدجاج، ثم يجعلون لقيمات القاضى ويسمونها الهاشمى ثم يجعلون القاهرية.

ويؤتى بأقداح الذهب والفضة والزجاج مملوءة بماء النبات وهو الجلاب محلولا في الماء، ويسمون ذلك الشربة، ويشربونه قبل الطعام، ثم يقول الحاجب: بسم الله فعند ذلك يشرعون في الأكل فإذا أكلوا أتوا بأكواز الفقاع، فإذا شربوه أتوبالتنبول والفوفل".[١١٢]

ب ـ النارنج والمهوا والعنب والكسيرا والرمان:

وتحدث إبن بطوطة بعد ذلك عن الفواكه التي تقدم مع الطعام. يقول:" ومنها النارنج الحلو، وهو عندهم كثير، وأما النارنج الحامض فعزيز الوجود، ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض وثمره على قدر الليم وهو طيب جدا وكنت يعجبنى أكله ! ومنها المهوا بفتح الميم والواو ، وأشجاره عادية وأوراقه كأوراق الجوز إلا أن فيها حمرة وصفرة، وثمره مثل الإجاص الصغير ،شديد الحلاوة، وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة و طعمها كطعم العنب، إلاأن الإكثار من أكلها يحدث في الرأس صداعا. ومن العجيب أن هذه الحبوب إذا يبست في الشمس كان مطعمها كمطعم التين، وكنت آكلها عوضا من التين ... وهم يسمون هذه الحبة الأنكور، بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف المعقودة والواو والراء، وتفسيره بلسانهم : العنب.

ومن فواكههم فاكهة يسمونها كسيرا، بفتح الكاف وكسر السين المهمل وياء مد وراء، يحفرون عليها الأرض وهي شديدة الحلاوة وتشبه القسطل.

وببلادالهند من فواكه بلادنا الرمان، وهم يسمونه أنار بفتح الهمزة والنون، وأظن هوالأصل في تسمية الجلنار فإن جل بالفارسية الزهر، وأنار : الرمان". [١١٣]

١٢ـ العادات:

أفرد إبن بطوطة صفحات طويلة في رحلته للحديث عن عادات أهل الهند في حياتهم الإجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية مثل: أخذ الضرائب، واطلاع السلطان على هوية الوافدين قبل عبورهم الحدود، وإعطاء الواشى أموال الذي وشى به إذا ثبتت التهمة،وأوقاف المدارس والمساجد، وأهل الهند يزرعون مرتين في السنة، وتعذيب المخالفين، وتمزيق الثياب حزنا على الميت، والتشهير بالجانى بالطواف به على حمار، وتوزيع نفقة ستة أشهر على أهل دهلى عند سفر السلطان، وحرق الميت وامرأته في الهند، ودار الأمن في الهند يدخلها كل من يخاف من أمر فيؤمن، وذابح البقر في الهند يخاط في جلدها ويحرق، ورجم الزانية، وزراعة الأرز ثلاث مرات فيالسنة، وسمل العينين، وسلخ جلد المحكوم عليه بالاعدام وحشو الجلد بالتبن والطواف به في البلاد

أوصلبه على الأسوار، وغسل الرأس باللبن، وفي ترتيب أهل الهند لمقابرهم، وفيما يفعله أهل الهند في اطعام الناس عند الولائم، والقتل بواسطة الفيلة، والقتل حمائل، والقتل على ترك الصلاة، ومايفعله أهل الهند في عيد الفطر، ومايفعله الناس عند رؤية أم السلطان المخدومة جهان، ووضع مملوك عينا على كل أمير، ووضع جوار في الدور على الأميرات نذكر منها:

أـ اطلاع السلطان على هوية الوافدين قبل عبورهم الحدود:

لمس إبن بطوطة هذه العادة بنفسه عندما أراد دخول الهند عبر الحدود الشمالية من ناحية السند. يقول: وإذا كتب المخبرون إلى السلطان بخبر من يصل إلى بلاده، استوعبوا الكتاب وأمعنوا في ذلك وعرفوه أنه ورد رجل صورته كذا، ولباسه كذا، وكتبوا عدد أصحابه وغلمانه وخدامه ودوابه وترتيب حاله في حركته وسكونه، وجميع تصرفاته لا يغادرون من ذلك شيئا، فإذا وصل الوارد إلى مدينة ملتان وهي قاعدة بلاد السند حتى ينفذ أمر السلطان بقدومه".[١١٤]

ب ـ اعطاء الواشى أموال الذي وشى به إذا ثبت التهمة:

ذكر إبن بطوطة عدة أمثلة على هذه العادة نذكر منها قصة طوغان الفرغانى وأخيه وهما من مدينة فرغانة في بلاد ماوراءالنهر وتقع الآن في جمهورية اوزبكستان. يقول:" كان

طوغان الفرغانى وأخوه من كبار أهل مدينة فرغانة فوفدا على السلطان فأحسن إليهما وأعطاهما عطاء جزيلا، وأقاما عنده مدة، فلما طال مقامهما أرادا الرجوع إلى بلادهما وحاولا الفرار، فوشى بهما أحد أصحابهما إلى السلطان فأمر بتوسيطهما فوسطا! وأعطى للذى وشى بهما جميع مالهما، وكذلك عاداتهم بتلك البلاد إذا وشى أحد بأحد وثبت ما وشى به فقتل أعطى ماله". [١١٥]

جـ - دار الأمن في الهند يدخلها كل من يخاف من أمر فيؤمن:

عند ذكر السلطان غياث الدين بلبن وعدله[١١٦] يقول إبن بطوطة :" وكان من خيار السلاطين عادلا حليما فاضلا ومن مكارمه أنه بنى دارا وسماها دار الأمن. فمن دخلها من أهل الديون قضى دينه، ومن دخلها خائفا أمن ومن دخلها وقد قتل أحدا أرضى عنه أولياء المقتول، ومن دخلها من ذوى الجنايات أرضى أيضا من يطلبه وبتلك الدار دفن لما مات وقد زرت قبره". [١١٧]

د - ذابح البقر في الهند يخاط في جلدها ويحرق:

البقرة من الرموز الهندية الهندوسية المقدسة لدى الهندوس، ومن عادة الهنود ألا يذبحوا البقر ولا يأكلون لحمه، وعندما حكم خسروخان - وكان أول عاهل في المملكة من أصل هندوسى. حاول منع المسلمين من ذبح البقر أيضا. يقول إبن بطوطة: "ولما ملك خسروخان آثر الهنود وأظهر أمورا منكرة منها النهي عن ذبح البقر

على قاعدة كفار الهنود فإنهم لا يجيزون ذبحها، وجزاء من ذبحها عندهم أن يخاط في جلدها ويحرق! وهم يعظمون البقر ويشربون أبوالها للبركة والاستشفاء إذا مرضوا، ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها، وكان ذلك مما بغض خسروخان إلى المسلمين وأمالهم عنه إلى تغلق". [١١٨]

١٣ ـ اللباس:

تعد الملابس من السمات الحضارية التي تميز الشعوب ويختار كل شعب زيا قوميا يعتز به ويعرف به بين الناس وقدذكر ابن بطوطة الثياب التي كان الهنود يرتدونها في ذلك الوقت، وهي الثياب البيضاء للمسلمين، وثياب الحرير، والثياب الخانبالقية، والثياب الرفيعة، وثياب القطن، وثياب الكتان المزركشة، وثياب الكمخا، والجل (وهو ماتلبسه الدابة)، ورفرف (الحجاب الشفاف الذي يسدل على وجه العروس)، وثياب الزرد خانه، وشاشية مذهبة، وصورة الشير (صورة السبع)، والعمائم، والفوطة، والقلنسوة، وقميص كتان مزركش بالذهب، والنعال، ونعال مرصع بالجوهر والياقوت نذكرمنها:

أ ـ فوطة:

الفوطة من الملابس الهندية الشائعة حتى الآن وهي مستعملة على نطاق واسع في جنوب الهند في مدراس وحيد رآباد،ولاتزال

كذلك تسعمل في شرق إفريقيا في تنزانيا وكينيا وكذلك في اليمن وعمان وباكستان وبنجلا ديش وجزر الهند الشرقية وسريلانكا. يقول إبن بطوطة عندما دخل مدينة جناني على ساحل نهر السند وتقع الآن في باكستان:" ودخلنا هذه المدينة في احتدام القيظ، وحرها شديد، فكان أصحابي يقعدون عريانين، يجعل أحدهم فوطة على وسطه، وفوطة على كتفيه مبلولة بالماء فما يمضي اليسير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطة فيبللها مرة أخرى، وهكذا أبدا".[١١٩]

ب ـ ثياب الكتان المزركشة:

ذكر إبن بطوطة ثياب الكتان المزركشة بالذهب عند لقاء الرعية بالسلطان في قصره. يقول:" فوصلنا إلى باب القصر وقد اجتمع جميع القادمين فكانوا يدخلون إلىالسلطان على قدر مراتبهم ويخلع عليهم ثياب الكتان المزركشة بالذهب".[١٢٠]

جـ ـ صورة الشير (صورة السبع):

صورة الشير من الخلع السلطانية التي يخلعها على كبار الضيوف والأمراء يقول إبن بطوطة:" وخلع عليه خلعة حرير مزركشة تسمى صورة الشير، ومعناه صورة السبع لأنه يكون في صدرها وظهرها صورة سبع، وقد خيط في باطن الخلعة بطاقة بمقدار مازركش فيها من الذهب".[١٢١]

١٤ـ المعلومات:

ذكر إبن بطوطة مجموعة من المعلومات الحضارية المهمة عن الهند وهي: أحجار على صورة الآدميين والطيور، وإحراق النساء في الهند، وأشجار بلاد الهند وفواكهها، والتتر، وتخريب دهلى، والجنائز والمآتم، وحيوان الكركدن، وحفظ النساء للقرآن في هنوز، والسلطان علاء الدين محمد شاه الخلجى، وشجرة درخت، وعرس أخت السلطان، والغلاء الواقع بأرض الهند، والغيطان (نوع من المزامير)، وكتاب بخط عثمان بن عفان في سيوستان، وكرامات، ولبس المظلوم ثوبا ذالون معين ليعرف، ومجلس السلطان محمد شاه. نذكر منها:

أـ عرس أخت السلطان:

وصف إبن بطوطة عرس أخت السلطان وزواجها الأمير سيف الدين. يقول:" ولما أمر السلطان بتزويج أخته للأمير غدا عين للقيام بشأن الوليمة ونفقاتها الملك فتح الله المعروف بشونويس ... وعيننى لملازمة الأمير غدا ... فأتى الملك فتح الله بالصيوانات فظلل بها المشورين بالقصر الأحمر المذكور، وضرب في كل واحد منهما قبة ضخمة جدا، فرش ذلك بالفرش الحسان، وأتى شمس الدين التبريزى أمير المطربن ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات والرواقص وكلهن مماليك السلطان، وأحضر الطباخين

والجنازين، والشوائين والحلوانيين، والشربدارية، والتنبول داران، وذبحت الأنعام والطيور، وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوما ويحضر الأمراء الكبار والأعزة ليلا ونهارا". [١٢٢]

ب - تخريب دهلى:

تحت عنوان ذكر تخريبه لدهلى ونفي أهلها تناول إبن بطوطة هذه الواقعة بالتفصيل وكان شاهدا عيانا عليها. يقول:" ومن أعظم ما كان ينقم على السلطان إجلاؤه لأهل دهلى عنها، وسبب ذلك أنهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبه ويختمون عليها ويكتبون عليه: وحق رأس خوند عالم ما يقرأها غيره! ويرمونها بالمشور ليلا فإذا فضها وجد فيها شتمه وسبه فعزم على تخريب دهلى، واشترى من أهلها جميعا دورهم ومنازلهم ودفع لهم ثمنها، وأمرهم بالانتقال عنها إلى دولة آباد، فأبوا ذلك فنادى مناديه أن لايبقى بها أحد بعد ثلاث، فانتقل معظمهم واختفي بعضهم في الدور ... ولما فعل ذلك خرج أهلها جميعا وتركوا أثقالهم وأمتعتهم وبقيت المدينة خاوية على عروشها، فحدثني من أثق به، قال: صعد السلطان ليلة إلى سطح قصره فنظر إلى دهلى، وليس بها نار ولا دخان ولا سراج، فقال: الآن طاب قلبى، وتهدن خاطرى ثم كتب إلى أهل البلاد أن ينتقلوا إلى دهلى ليعمروها فخربت بلادهم ولم تعمر دهلى لاتساعها وضخامتها، وهي من أعظم مدن الدنيا وكذلك وجدناها لما دخلنا إليها خالية ليس بها إلا قليل عمارة. [١٢٣]

١٥ ـ الأسواق:

ذكر إبن بطوطة عددا من أسواق الهند التي زارها وهي: أسواق أوجه، وأسواق جنانى، وسوق طرب آباد. نذكر منها:

أ ـ أسواق أوجه:

ذكر إبن بطوطة هذه الأسواق عند زيارته لمدينة أوجه. يقول :" وهي مدينة كبيرة على نهر السند، لها أسواق حسنة".[١٢٤]

ب ـ أسواق جنانى:

يقول إبن بطوطة عند وصفه لمدينة جنانى:" مدينة كبيرة حسنة على ساحل نهر السند لها أسواق مليحة".[١٢٥]

١٦ ـ الحصون والقلاع:

تناول إبن بطوطة في رحلته الحصون والقلاع التي مر عليها مثل: حصن أبى بكهر، وحصن كاليور، وحصن كنبيل، وقلعة الدويقير.

أـ حصن كاليور:

عند حديث إبن بطوطة عن الخلاف الذي نشب بين السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجى وإبنه خضرخان يقول:" وأمره أن يذهب به إلى حصن كاليور وضبطه بفتح الكاف المعقودة وكسر

اللام وضم الياء آخر الحروف وآخر راء، ويقال له أيضا كياليرا بزيادة ياء ثانية، وهو حصن منقطع بين كفار الهنود منيع على مسيرة عشر من دهلى، وقد سكنته أنا مدة فلما أوصله إلى هذا الحصن سلمه للكتوال وهو أمير الحصن". [١٢٦]

ثم يصف إبن بطوطة هذا الحصن في موضع آخر حيث يقول:" وحصن كاليور هذا في رأس شاهق كأنه منحوت من الصخر لا يحاذيه جبل، وبداخله جباب الماء ونحو عشرين بئرا، عليها الأسوار مضافة إلى الحصن، منصوبا عليها المجانيق والرعادات، ويصعد إلى الحصن في طريق متسعة يصعدها الفيل والفرس، وعند باب الحصن صورة فيل منحوت من الحجر وعليه صورة أفيال،وإذا رآه الإنسان على البعد لم يشك أنه فيل حقيقة". [١٢٧]

ويقع حصن كاليور على بعد ٦٥ ميلا جنوب مدينة أكرا وكان من أمنع السجون آنذاك.

ب ـ قلعة الدويقير:

ذكر إبن بطوطة هذه القلعة عند ذكر خروج السلطان محمد تغلق بنفسه إلى كنبايه بعد أن وصله خبر ما فعله الأفغان بكنباية ودولة آباد وقد هزمهم أقبح هزيمة. يقول:" ولجأ إبن ملك مل والقاضى جلال في نحو أربعمائة من خواصهما إلى قلعةالدويقير، وهي من أمنع قلعة في الدنيا، واستقر السلطان بمدينة دولة آباد والدويقر هي قلعتها". [١٢٨]

١٧ ـ الجوامع والمساجد والمدارس:

زار ابن بطوطة الجوامع والمساجد والمدارس ووصفها بدقة مثل: جامع دهلى، وجامع الملتان، وجوامع عظمى متفرقة، ومساجد جامعة، ومدرسة إبن الكولمى، ونذكر منها هنا:

أـ جامع دهلى:

جامع دهلى ويسمى كذلك مسجد قوة الإسلام شيده السلطان قطب الدين أيبك على أنقاض معبد هندوسى، وبدأ في تشيده سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، ثم قام التمش بتوسيعه في القرن السابع الهجرى، الثالث عشر الميلادى، ويوجد في وسط الجامع عمود هائل نقل إليه من معبد فيشنو، وفي الصحن الشمالي من الجامع شيد قطب الدين أيبك منارته الشهيرة المعروفه باسم قطب مينار أو منارة القطب وهي من عجائب الدنيا وقد أ تم التمش بناءها عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ثم جاء فيروز شاه تغلق (٧٥٢ـ٧٩٠هـ/١٣٥١ـ١٣٨٨م) وأضاف إليها علوا ويبلغ ارتفاعها الآن نحو ٢٣٥قدم. يقول إبن بطوطة :"وجامع دهلى كبير الساحة حيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت، ملصقة بالرصاص أتقن إلصاق، ولاخشبة به أصلا، وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة، ومنبره أيضا من الحجر، وله أربعة من الصحون، وفي وسط الجامع العمود الهائل الذي لايدري من أي المعادن هوذكر لي بعض

حكمائهم أنه يسمى هفت جوش بفتح الهاء وسكون الفاء وتاء معلوة وجيم مضموم وآخره شين معجم، ومعنى ذلك، سبعة معادن، وأنه مؤلف منها، وقد جلى من هذا العمود مقدار السبابة، ولذلك المجلو منه بريق عظيم، ولايؤثر فيه الحديد، وطوله ثلاثون ذراعا، وأدرنا به عمامة فكان الذي أحاط بدائرته منها ثماني أذرع.

وكان موضع هذا المسجد بذخانه، وهو بيت الأصنام، فلما افتتحت جعل مسجدا.

وفي الصحن الشمالي من المسجد الصومعة التي لا نظير لها في بلاد الإسلام، وهي مبنيه بالحجارة الحمر خلافا لحجارة سائر المسجد فإنها بيض، وحجارة الصومعة منقوشة، وهي سامية الارتفاع وفحلها من الرخام الأبيض الناصع، وتفا فيحها من الذهب الخالص، وسعة ممرها بحيث تصعد فيه الفيلة. وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة ممرها بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة وصعدتها مرة فرأيت معظم دور المدينة، وعاينت الأسوار على ارتفاعها وسموها منحطة، وظهرلي الناس في أسفلها كأنهم الصبيان الصغار، ويظهر لناظرها من أسفلها أن ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها وسعتها". [١٢٩]

١٨ ـ المشاهد والمقابر:

زار إبن بطوطة عددا من المشاهد والمقابر في الهند وأبدى احتراما وتبجيلا لها وقد علمنا من قبل الميول الصوفية لإبن بطوطة

فزار مقبرة بختيار الكعكى، وقبر سالارعود، وقبر عثمان المر ندى، وقبر علاء الدين الكرمانى، وقبر فريد الدين البذاونى، ومقبرة السلطان قطب الدين. نذكرمنها:

أ ـ قبر بختيار الكعكى:

هو قطب الدين بختيار الكعكى المتوفي عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م وكان تلميذا لمعين الدين الجشتى مؤسس الطريقة الجشتية في الهند وخليفته في دهلى، وقبره الموجود في قرية مهر ولي كان محل تقدير سلاطين الهند. يقول ابن بطوطة :" قبر الشيخ الصالح قطب الدين بختيار الكعكى وهو ظاهر البركة كثير التعظيم، وسبب تسمية هذا الشيخ بالكعكى أنه كان إذا أتاه الذين عليهم الديون شاكين من الفقر أو القلة أو الذين لهم البنات ولايجدون ما يجهزونهن به إلى أزواجهن يعطي من أتاه منهم كعكة من الذهب أو الفضة، حتى عرف من أجل ذلك بالكعكي ـ رحمه الله ـ "[١٣٠]

ب ـ قبر فريد الدين البذاونى:

فريد الدين مسعود الملقب بشكركنج (أي مخزن السكر) توفي عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م وكان تلميذا لقطب الدين بختيار الكعكى وخليفته وأسس الطريقة الجشتية في مدينة اجودهن. والتقى إبن بطوطة بحفيديه معز الدين الذي تولى الشياخة خلفا لوالده، وعينه السلطان محمد تغلق حاكما على الكجرات ثم قتل أثناء ثورة ٧٣٨هـ/١٣٤٨م، وعلم الدين وكان من كبار رجال الفتوى في

دهلى. يقول إبن بطوطة: "وزرت قبر جده القطب الصالح فريد الدين البذاونى منسوبا إلى مدينة بذاون بلد السنبل، وهي بفتح الباء الموحدة والذال المعجم وضم الواو وآخرها نون". [١٣١]

١٩ـ منشآت متنوعة:

وهناك منشآت متنوعه زارها إبن بطوطة في الهند وقدم لها وصفا دقيقا وهي: أبراج بدركوت، وأبراج الخشب، وأبواب دهلى، والأنبارات (مخازن الطعام) والحمامات، والخرمقة (بيت من الخشب)، والشطر (المظلة)، والمخزن (بيت المال)، والمشور الكبير المسمى هزار أسطون. نذكر منها:

أـ الشطر (المظلة):

الشطر : هي المظلة التي ترفع على رأس السلطان لتقيه الحر والمطر وبهايعرف في المعركة، وعند ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه يقول إبن بطوطة:" والسلطان هنالك يعرف بالشطر الذي يرفع فوق رأسه وهو الذي يسمى بديار مصر القبة والطير، ويرفع بها في الأعياد، وأما بالهند والصين فلا يفارق السلطان في سفر ولا في حضر". [١٣٢]

ب ـ المشور الكبير المسمى هزار اسطون:

قصر هزار ستون أي قصر الألف عمود بناه السلطان محمد تغلق في جهان بناه ولايزال صامدا حتى الآن، وقد زاره إبن بطوطة عند لقاءه بالسلطان: يقول: "ولما دخلنا من الباب الثالث

ظهر لنا المشور الكبير المسمى هزار اسطون، ومعنى ذلك ألف سارية وبه يجلس السلطان الجلوس العام، فخدم الوزير عند ذلك حتى قرب رأسه من الأرض وخدمنا نحن بالركوع .. وخدم جميع من معنا، فلما فرغنا من الخدمة صاح النقباء بأصوات عالية: بسم الله، وخرجنا".[١٣٣]

٢٠ ـ المواد:

تعرض إبن بطوطة لذكر المواد المتنوعة التي اختصت بها الهند دون غيرها مثل: الأرمك.

(الكتان)، وجلد الفرس، والحجارة البيض والحمر المنقوشة، والحرير الأبيض المذهب، والحرير الأحمر والحرير الأسود المذهب، والخشت، والذهب المرصع بالجواهر، والرخام، وريش الطواويس، وزيت الجلجلان (السمسم)، والصندل، والقصدير، والمقاصرى (نوع من الصندل)، وهفت جوش. نذكر منها.

أ ـ الخشت:

الخشت هي قطع من الذهب والفضة الخالصة في حالتها الأولى قبل أن يتم تشكيلها إلى حلى، وذكرها إبن بطوطة ضمن ما يقدر من هدايا عمال السلطان عندما يأتون لزيارته. يقول :" وإذا أتى العمال بالهدايا والأموال المجتمعة من مجابي البلاد صنعوا الأواني من الذهب والفضة ... وصنعوا من الذهب والفضة قطعا شبه الآجر يسمونها الخشت، بكسر الخاء المعجمة، وسكون الشين

المعجم وتاء معلوة، ويقف الفراشون وهم عبيد السلطان صفا والهدية بأيديهم، كل واحد منهم ممسك قطعة". [١٣٤]

ب ـ ريش الطواويس:

ريش الطواويس من المواد التي تتميز بها الهند عن غيرها من الأمم وتستخدم الآن للزينة لتنوع ألوانها وقد ذكرها إبن بطوطة عند ذكره لوصف ما يرتديه نقيب النقباء الذي يجلس على باب قصر السلطان. يقول :" يقعد نقيب النقباء وبين يديه عمود ذهب يمسكه بيده على رأسه كلاه من الذهب في أعلاها ريش الطواويس والنقباء بين يديه". [١٣٥]

٢١ ـ النباتات:

النباتات من المجالات الحضارية التي ذكرها إبن بطوطة في رحلته للهند وقدم لها وصفا طريفا وهي: الإبنوس، وأشجار وفواكه الهند، وأم غيلان، والبر، وتندو (ثمر شجر الإبنوس، والجلبان، والجلنار، والحناء، والزعفران، والسمسم، والشاماخ (حبوب بالهند)، و الصفصاف، والعدس، والعفص والفوفل، والفول، والقال والقثاء والقصيل، والكذور، والكركم،واللوبيا، واللليم، والماش، والمنج، والمهوا (شجر بالهند). ونذكر منها:

أـ أشجار وفواكه الهند:

ويندرج تحت هذا العنوان كثير من نباتات الهند وفواكهها التي توقف عندها إبن بطوطة كثيرا وحاول تقريب صورتها

للقارئ العربي بمقارنتها بما في بلاد نا من نباتات تشبهها أو تقترب من صورتها. يقول:" وليس هنالك من أشجار بلادنا شئ ما عدا النبق [وهو ثمر السدرة] لكنه عندهم عظيم الجرم وتكون الحبة بمقدار حبة العفص، شديد الحلاوة، ولهم أشجار كثيرة ليس يوجد منها شئ ببلادنا ولا بسواها ! فمنها العنبة (المانجو) بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة، وهي شجرة تشبه أشجار النارنج إلا أنها أعظم أجراما وأكثر أوراقا ... وثمرها على قدر الإجاص الكبير، فإذا كان أخضر قبل تمام نضجه أخذ واما سقط منه وجعلوا عليه الملح وصيروه كما يصير الليم والليمون ببلادنا ... فإذا نضجت العنبة في أوان الخريف اصفرت حباتها فأكلوها كالتفاح فبعضهم يقطعها بالسكين، وبعضهم يمصها مصا، وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة، ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الأشجار.

ومنها الشكى والبركى بفتح الشين المعجم وكسر الكاف، وفتح الباء الموحدة وكسر الكاف أيضا وهي أشجار عادية أوراقها كأوراق الجوز ... ولكل حبة نواه تشبه الفول الكبير ... وهذا الشكى والبركى هو خير فاكهة ببلاد الهند. ومنها التندو، بفتح التاء المثناه وسكون النون وضم الدال، وهو شجر الإبنوس، وحباته في قدر حبات، المشمش ولونها".[١٣٦]

ب ـ الكـذرو والقـال والشـاماخ والمـاش والجلـبان والمـنج واللوبيا:

يذكر إبن بطوطة هذه الحبوب تحت عنوان " ذكر الحبوب التي يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها" يقول:" ومن هذه الحبوب الخريفية عندهم الكذرو بضم الكاف وسكون الذال المعجم وضم الراء بعدها واو، وهو نوع من الدخن ... ومنها القال، بالقاف، وهو شبه أنلى. ومنها الشاماخ، بالشين والخاء المعجمين، وهو أصغر حبا من القال، وربما نبت هذا الشاماخ من غير زراعة، وهو طعام الصالحين وأهل الورع والفقراء والمساكين ... ومنها الماش وهو نوع من الجلبان [الفاصوليا]. ومنها المنج بميم مضموم ونون وجيم، وهو نوع من الماش إلا أن حبوبه مستطيلة، ولونه صافي الخضرة ... ومنها اللوبيا وهي نوع من الفول". [١٣٧]

٢٢ ـ النقود:

النقود من المظاهر الحضارية التي تحرص عليه الأمم وتعد عملة الدولة من أهم رموزها السيادية وقد حرص إبن بطوطة على ذكر نقود الهند المستعملة والمتداولة بين الناس وفصل فيها القول وقارن بينها وبين النقود في الدول الإسلامية الأخرى فذكر التنكة والدراهم والدينار الهندى، والفليسات، والودع (عملة سائدة)، وسياه (مائة ودع)، ومن الأرقام المستخدمة في النقود كذلك : اللك (لاكه) وهو مائه ألف، وكرور (مائة لاكه).نذكرمنها:

أ ـ التنكة :

كانت التنكة (التنجة) أكثر النقود تداولا في الهند وآسيا الوسطىعند زيارة إبن بطوطة لتلك المناطق، والتنجه في الوقت الحاضر هي العملة الرسمية لجمهورية قازاقستان أكبر جهوريات آسيا الوسطى وقد ذكرها إبن بطوطة في أكثر من موضع له في الهند. يقول عند ذكر عطاء السلطان لشهاب الدين الكازرونى التاجر:" امش.الساعة إلى الخزانة وخذ منها مائة ألف تنكة من الذهب واحملها إليه حتى يبقى خاطره طيبا، ففعل ذلك".[١٣٨]

وفي موضع آخر يذكر إبن بطوطة التنكة عندما دفع له السلطان دينه يقول:" وأتانى الخازن، فقال: ابعث أصحابك يقبضون المال فبعثتهم وعدت إلى داري بعد المغرب، فوجدت المال بها وهو ثلاث بدر فيها ستة آلاف ومناتان وثلاث وثلاثون تنكه، وذلك صرف الخمسة والخمسين ألفا التي هي دين على وصرف الإثني عشر ألفا التي أمر لى بها فيما تقدم بعد حط العشر على عادتهم، وصرف التنكة ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب".[١٣٩]

ب ـ الدينار الهندي:

الدينار الهندي العملة الثانية المتداولة في الهند في زمن إبن بطوطة بعد التنكة، والتنكة كانت تساوي عشرة دنانير. يقول:" فأخذ وا ما كان بها من مال السلطان وذلك إثنا عشر لكا، واللك: مائة ألف

دينار، وصرف اللك عشرة آلاف دينار من ذهب الهند وصرف الدينار الهندي ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب". [١٤٠]

٢٣ ـ المصطلحات الحضارية:

تناول إبن بطوطة في رحلته للهند عددا هائلا من المصطلحات الحضارية واجتهد كثيرا في شرح هذه المصطلحات أوترجمة معانيها إلى العربية إذاكان المصطلح الذي ذكره باللغة الفارسية أوالأردية أو التركية وهي: الآبدارية (السقاؤون) والأردو (المحلة أوالمعسكر)، وأرسال (مبعوثين)، والأعزة (الغرباء)، والباين (الحوض) والبرددارية (خواص البوابين)، والبروانة (الحكم من الوزير للخازن بالعطاء)، والبوالشت والبيادة، والتيغدارية (أصحاب السيوف)، والتنبول دارية (الذين يعطون التنبول)، وخاص حاجب (وظيفة الحجابة)، والخان الأعظم (معلم السلطان)، والختميون (قراء القرآن الحكيم)، والخرمقة (خركاه)أي الخيمة، والخريطة دار (صاحب الكاغد والأقلام)، وخط خرد (إذن الصرف)، وخوند عالم (السلطان)، والداوا دار (صاحب الدواة)، الداوة (ثلث ميل)، الدبوقة (الضفيرة)، ودلشاد (القلب الفارح)، والدوادية، والرأي (الملك)الرطل الهندى، والزبانية (حراس السلطان)، والزله (الطعام الخفيف يحمله المرء معه)، والزماميون (الحراس المقيدة أسماءهم)، والستائريون (الذين يمسكون دواب الخدام)وسرجامدار (الذي يشرد الذباب عن السلطان)، سرشستى (غسل الرأس) أي الإكرامية الأولى من الملك، والسلحدارية (فئة

من الجند)، والسمار (حراس الليل)، والشحنة (الحاكم)، والشربدارية (الذين يسقون الشراب)، وشرف الحجاب، والشطر دارية (الذين يرفعون الشطر أي المظلة)، وصفدار (مرتب العساكر)، والطشتدارية (حاملوا الطسوت)والغاشى (ستارة السرج)، وقاضى دار الملك، والقصاب، والكردوبى (العمال على النواحى) والكروه (الميل)، وكسأي (اسم الله عند الهنود)، وكلكى (اسم يطلق على الوزير الأكبر)، وكليت دار (صاحب المفاتيح)، والكناسات (نسوة)، وكفتار (ساحرة)، والكلوانى (راعى الخيل)، والكهارين (الذين يحملون أوانى المطبخ)، والكيوانية (رجال يحملون الصيوان)، و المحتسب، والمخدومة، والمشور، والمكوس (الضرائب التي تؤخذ من التجار)، والمن، والنيزدارية (الرماحون)، وكيل الدار، واليراق (تضمير الخيل). نذكر منها:

أ- أميرحاجب وخاص حاجب ووكيل الدار وسيد حاجب وشرف حاجب:

ذكرابن بطوطة هذه المصطلحات الحضارية عند حديثه عن جلوس السلطان وترتيب دخول الغرباء وأصحاب الهدايا إليه وهذه المصطلحات في نفس الوقت من الوظائف الهامة في بلاط سلطان الهند. يقول إبن بطوطة :" وقعوده كجلوس الإنسان للتشهد في الصلاة، وهو جلوس أهل الهند كلهم، فإذا جلس وقف أمامه الوزير، ووقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب، وكبير

الحجاب وهو فيروز ملك إبن عم السلطان ونائبه، وهو أدنى الحجاب من السلطان، ثم يتلوه خاص حاجب، ثم يتلوه نائب خاص حاجب ووكيل الدار ونائبه، وشرف الحجاب، وسيدالحجاب،وجماعة تحت أيديهم، ثم يتلو الحجاب النقباء."[141]

وفي موضع آخر يذكر إبن بطوطة ترتيب الحجاب عند تقديم هدية للسلطان. يقول:" وإن كان بالباب أحد ممن قدم على السلطان بهدية دخل الحجاب إلى السلطان على ترتيبهم يقدمهم أمير حاجب ونائبه خلفه ثم خاص حاجب ونائبه خلفه، ثم وكيل الدار ونائبه خلفه، ثم سيد الحجاب، وشرف الحجاب، ويخدمون في ثلاثة مواضع، ويعلمون السلطان بمن في الباب". [142]

ب ـ البروانة والخان الأعظم والخريطة دار وخط خرد وخوند عالم والدوادار:

شرح إبن بطوطة هذه المصطلحات الحضارية التي كانت تعد من الوظائف المهمة في مملكة الهند آنذاك وفسرها تفسيرا دقيقا للقارئ العربى يقول:" ثم أتاني بعض الحجاب فقال: أعطني شيئا وآخذ خط خرد بإثنى عشر ألفا أمرلك بها خوند عالم، فلم أصدقه وظننته يريد الحيلة على، وهو مجد في كلامه فقال بعض الأصحاب : أنا أعطيه، فأعطاه دينارين أو ثلاثة وجاء بخط خرد، ومعناه الخط الأصغر مكتوبا بتعريف الحاجب، ومعناه: أمر خوند عالم أن يعطى

من الخزانة الموفورة كذا لفلان بتبليغ فلان أي بتعريفه، ويكتب المبلغ اسمه ثم يكتب على تلك البراءة ثلاثة من الأمراء وهم الخان الأعظم قطلوخان معلم السلطان، والخريطة دار، وهو صاحب خريطة الكاغد والأقلام، والأمير نكبينة الدوادار صاحب الدواة، فإذا كتب كل واحد منهم خطه يذهب بالبراءة إلى ديوان الوزارة فينسخها كتاب الديوان عندهم ثم تثبت في ديوان الأشراف، ثم تثبت في ديوان النظر ثم تكتب البروانة وهي الحكم من الوزير للخازن بالعطاء، ثم يثبتها الخازن في ديوانه". [١٤٣]

الحواشي والتعليقات

١- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي : رحلة إبن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار •تحقيق عبد الهادي التازي •مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية الرباط ١٤١٧ ـ١٩٩٧م وتقع في خمسة أجزاء خصص الأجزاء الأربعة الأولى للرحلة والجزء الخامس للفهارس.

٢- من بين هذه الدراسات ارجع إلى :

- Gibb. A-R Hamilton: Thetravels of Ibn Battuta. The Hakluty Society.1959.

- Herbek, Ivan : The chronology of Ibn Battuta Travels, Archiv orientalni XXX. Prague. 1962.

- Rosse Dunn : The Adventures of Ibn Battuta, Groom Helm. Londonand Sydney. 1986.

- أيضا: كراتشكو فسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي الطبعة الثانية دار الغرب الإسلامي ١٤٠٨ هـ- ١٩٧٨م

التر جمات الأردية لرحلة إبن بطوطة هي :

- مولوي محمد حسين :عجائب الأسفار شيخ ابن بطوطة كاسفر نامة ٠ دهلي ١٩١٣م

رئيس أحمد جعفري : سفر نامة إبن بطوطة ٠نفيس أكاديمي ٠ كراجي ١٩٦١٠م

مولوي عبد الرحمن خان : خلاصة تحفة النظار يعني سفر نامة شيخ ابن بطوطة دهلي ١٩٧٢ م

٤- هذا التاريخ اعتمادا على ما ذكره إبن جزي في الرحلة انظر : إبن بطوطة رحلة إبن بطوطة :١/ ١٥٣

٥- المقريزي : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ٠نقلا عن عبد الهادي التازي : مقدمة رحلة إبن بطوطة: ٨٠/١

٦- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة : ٢٣٤٠/٣

٧- ياقوت الحموي : المشترك وضعا المختلف صقعا. ٢٩٥:١٨٤٦.

٨- حسين مؤنس :إبن بطوطة ورحلاته دار المعارف ٠ القاهرة ١٧: ١٩٨٠

٩- عبد الهادي التازي : رحلة إبن بطوطة : المقدمة ٠ ٨٤/١

١٠- حسين مؤنس : المرجع السابق :١٦

١١- إبن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة تحقيق محمد سيد جاد الحق ٠ الطبعة الثانية ٠ دار الكتب القاهرة ١٣٨٥ ــ١٩٦٦م٠ ١٠٠/٤

١٢- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٥٣/٠١

١٣- اندريـــه ميكـيل : العــرب والإســلام وأوروبــا • مركــز الحريري الثقافي بيروت ١٩٩٣ ـ ٢٥٢

١٤- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة : ١٤٩/١

١٥-إبن بطوطـة : رحلـة إبن بطوطة (مقدمة التازي) ١٣٠ ـ ١٣١

١٦- توفـي جوهـن لـود فبج بـور كهـا ردت بالقاهـرة فـي ١٧ أكـتوبر ١٨١٧ م عهـدت إلـيه الشـركة الأفريقـية بلـندن بـزيارة إفريقـيا ، ونظـرا لتمكـن بوركهـاردت مـن اللغـة العربـية ومـن معـرفة الديـن الإسـلامي فقـد تـنكر فـي صـفة مسلم وسـافر مـن القاهرة للنوبة عام ١٨١٣م ثم زار مكة والمدينة ١٨١٤م وسيناء عـام ١٨١٦م ، ولـه مـن الكتـب رحلـة إلـى بـلاد الـنوبة ١٨١٩م ، ورحلـة فـي سـوريا والـبلاد المقدسـة ١٨٢٢م ، ورحلـة للجزيـرة العربية عام ١٨٢٩م •

١٧- رحلة إبن بطوطة (مقدمة التازي) ١٠١-١٠٢

١٨- كــرا تشــكو فسـكي : تــاريخ الأدب الجغرافــي • تــرجمة صـلاح الدين هاشم عثمان ٤٥٦

19- Hansvonmzik : Die Reise des Arabers Ibn Battuta druch Indien un China. Himburg. 1911.

20 – Herbek, Ivan : The chronology of Ibn Battuta Travels, Archiv orientalni XXX. Prague. 1962.

21 – Gabreli: viaggiatori arabi, biblioteca Sansoni firenze viaggi di Ibn Battuta Scelta. 1961.

٢٢- أحمـد العوامـري ومحمـد أحمـد جـاد المولـي : مهـذب رحلـة إبن بطوطة • المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٣٣م

٢٣- رحلة إبن بطوطة : دار صـادر بيروت ١٣٧٩- ١٩٦٩م

٢٤- رحلة ابن بطوطة : دار الكتاب اللبناني سلسلة كتاب التحرير ١٦٦- ١٣٨٦ ١٩٦٠م

٢٥- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة تحقيق عبد الهادي التازي مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية الرباط

٢٦- ترجم الدكتور ابراهيم نعمة الله رحلة ابن بطوطة إلى وسط آسيا إلى اللغة الأوزبيكية وأهداني إياها عندما حضرت المؤتمر الدولي الذي عقد في طشقند في نوفمبر ١٩٩٧م وكان بعنوان (آسيا الوسطى وعلاقاتها بالعالم الإسلامي)وذلك من قبل كلية الاستشراق بطشقند وقدمت بحثا بعنوان (سمرقند وبخارى في رحلة ابن بطوطة) باللغة الأردية ونشر مترجما باللغتين الروسية والأوزبيكية ويعكف الآن مجموعة من الباحثين في معهد الاستشراق بمدينة آلماطي – قازاقستان على ترجمة رحلة ابن بطوطة إلى اللغة القازاقية وذلك بعد أن قدمت بحثا بعنوان (قازاقستان عند الرحالة العربي ابن بطوطة) واوصي البحث بترجمة الرحلة إلى اللغة القازاقية باعتبارها مصدرا هاما من المصادر التاريخية واللغوية لقازاقستان وذلك في ندوة عالمية بعنوان (قازاقستان في المصادر العربية) في ١ يونية ٢٠٠٤م

٢٧- نذكر من هؤلاء المؤرخين الذين نقلوا عن ابن بطوطة مايلي:

ملا محمد قاسم هندوشاه : تاريخ فرشته ٠ لكهنو ٠ ١٣٢٣

Mahdi Hussain : The Rise and Full of Muhammad bin Tughluq. London. 1918.

أحمد محمود الساداتي :تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ٠الجزء الأول مكتبة الأداب القاهرة ١٩٥٧م

محمد إكرام : آب كوثر تاج كمبني تركمان كيت دهلي ١٩٨٧م

أنـوار هاشـمي : تـاريخ باك وهند ٠ كراجي بكسبيبتر ٠ باكستان ١٩٨٤م

Ischwariprasad : History of Medieval India. Allahabad . 1925.

28- Ischwariprasad : History of Medieval India. Allahabad . 1925. 227-228.

٢٩- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة :١٣٩/٣

٣٠- مـلا محمد قاسم هند وشاه : تاريخ فرشته لكهنو ١٣٢٣-١/ ١٣٠

٣١- أنـوار هاشـمي تـاريخ بـاك وهند كراجي بك سينتر باكستان ١٩٨٤م ١١٠-١١١

٣٢- أحمد محمود السـاداتي (دكتور): تاريخ المسلمين في شبه القـارة الهندية وحضـارتهم ٠الجزء الأول مكتبة الآداب القاهرة ١٩٥٧م١٥٠٠

٣٣- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة :١٣٩/٣

34- Ahmed Nabikhan: Development of Mosque Archtecture in Pakistan, Islamabad . 1986. p. 35-36.

٣٥-البذاونـي لقب الشيخ نظام الدين أولياء(١٢٣٨ – ١٣٢٤م) وكـان مـن أشـهر المتصـوفة الممثلين للطـريقة الحبشتية في الهند ونـال هذا اللقب لتلمذته على يد فريد الدين البذاونـي وقبره في دهلـي وقد رأيت المنزل الذي عاش فيه إبن بطوطة بجوار قبره في دهلي ٠(الباحث)

٣٦- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة :١٤٢/٣-١٤٣

٣٧- أنوار هاشمي :تاريخ باك وهند ١١٣٠-١١٦

٣٨- مـلا محمد قاسم هند وشاه :تاريخ فرشته ١٣٥/١

39- Ischwariprasad : History of Medieval India. Allahabad . 1925. p. 235

٤٠- شيخ محمد إكرام :آب كوثر ٣٩٨-٣٩٩

٤١-إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة :١٤٩/٣

٤٢- محمد إكرام: آب كوثر ٤٠١

٤٣- أنوار هاشمي : تاريخ باك وهند ١١٦

٤٤- أحمد محمود الساداتي :تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ١٤٠/١ وأيضا

Ischwariprasad : History of Medieval India. Allahabad . 1925. 227-228.

٤٥- حسين مؤنس (دكتور):إبن بطوطة ورحلاته٠ دار المعارف ٠ القاهرة ١٩٨٠م ٩و ١٥٤

٤٦- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة :٧١/٣ والأنهار الخمسة التي يتكون منها (بنج آب)هي السند وجناب وراوي وستلج وبياس

٤٧- حسين مؤنس (دكتور): إبن بطوطة ورحلاته ١٦٠

٤٨- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة :٢٢٥/٣-٢٢٦

٤٩- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٢٣٤/٣

٥٠- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة٢٣٥/٣-٢٣٦

٥١- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٢٢٩/٣

٥٢- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٧٥/٣

٥٣- إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٢٠٩/٣

٥٤- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٢٤٩/٣

٥٥- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة تحقيق عبد الهادي التازي ٨٧/١

٥٦- أحمد مطلوب (دكتور) : الملامح الاقتصادية في رحلة إبن بطوطة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٩٤م

٥٧- سليم النعيمي : ألفاظ من رحلة إبن بطوطة مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٧٤م ٨٧

٥٨- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة: ٧٣/٣ وأيضا

Ahmed Nabikhan: Development of Mosque Archtecture in Islamabad . 1986. p. 35-36. Pakistan,

٥٩- إبن بطوطة:رحلة إبن بطوطة :٢٠٥/٣

٦٠- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة :٧/٤ وتحقيق عبد الهادي التازي للرحلة :١٣٣/١

أيضا :بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٠م ٢٠٧ـ ٢٠٨

٦١- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة ١٤١/٣و ١٤٤

٦٢- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة ١٨٢/٣

٦٣- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة ١٠٣/٣

٦٤- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة٢٢٤/٣

٦٥- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة٢٢٩/٣

٦٦- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة٢٠١/٣

٦٧- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة٢٠٩/٣

٦٨- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة٢٢٢/٣

٦٩- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة١٦٨/٣-١٦٩

٧٠- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة١٧٠/٣

٧١- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة١٤١/٣

٧٢- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة٣/ ٧١ أيضا :أنظر ملاحق المجالات الحضارية لرحلة إبن بطوطة رقم ١

٧٣- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة٣ / ٩٠

٧٤- إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ٧١

٧٥- إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة٣/ ٧

٧٦- إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة٣/ ٧٩

٧٧- إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة٣/ ٥

٧٨-إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة٣/ ٨٥

٧٩-إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ٨٧

٨٠-إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ٨٨

٨١-إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ٨٣

٨٢-إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ٩٩

٨٣-إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ١٠١-١٠٢

٨٤-إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ١٠٣

٨٥-إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ١٠٤ والرعادات هنا نوع من القذّافات وهي أخف من المجانيق ويرى النعيمي أنها مقلوب عرادة ترمي بقذافات محرقة ٠مجلة المجمع العلمي العراقي ٠ المجلد ٢٤ سنة ١٩٧٤م ص: ٢٢-٢٣

٨٦- إبن بطوطة:رحلة إبن بطوطة:٣/ ١١٩ وانظر الملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم ٢.

٨٧- إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ٧٥

٨٨- إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ١٠٠

٨٩- إبن بطوطة: رحلة إبن بطوطة ٣/ ٧٢

٩٠- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٣٩/٣

٩١- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٢٣٧/٣ وانظر ملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم ٣

٩٢- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٨٢/٣-٨٤

٩٣- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٦٩/٤

٩٤- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٢٢٧/٣

٩٥- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٢٢٥/٣ وانظر ملاحق المجالات الحضارية : رقم ٤

٩٦- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٣٢/٣

٩٧- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٢٢/٣

٩٨- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٥٩/٣ وانظر ملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم ٥

٩٩- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٢٣/٣

١٠٠- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٦٥/٣

١٠١- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٠١/٣

١٠٢- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٨٨/٣ وانظر ملاحق المجالات الحضارية رقم ٦

١٠٣- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٥٧/٣

١٠٤- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٣٧/٣- ١٣٨ وانظر ملاحق المجـــالات الحضارية رقم ٧

١٠٥- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٨٧/٣

١٠٦- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٧٧/٣ وانظر ملاحق المجالات الحضارية رقم ٨

١٠٧- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٧٥/٣-٧٧

١٠٨- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة١٥٥/٣

١٠٩- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة٧٩/٣ وانظر ملاحق المجالات الحضارية رقم ٩

١١٠- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ١٦٠/٣

١١١- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٢٢٦/٣-٢٢٧

١١٢- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٩٣/٣ وانظر ملاحق المجالات الحضارية رقم ١٠

١١٣- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٩٤/٣- ٩٥ وانظر ملاحق المجالات الحضارية رقم ١١

١١٤- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة : ٧٢/٣ و٧٥

١١٥- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة :٣/ ١٩٢

١١٦- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة:١٢٤/٣ - غياث الدين بلبن اشتراه ايلتمش عام ٦٣٠ /١٢٣٣م ثم أصبح حاجبا لناصر الدين منذ بداية حكمه عام ٦٤٤ /١٢٤٦م وأصبح الحاكم الفعلي للدولة وخلفه بعد موته في ١٠ جمادى الأولى ١٨/٦٦٥ فبراير ١٢٦٦م وظل يحكم الهند إلى أن توفي عام ٦٨٥ / ١٢٨٧م

١١٧- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة :٣-١٢٤

١١٨- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة٣-١٣٨٣٩وانظر ملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم ١٢

١١٩- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٣-٧٩

١٢٠- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة٣-٢٢٩

١٢١- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٣-٢٣٣وانظر ملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم١٣

١٢٢- إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة ٣-١٧٧-١٧٨

١٢٣- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ٣-١٩٣وانظر ملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم١٤

١٢٤- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ٣-٨٧

١٢٥- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ٣-٧٧ وانظر ملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم١٥

١٢٦- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة ٣-١٣٣

١٢٧- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة ١٣٦/٣

١٢٨- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة ٣-٢٢١ وانظر ملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم ١٦

١٢٩- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة ٣- ١٠٧و١٠٩ انظر ملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم ١٧

١٣٠- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة ١١٣/٣

١٣١- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة ٩/٣ ٩ وانظر ملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم ١٨

١٣٢- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة١٤٠/٣

١٣٣- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة٢/٣ ٤٢ وانظر ملاحق المجالات الحضارية للرحلة رقم ١٩

١٣٤- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة١٥٧/٣

١٣٥- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة١٥٠/٣ وانظر ملاحق المجالات الحضارية رقم ٢٠

١٣٦- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة٩٣/٣-٩٤

١٣٧- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة٣/ ٩٥-٩٦ وانظر ملاحق المجالات الحضارية رقم ٢١

١٣٨- ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة ٣/ ١٦٧

١٣٩- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة٣/٢٤٢

١٤٠- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة٣/ ٨١-٨٢ وانظر ملاحق المجالات الحضارية رقم ٢٢

١٤١- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة ٣/١٥٢

١٤٢- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة٣/١٥٥

١٤٣- إبن بطوطة :رحلة إبن بطوطة :٣/٢٣٥ وانظر ملاحق المجالات الحضارية رقم ٢٣

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية:

١- إبن بطوطة (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى) : رحلة إبن بطوطة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار تحقيق عبد الهادى التازى. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية. الرباط.١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢ - إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة. دار صادر. بيروت. ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

٣ - إبن بطوطة : رحلة إبن بطوطة. دار الكتاب اللبنانى. سلسلة كتاب التحرير ١٦٦.

بروت : ١٩٦م.

٤ - إبن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق محمد سيد جاد الحق.

الطبعة الثانية. دار الكتب الحديثة. القاهرة. ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

٥ - أحمدبك عيسى: التهذيب في أصول التعريب. بيروت. ١٩٨٠م.

٦ ـ أحمد العوامرى ومحمد أحمد جاد المولى: مهذب رحلة إبن بطوطة. المطبعة الأميرية. القاهرة. ١٩٣٣

٧ ـ أحمد محمود الساداتى (دكتور): تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم.الجزء الأول. مكتبة الآداب. القاهرة. ١٩٥٧م.

٨ ـ الادريسى (الشريف) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مطبوعات المعهد الشرقى. نابولى ١٩٨٢ ـ ١٩٨٤م. الجزء العاشر.

٩ ـ ادى شير : كتاب الألفاظ الفارسية العربة. بيروت. ١٩٧٧م

١٠ ـ الأصطخرى (ابى اسحاق ابراهيم): المسالك والممالك. تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى. الذخائر ١١٩. الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة. ٢٠٠٤.

١١ ـ اندريه ميكيل : العرب والإسلام وأوروبا. مركز الحريرى الثقافي. بيروت.١٩٩٣م.

١٢ ـ بدر الدين حى العينى: العلاقات بين العرب والصين. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الأولى. القاهرة. ١٩٥٠ م.

١٣ ـ البيرونى (ابوالريحان): تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة للعقل أومرذولة. طهران. (ب.ت)

١٤ ـ بزرك بن شهريار: عجائب الهند. مخطوط في الكلية الشرقية. جامعة البنجاب. لاهور.

١٥ ـ الجاحظ: مخر السودان على البيضان. القاهرة (ب . ت)

١٦ ـ جراهام بيلى : الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية. ترجمة دكتور حسين مجيب المصرى. مكتبة الانجو المصرية. القاهرة. ١٩٨٨م.

١٧ ـ الجواليقى (أبى منصور): المعرب. تحقيق عبد الرحيم. دار القلم. دمشق . ١٩٩٠م.

١٨ ـ جورجى زيدان: اللغة العربية كائن حى. دار الهلال. القاهرة. ١٩٦٧ م.

١٩ ـ جورجى زيدان: تاريخ آداب العربية. دار الهلال. القاهرة. ١٩٣٣م

٢٠ ـ حسين مؤنس (دكتور): إبن بطوطة ورحلاته. دار المعارف. القاهرة.١٩٨٠م

٢١ ـ داود الجلبى الموصلى: كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل. بغداد .١٩٦٠م.

٢٢ ـ رمضان عبد التواب (دكتور): فصول في فقه العربية. القاهرة. ١٩٨٣م

٢٣ ـ سليمان التاجر وأبى زيد السيرافي: أخبار الصين والهند. تحقيق ابراهيم خورى مطبوعات دار الموسم اللإعلام. الطبعة الأولى. بيروت. ١٩٩١م.

٢٤ ـ سمير عبد الحميد ابراهيم (دكتور): اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان.

دار المعارف. القاهرة. ١٩٨٢م.

٢٥ ـ شهاب الدين أحمد الخفاجى : شفاء الغليل.القاهرة .١٩٨٩

٢٦ ـ عادل خلف (دكتور) : معجم لألفاظ إبن بطوطة غير العربية. الملاحظات اللغوية لإبن بطوطة. مكتبه·الآداب . القاهرة. ١٩٩٤م.

٢٧ ـ عبد القادر بن مصطفي. المغربى : كتاب الاشتقاق والتعريب.القاهرة ١٩٨٠

٢٨ ـ على عبد الواحد وافي (دكتور): علم اللغة. مكتبة الهنضة المصرية. القاهرة. ١٩٧٥م.

٢٩ ـ كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافي العربى. ترجمة صلاح الدين هاشم عثمان. الطبعة الثانية. دار الغرب الإسلامى. ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٣٠ ـ محمد يوسف : علاقات العرب التجارية مع الهند. القاهرة. (ب.ت)

٣١ ـ مصطفي الشهابى: المصطلحات العلمية في اللغة العربية.دمشق . ١٩٨٥

٣٢ ـ مصطفي صادق الرافعى : تاريخ آداب العربية. دار القلم. دمشق. ١٩٨٤م.

٣٣ ـ المقريزى: البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب. القاهرة. (ب.ت)

٣٤ ـ الهمدانى : كتاب البلدان.القاهرة . ب-ت

٣٥ ـ ياقوت الحموى: المشترك وضعا المختلف صقعا.١٨٤٦م.

ثانيا : الأردية:

١ ـ أبو الليث صديقى: جديد اردو ادب. فيروزسنز. لاهور. ١٩٧٠م.

٢ ـ انوار هاشمى: تاريخ باك و هند. كراجى بك سينتر. باكستان. ١٩٨٤م.

٣ ـ أي حميد: اردو نثر كى داستان. مطبوعات شيخ غلام اندسنز. لاهور. ١٩٥٦م.

٤ ـ حامد حسن قادرى: داستان تاريخ اردو. عاكف بك دبو. ميتيا محل. دهلى. ١٩٧٢ .

٥ - رئيس أحمد جعفرى: سفرنا مه إبن بطوطة. نفيس اكاديمى. كراجى. ١٩٦١م.

٦ - رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو. غضنفر اكيدمى باكستان. كراجى. (ب.ت)

٧ - سهيل بخارى : اردو داستان. مقتدره قومى زبان. طبعة أولى. اسلا آباد. ١٩٨٧م.

٨ - سيد أحمد خان: آثار الصناديد. دهلى. (ب . ت).

٩ - كيان جند جين: اردوكى نثرى داستانين. انجمن ترقى اردو. كراجى. اشاعت ثانى.١٩٦٩

١٠ - محمد اكرام : آب كوثر. تاج كمينى. تركمان كيت. دهلى. ١٩٨٧م

١١ - محمدحسين آزاد: آب حيات. لاهور. ط ١٨. (ب.ت).

١٢ - محمد معين الدين دردائي: تحقيقى مقاله. باكستان كتاب كهر. لاهور. (ب . ت).

١٣ - مولوى عبد الرحمن خان : خلاصة تحفة النظار يعنى سفرنا مه إبن شيخ إبن بطوطة دهلى. ١٩٧٢.

١٤ - مولوى محمد حسين: عجائب الأسفار شيخ إبن بطوطة كاسفرنامه. دهلى. ١٩١٣م.

١٥ - ميرآمن: باغ وبهار. ايجيو كيشنل بك هاوس. دهلى. ١٩٩٧م

١٦- هندوشاه(ملا محمد قاسم): تاريخ فرشته. لكهنو.١٣٢٣هـ.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1 – Ahmed Nabikhan: Development of Mosque Archtecture in Pakistan, Islamabad . 1986.

2 – Gibb. A-R Hamilton: Thetravels of Ibn Battuta. The Hakluty Society.1959.

3- Hansvonmzik : Die Reise des Arabers Ibn Battuta druch Indien un China. Himburg. 1911.

4 – Herbek, Ivan : The chronology of Ibn Battuta Travels, Archiv orientalni XXX. Prague. 1962.

5 – Ischwariprasad : History of Medieval India. Allahabad 1925.

6 – Mahdi Hussain : The Rise and Full of Muhammad bin Tughluq

7 – Rosse Dunn : The Adventures of Ibn Battuta, Groom Helm. Londonand Sydney. 1986.

8 – Gabreli: viaggiatori arabi, biblioteca Sansoni firenze viaggi di Ibn Battuta Scelta. 1961.

رابعا : الدوريات:

١ ـ أبو محفوظ كريم معصومى: قصة الأرز في الأدب العوبى. مجلة المجمع العلمى الهندى. الجزء الرابع. الهند.

٢ ـ أحمد مطلوب (دكتور): الملامح الاقتصادية في رحلة إبن بطوطة مجلة المجمع العلمى العراقى. بغداد. ١٩٩٤م.

٣ ـ سليم النعيمى (دكتور): ألفاظ من رحلة إبن بطوطة مجلة المجمع العلمى العراقى. بغداد. ١٩٧٤م.

٤ ـ عبد المجيد الندوى (دكتور) : الكلمات الهندية في اللغة العربية. مجلة ثقافة الهند. نيودلهي. ١٩٩٠م.

٥ ـ محمد صلاح الدين العمرى : الكلمات السنسكريتية و الهندية المستعملة في اللغة العربية. مجلة ثقافة الهند. نيودلهي. ١٩٩٠م.

خامسا : المعاجم:

١ ـ إبن منظور : لسان العرب.دار الشعب .القاهرة

٢ ـ سيد أحمد الدهلوى: فرهنك آصفية. حيدر آباد. الهند. ١٩٧٧م.

٣ ـ شمس الدين سامى : قاموس تركى. استانبول مطبعه سى. استانبول. ١٣١٧هـ

٤ ـ فيزوز الدين : فيزوز اللغات. فيزوز سنز. لاهور. ١٩٨٠م.

٥ ـ الفيومى (أحمد بن على المقرى): المصباح المنير. دار القلم. بيروت . لبنان.

٦ ـ محمد على الأنس : الدرارى اللامعات في منتخبات اللغات. مطبعة جريدة بيروت، بيروت. ١٣١٨هـ



دور الصحافة في بناء المجتمع الهندي

- د. أيوب تاج الدين الندوي

الاستطلاع غريزة طبع عليها الإنسان، وهو غريزة مهمة تحتل المنزلة الثانية بعد غرائز الطعام والشراب، والمسكن والملبس. لذا نجد هذه الغريزة لدى الطفل حينما يبدأ يشعر ويدرك ما حوله، والشاعر الإنجليزي الرومانسي وليام وردسورث (William Wordsworth) (١٧٧٠-١٨٥٠م) عبر عن هذا المعنى بهذه الكلمات: إن الطفل أبو الرجل"[١] ويمكن لنا أن نلحظ هذه الغريزة في طبيعة عادات الطفل. والحقيقة هي أن الإنسان مجبول على رغبة شديدة في التعرف على ما يحدث لبني جنسه، والوقوف على أحوالهم وأخبارهم بالتفصيل.

والإنسان البدائي كان يرتكز في استطلاعه على حواسه الخمس. فكانت حواسه الخمس هي وسائل الاستطلاع والإعلام عنده. وكان يستخدمها ليتعرف على ما يجري حوله من أمور، ثم

---

*أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي.

نقلها إلى الآخرين فكانت هذه الحواس الخمس هي وسيلته لنقل معلوماته وأفكاره إلى الآخرين، وبالتدريج توصل الإنسان إلى وسائل إعلامية جديدة، والتي بها يعرف الحدث بعد وقوعه في مكان بعيد عنه ببضع دقائق، فتوصل الإنسان المعاصر إلى التليفون واللاسلكي والتلكس والفاكس وغيرها.

و كانت وسائل النقل والترحال محدودة في الزمن القديم. فكان الإنسان يعتمد في معرفته للأخبار على الترحال والسفر إلى الأماكن التي يريد معرفة أحوالها، بالرغم من كثرة ما يواجهه من مشقة وتعب في السفر والترحال، ولا غرابة في ذلك لأننا ذكرنا سابقاً أن الاستطلاع ومعرفة الأخبار من الطبائع التي فطر عليها صاحبنا الإنسان. وكان الرحّالون يمعنون النظر في أخبار غيرهم من الشعوب وينقلونها إلى عشيرتهم وأهل بلادهم فكانت هذه الأخبار والأحداث تنقل على ألسنة الناس من شخص إلى آخر وذلك لإشباع رغبة الاستطلاع الجامحة.

الصحافة لغة واصطلاحاً:

أما بالنسبة للصحافة لغة واصطلاحاً، فالصحافة بكسر الصاد عند المحدثين كتابة الجرائد ولم ترد في أي قاموس قديم مثل لسان العرب لابن منظور (١٢٣٢-١٣١١م) وأساس البلاغة للزمخشري (م ٥٣٨ هـ/ ١١٤٤م) ومختار الصحاح للرازي (م ٦٠٦هـ/١٢١٠م)، وهي مشتقة من كلمة صحف (ص ح ف)

ووردت كلمة صحيفة في القواميس وفي الأدب العربي واشتهرت صحيفة الشاعر الجاهلي المتلمس الذي يضرب به المثل كما في الحديث الشريف أ تراني حاملا إلى قومي كتابا "كصحيفة المتلمس"[٢] والصحيفة كما شرحها ابن منظور في لسان العرب – هي التي يكتب فيها والجمع صحائف وصُحُف وصُحْف[٣]. ويقول الزمخشري عن كلمة صحيفة: وهي قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه[٤] وقد وردت كلمة "صحف" في القرآن الكريم أكثر من مرة منها قوله تعالى "إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى" (سورة الأعلى: ١٩) والمقصود بالصحف في القرآن الكريم "هي الكتب السماوية".

هذا، وأما في الاصطلاح فهي في الأصل جمع الأخبار والأنباء ونشرها وإذاعتها في وقت معين، وهذا الوقت يمكن أن يكون ليوم أو أسبوع أو نصف أسبوع أو لشهر أو نصف سنة أو سنة. ومن أنواع الصحافة الصحف والجرائد والمجلات، كذا تعتبر الأخبار التي تبث عن طريق المذياع أو التلفاز، علاوة عن الأفلام والكتب نوعاً من أنواع الصحافة. ولكن ما يهمنا هنا فقط في هذا المقال هو الوسائل الإعلامية المكتوبة (Print Media).

والصحافة "وظيفة اجتماعية مهمتها توجيه الرأي العام عن طريق نشر المعلومات والأفكار الخيرة الناضجة، مفعمة ومنسابة إلى مشاعر القراء في خلال صحف دورية"[٥].

ويعتبر هذا التعريف أشمل تعريف للصحافة ومتطلباتها. والتي تدخل فيها الأخبار والإعلام والشرح والتفسير والتحليل والتعليق والإرشاد والتوجيه وتلبية متطلبات الجمهور وكذلك التسلية والإقناع.

ويتطلب للصحافة الحرية التامة وذلك لأهميتها الكبيرة، فللصحافة يد طولى في صياغة الرأي العام، ولاتصالها المباشر بكل أفراد الشعب، وهي سبيل هدايتهم وضلالتهم في الوقت نفسه، ترفع سياسيا إلى عنان السماء وتخسف بآخر الأرض، لذا أطلق عليها بعض النقاد أنها "السلطة الرابعة" ومكانتها لا تقل عن مكانة مجلس الشعب لما لها من تأثير قوي على عواطف الشعب ومشاعره، وليس هذا فحسب بل يمكن أن نضعها في مكانة أعلى من مكانة مجلس الشعب لأنها تؤثر على الخاصة والعامة على حد سواء. وأحياناً تكون التعليقات التي تدون تحت الرسوم الكاريكاتيرية سببا في خفض قدر مجلس الشعب أمام العامة حينما يتهكم الكاتب على أحد عيوب هذا المجلس.

وبالنسبة لوجود الصحافة فهي قديمة قدم الإنسان كما ذكرنا آنفاً لأنها من الخصال التي جبل عليها الإنسان. وكانت هذه الصحافة في شكل رواية وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعرضها على الناس، وتعتبر النقوش الحجرية الهندية أو اليونانية أو الفرعونية أو البابلية التي عثر عليها في المآثر التاريخية وكذا

المعلقات السبع التي كانت تعلق على جدران الكعبة لفحول الشعراء الجاهليين نوعاً من أنواع الصحافة.

أقدم جريدة في العالم:

وتعتبر الجريدة الصينية "كين بان" أقدم جريدة في العالم، والتي بدأ صدورها عام ٩١١ قبل الميلاد، ويقال إنها استمر إصدارها إلى أكثر من ألف سنة. وبالإضافة إلى هذا كان للإغريق مجلس إداري في كل مدينة يهتم بشؤون الشعب، وكانت القرارات التي تصدرها هذه المجالس يدوّن في شكل كتاب أو مجلة، وينسخ منه نسخ عديدة، وتوضع في مكتبات المدينة ليمكن للشعب الإطلاع عليها، وهذا النوع كان يسمى لديهم بـ Acta Sanatus، وهذا يعني قرارات تلك المجالس المنتشرة في مختلف المدن وكانت تعتبر هذه المجلة أو الكتاب صحيفة حكومية لأنها تتعلق بشؤون البلاد وتصدر عن الحكومة وكان ذلك إبان القرن الثاني قبل الميلاد.

وتعتبر جريدة Acta Diurna أول جريدة شعبية صدرت في أوروبا، وهي تلك الجريدة التي أصدرها الإمبراطور يوليوس قيصر Julius Ceaser في عام ٥٨ قبل الميلاد. وتعني هذه الجريدة " السجل اليومي للأخبار وكانت تصدر يومياً، واستمر صدورها طوال ٣٥٠ عاما"[٦].

الصحافة في الهند

أما فيما يتعلق بالصحافة في الهند، فلا يصح الظن بأن هذه الصحف المطبوعة الذائعة اليوم هي بداية الصحافة في بلادنا، فيحدثنا التاريخ عن وجود الصحافة في العهود القديمة الإسلامية الزاهرة وإن لم تكن تلك الصحافة إلا جزءا أو صورة مبتدئة صغيرة من صحافتنا اليوم فمن المعروف أنه تداولت في الهند حكومات عديدة وملوك كثيرون، وكان لدى كل واحد منهم وسائله الخاصة لنقل الأخبار من مكان إلى آخر، ولكن لم يكن للجمهور أي نصيب في هذا، إذ كان الرسل – حاملو الرسائل – ممن يعينهم الملك ويدفع لهم أجرا. وكان نظام البريد إبان الملك شير شاه سوري (م ١٥٤٥م) يهتم بالنظام والدقة، ومن مظاهر اهتمام ملكنا السالف الذكر بالبريد أنه بنى رباطات على الطريق من بيشاور في أقصى غرب الهند إلى سناركاؤن (Sonar Gaon) في بنغال أقصى الشرق. وبهذا النظام الجيد كان شير شاه سوري على اتصال دائم وسريع بالجمهور في أنحاء البلاد. واهتم معظم حكام المغول في الهند بتطوير وسائل الإعلام فعلى سبيل المثال وظف بعض الملوك عدداً كبيراً من الناسخين ، وذلك لكتابة أنباء وأخبار الحكومة والبلاط، وإطلاع الجمهور عليها، ولهذا السبب نجد جرائد منسوخة إبان دولة المغول في الهند، والتي كانت تنسَخ في البلاط ثم تنشَر على الشعب[٧].

ومن المعروف أن الهند كانت ذائعة الصيت في شتى البلدان الأوروبية. فكان الجميع يتحدثون عن غنائها وثرائها. وحاول كثير من الأوروبيين شد الرحال إلى الهند، وذلك عن طريق البحر، ويعتبر الرحالة البرتغالي فاسكودي جاما أول من اكتشف طريق البحر الموصل إلى الهند. وبهذا مهّد الطريق للتجار البرتغاليين الذين جاءوا إلى سواحل الهند الغربية فيما بعد. ثم أقاموا لهم حكومة في مدينة غوا (Goa) وبعدهم قدم التجار الإنجليز إلى الهند إبان فترة حكم الملك المغولي أكبر والذين بعد فترة من قيامهم في الهند أنشأوا شركة الهند الشرقية (East India Company). وفي ديسمبر عام ١٦٠٠م بدأت هذه الشركة علاقاتها التجارية مع الهند والبلاد الأخرى، وذلك بفرمان (مرسوم) من الملكة اليزابيث الأولى (١٥٣٢- ١٦٠٣م). وتوسعت شركة الهند الشرقية فأنشأت لها مكاتب ومخازن في مدينة سورت (Surat) وليس هذا فحسب بل شُيدت لها قلعة في مدينة كلكتا بإذن من الملك المغولي أورنك زيب (١٦١٨ – ١٧٠٧م) والذي لم يفكر في العواقب الوخيمة لمنح هذه الرخصة لهذه الشركة الماكرة ولم ينظر فيما يترتب على توسعاتها السريعة في البلاد. فأنشأت الشركة لها قلعة باسم فورت وليام (Fort William). وزاد الملك المغولي فرّخ سير (١٦٨٣-١٧١٩م) الطين بلة حينما أسقط الضرائب المستحقة على البضائع التي تصدرها بريطانيا إلى الهند،

وبهذا كثرت منافع هذه الشركة، واتسعت رقعة تجارتها فشملت مدينتي مدراس وبومباي.

الصحافة الإنجليزية في الهند

وحينما دبّ الخلاف بين موظفي شركة الهند الشرقية، وذلك لأن بعض الموظفين كان يعقد صفقات تجارية خاصة له في الخفاء، اضطر أحد الموظفين الشرفاء إلى أن يستخدم الصحافة الإنجليزية في أن يكشف عن خيانة هؤلاء الموظفين وشجعته على ذلك الحرية الكاملة التي كانت تتمتع بها الصحافة البريطانية عندئذ ومازالت تتمتع بها فأقدم أحد موظفي الشركة وهو وليام بولتس (William Bolts) على إنشاء جريدة إنجليزية ولكنه أجلي إلى بريطانيا عام ١٨٦٨م قبل إصدار جريدته.

هذا وتعتبر Hickey's Bengal Gazzette أو Calcutta General Advertiser أول صحيفة إنجليزية ظهرت في الهند وذلك في مدينة كلكتا والتي أسسها أحد موظفي الشركة السالفة الذكر جيمس آكستن هيكي في ٢٩ يناير ١٧٨٠م وكانت تشتمل على أربع صفحات وكان ينشر فيها موجز الأنباء من أوروبا والإعلانات وكذلك بعض مقالات النقد والاحتجاج على الأعمال الدنيئة التي كان يقوم بها بعض مسؤولي الشركة. وكان يكتب على صفحتها الأولى تحت اسم الجريدة عبارة (جريدة أسبوعية سياسية تجارية، مفتوحة صفحاتها

لكل الأحزاب، فهي لا تنتمي إلى أي حزب[8] ومع أن مديرها قد سجن مرارا لنشره العديد من المقالات المناهضة للحاكم الإنجليزي العام وقاضي القضاة في المحكمة العليا ورجال الدين ولكنه لم يخضع في أول الأمر، وأخيراً اضطر إلى أن يوقف إصدارها في مارس عام ١٧٨٢م بضغط شديد من قبل الشركة.

وفي عام ١٧٨٠م أصدرت شركة الهند الشرقية جريدة أسبوعية باسم إنديا جازيت والتي كانت مقتصرة في البداية على المقالات التي تؤيد الشركة وبعد ثلاث سنوات أصبحت جريدة نصف أسبوعية ثم بعد ذلك جريدة يومية. وبهذا أطل القرن التاسع عشر في الهند على صحيفة يومية كهذه.

وفي مارس ١٧٨٤م ظهرت جريدة إنجليزية أسبوعية باسم كلكتا جازيت (Calcutta Gzzette) وكانت تهتم هذه الجريدة كذلك بنشر بعض المقالات في اللغتين الفارسية والبنغالية. وحينما صدرت هذه الجريدة فلم تكن حكومية، ولكن نظرا لأهميتها البالغة جعلتها الحكومة ضمن الجرائد الحكومية واستمر إصدارها لمدة خمسين عاماً تقريباً. وكان فرانسيس كليدن يجيد إدارتها، وكان ذا معرفة واسعة باللغة الفارسية لذلك كان يهتم دائماً بنشر عمود كامل فيها باللغة الفارسية وكذلك كانت الإعلانات تنشر فيها ببعض اللغات الهندية أو المحلية علاوة على الإنجليزية. وكانت هذه الجريدة تهتم أيضاً بنشر أهم الأنباء المحلية فمنها على سبيل المثال نشرت نبأ

استشهاد الزعيم تيبو سلطان (١٧٥٣ – ١٧٩٩م) في جهاده ضد الاستعمار الإنجليزي. كما كانت تهتم بالنواحي الأدبية فتنشر المقالات الأدبية والقصائد الشعرية. وفي عام ١٧٨٥م ظهرت مجلة علمية أدبية أخرى باسم (Asiatic Miscellany & Bengal Register) والتي نالت إعجاب الطبقة المثقفة في بريطانيا، وهذا يدل على أنه حينما أطل القرن التاسع عشر بوجهه على العالم كانت الهند تموج بالنشاط الصحفي، ولكن كل هذه الجرائد كانت تنشَر باللغة الإنجليزية.

وفي العام نفسه أي ١٧٨٥م أصدر ثوماس جونسون (Thomas Johnson) جريدة أسبوعية باللغة الإنجليزية باسم بنغال جورنال (Bengal Journal) والتي استمر إصدارها لمدة ست سنوات فقط. حيث أُصدر أمر بإيقافها حينما نشر وليام دوان (William Duane) خبراً غير صحيح عن موت اللورد كونوا ليس (Lord Cornwallis) وكان قد اشتراها وليام دوان من قبل. ولكن وليام دوان لم يهدأ حتى أصدر جريدة أسبوعية باسم Indian World إلا أن الحكومة منعت إصدارها كذلك في عام ١٧٩٤م أي بعد ثلاث سنوات فقط.

ويمكن أن يقال إن عام ١٧٨٥م هو عام الجرائد في الهند حيث صدرت أكثر من جريدة فيه، فبالإضافة إلى الجرائد السالفة الذكر التي صدرت في هذا العام صدرت مجلة شهرية أخرى باسم "المجلة الشرقية" (Oriental Magazine) وعقبتها في ١٧٨٦م جريدة أسبوعية أخرى باسم كلكتا كرونيكل (Calcutta Chronicle). وأصدر

تشارلس ماكليان (Charles MacLean) جريدة أسبوعية إنجليزية باسم بنغال هركارو (Bengal Harkaro) والتي كانت تناهض الحكومة على صفحاتها مما عجل بعمرها. وظهرت في كلكتا جرائد أسبوعية أخرى منها Asiatic Mirror و Morning Post و Telegraph و Oriental Star والجدير بالذكر أن الجريدة اليومية Telegraph مازالت تصدر في كلكتا حتى وقتنا هذا.

وتعتبر Madras Courier هي أول جريدة أسبوعية تصدر ليس في مدراس فحسب بل في سائر جنوب الهند والتي أصدرت في ١٢ أكتوبر ١٧٨٥م وكانت تصدر هذه الجريدة في أربع صفحات وتهتم بنشر أهم الأنباء البريطانية على الصفحة الأولى والثانية فيها. أما الصفحة الثالثة فكانت خاصة بنشر الأخبار الهندية وكذلك الرسائل التي يرسلها القراء إلى المدير. أما الصفحة الرابعة الأخيرة فكانت خاصة بالنواحي الأدبية والإعلانات. فنشر فيها كثير من المقالات والدراسات الأدبية والقصائد الشعرية.

وفي عام ١٧٩١م ظهرت جريدة أسبوعية أخرى باسم Madras Harkaro والتي توقفت بعد اثني عشر شهراً فقط من إصدارها إثر وفاة مؤسسها. وفي عام ١٧٩٥م ظهرت هناك جريدتان أسبوعيتان، واحدة باسم Madras Gazette وأخرى باسم India Herald وكلتا الجريدتين كانت ضد حكومة الشركة فلم تطل مدتهما.

تعتبر بومباي جازيت Bombay Gazette هي أول جريدة أسبوعية تصدر في بومباي التي بدأ إصدارها في ٢٥ يونيو عام

١٧٩٠م. وكانت تهتم بنشر أخبار ألمانيا والبرتغال بالإضافة إلى الأنباء المحلية. كما كانت تنشر على صفحاتها كذلك أهم الأنباء الاقتصادية والتجارية. وفي غضون هذه الفترة كذلك ظهرت هناك جريدة أخرى باسم Bombay Herald ثم تبعتها جريدة Bombay Courier وتعتبر Bombay Courier هي أول صحيفة اهتمت بنشر الإعلانات على صفحاتها في مختلف اللغات الهندية مثل الأردية والغجراتية والمراهتية. وفي عام ١٧٩١م ظهرت هناك جريدة أسبوعية أخرى باسم Bombay Observer. والحاصل هو أن ظهور الصحافة والجرائد في بومباي بدأ في أوائل العقد الأخير من القرن الثامن عشر.

وتعتبر المطبعة التي أنشئت في مدينة كانفور عام ١٨٢٢م هي أول مطبعة في شمال الهند، لذا طبعت بها أول جريدة إنجليزية وهي Kanpur Advertiser في شمال الهند، ثم بعد ثمان سنوات تقريبا أنشئ لها فرع في مدينة ميرت (Meerut) بشمال الهند، وكانت هذه المدينة مركزاً من مراكز تجمع الإنجليز في الهند. وبفضل هذه المطبعة أسست جريدة إنجليزية في ميرت عام ١٨٣١م باسم ميرت أوبزررفر (Meerut Observer). وبعدها بأربع سنوات فقط أصدرت مجلة شهرية باسمMeerut Universal Magazine ولكن توقف إصدارها بعد فترة وجيزة. وفي عام ١٨٣٢م صدرت جريدة استمر إصدارها مدة طويلة باسم (Agra Newspaper) والتي كانت تعتبر من أفضل الجرائد في الهند آنذاك.

وأما فيما يتعلق بالصحافة وانتشارها في مدينة دلهي، فهو يرجع إلى بداية العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي حيث صدرت هناك أول جريدة إنجليزية باسم Delhi Gazette في عام ١٨٣٣م والتي استمر صدورها حتى الحادي عشر من مايو عام ١٨٥٧م، وهو العام نفسه الذي ثار فيه الشعب الهندي وخاصة المسلمون ضد الإنجليز الذين كانوا قد توغلوا في البلاد إلا أن إخفاق هذه الثورة أدى إلى السيطرة الإنجليزية الكاملة على البلاد وتدهور أحوال المسلمين.

ومن المعروف أن المبشرين المسيحيين بذلوا قصارى جهدهم لنشر المسيحية في شمال الهند، لذا اهتموا بإنشاء الكثير من المطابع منها على سبيل المثال أنشئت مطبعة في مدينة الله آباد عام ١٨٣٦م والتي منها طبعت أول جريدة هناك باسم Central Free Press Journal كما أنشئت مطابع أخرى في مختلف المدن الشمالية، مثلا في بنارس، مرزابور، آجره ولوديانه. وقام التبشيريون بإصدار العديد من الجرائد والمجلات من هذه المدن رغبة في تحقيق هدف مجيئهم إلى الهند وهو نشر الديانة المسيحية. ثم بعد ذلك انتشرت دور الطباعة في البلاد شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، وبناء عليه تطورت الصحافة الإنجليزية وزاد عدد الجرائد اليومية والمجلات الشهرية وغيرها. ولم يكن الإنجليز فقط يهتمون بتأسيس الجرائد والمجلات بل كان أهل الهند بأنفسهم يولون الاهتمام بذلك.

ومن أهم الصحف الإنجليزية التي ظهرت في الهند صحيفة The Times of India والتي بدأ صدورها في عام ١٨٣٨م ومازالت تصدر حتى يومنا هذا في دلهي وومباي وغيرها من المدن الهندية. وكانت هذه الصحيفة تصدر في البداية في مدينة بومباي باسم Bombay Times مرتين في الأسبوع وبعد مرور عشرين عاما اتحدت أربع صحف إنجليزية، منها Bombay Times، وأصدرت صحيفة يومية بهذا الاسم ألا وهو The Times of India. وبعد ثورة ١٨٥٧م ظهرت صحف إنجليزية أخرى ما زالت تصدر حتى وقتنا هذا منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر جريدة The Statesman والتي بدأ صدورها في عام ١٨٦٠م. وفي قرية صغيرة من قرى ولاية بنغال صدرت في عام ١٨٦٨م جريدة باسم القرية أمرت بازار بتريكا(Amrit Bazar Patrika).[١] وكانت هذه تصدر في البداية باللغة البنغالية ثم زيدت عليها صفحات باللغة الإنجليزية وفي النهاية بدأت تصدر كلها يومياً باللغة الإنجليزية وذلك في عام ١٨٩١م. وفي العقد التاسع من القرن التاسع عشر صدرت جريدة أسبوعية باسم The Hindu من مدينة مدراس، جنوب الهند وبعد مرور عام من إصدارها بدأت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع ثم بعد عدة أعوام أصبحت تصدر يوميا، ليس هذا فحسب ولكنها تعتبر الآن واحدة من أوسع الجرائد انتشاراً في جنوب الهند. وظهرت في مدراس جريدة أسبوعية أخرى باسمHindustan Standard في عام ١٨٧٨م وكانت

تصدر ثلاث مرات في الأسبوع ثم أصبحت متناولة بين أيدي القراء يومياً. وظهرت صحيفة باسم Tribune في مدينة لاهور ١٠ في عام ١٨٨١م والتي تنفد بمجرد وصولها لبائعي الجرائد في ولاية بنجاب الهندية إذا توقف صدورها في مدينة لاهور وانتقلت الصحيفة إلى مدينة جالندهر (Jalandhar) وذلك إثر هجرة مؤسسها إلى الهند بعدما فعل المستعمرون فعلتهم وقسموا شبه القارة إلى دولتين وهما الهند وباكستان.

ظهور الصحافة باللغة الفارسية

كانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية للبلاد قبل حكومة شركة الهند الشرقية، كما كانت الفارسية كذلك لغة المسلمين والهندوس على السواء، لذلك نجد أن أول جريدة فارسية في الهند أصدرها رجل هندوسي يدعى "راجارام موهن راي" (١٧٧٢-١٨٣٣م) حيث أصدر جريدة مطبوعة باللغة الفارسية في الهند كلها. وبدأ القراء يطالعونها في ٢٠ أبريل ١٨٢٢م وكان راجا رام موهن راي ملماً باللغات الفارسية والعربية والإنجليزية. ولحنكته وخبرته الواسعة أرسله شاه عالم الملك المغولي (١٧٢٨-١٨٠٦م) إلى لندن ليباحث مع الإنجليز في أمر زيادة مرتب الملك المغولي.

وظهرت بعد ذلك جريدة فارسية أخرى باسم "جام جهان نما" والتي أصدرت في أول الأمر باللغة الأردية إلا أن مؤسسيها

بدعوا يصدرونها باللغة الفارسية. وكان منشي سدا سكه (Munshi Sada Sukh)هو أول مدير لها. وكانت تهتم هذه الجريدة بترجمة الأخبار من الجرائد الإنجليزية ونشرها باللغة الفارسية. واستمر إصدارها حتى عام ١٨٨٨م وبعد ذلك ظهرت جرائد متعددة في اللغة الفارسية وذلك لما كانت تتمتع به الفارسية من قبول لدى عامة الشعب الهندي. ومن هذه الجرائد جريدة شمس الأخبار التي ظهرت في مدينة كلكتا واستمر صدورها إلى أربع سنوات تقريبا فظهرت في عام ١٨٢٣م حتى عام ١٨٢٧م. وفي عام ١٨٢٦م أصدرت جريدة باسم "أخبار سي رام بور" التي استمر صدورها حتى عام ١٨٢٨م وفي عام ١٨٣٣م صدرت جريدة "أخبار آجره" والتي سميت فيما بعد باسم "زبدة الأخبار" وظلت في متناول أيدي القراء حتى عام ١٨٥٣م. وفي مدينة كلكتا ظهرت جريدة "آئين سكندر" في عام ١٨٣٣م. واستمرت في نقل الأخبار للناس حتى عام ١٨٣٦م، وفي كلكتا كذلك ظهرت جريدة "ماه عالم أفروز" في عام ١٨٢٣م والتي توقف إصدارها في عام ١٨٣٢م. وفي عام ١٨٢٦م بدأ القراء يطلعون على جريدة "لوديانه أخبار" الصادرة من مدينة لوديانه (Lodhiana) في بنجاب حتى توقفت عام ١٨٢٧م، وفي عام ١٨٢٥م صدرت جريدة "سلطان الأخبار" من مدينة كلكتا والتي استمر إصدارها حتى ١٨٤٢م. وفي كلكتا كذلك ظهرت جريدة باسم "سراج الأخبار" والتي كانت تعتبر جريدة لقصر آخر الحكام المغول بالهند وهو بهادرشاه ظفر (١٧٧٥-١٨٦٢م). وكانت عبارة

عن أهم أخبار قصر الملك اليومية كما كانت كذلك تنشر بعض الأخبار باللغة الأردية واستمر إصدارها حتى عام ١٨٥٧م. وفي عام ١٨٤٤م ظهرت جريدة "صادق الأخبار" في مدينة دلهي والتي تغيرت لغتها فيما بعد من الفارسية إلى الأردية.

هذا وكانت جرائد عديدة باللغة الفارسية في جنوب الهند منها على سبيل المثال جريدة "أعظم الأخبار" والتي ظهرت في مدينة مدراس في ٦ يوليو عام ١٨٤٨م كما كانت تهتم هذه الجريدة بنشر الأخبار باللغة الأردية. وفي عام ١٨٣٧م ظهرت جريدة أسبوعية باسم "آئينه سكندر" في مدينة بومباي باسم "مجمع الأخبار" وكانت كل هذه الجرائد الفارسية الآنفة الذكر على مستوى عال سواء من ناحية اللغة أو من ناحية الدقة والتحقيق في نشر الأخبار، كما كانت جميعها تهتم بنشر العديد من المقالات العلمية والأدبية. وكانت تهتم كذلك بنشر الأشعار المختارة لأشهر الشعراء وكانت هذه الجرائد أكثر شهرة وذيوعا للصيت وذلك لما ذكرناه آنفا لكون اللغة الفارسية أكثر شيوعا ورواجا بين الناس جميعا.

الصحافة الأردية:

تعتبر "جام جهان نما" هي أول جريدة أسبوعية تصدر باللغة الأردية فقد بدأ صدورها في ٢٧ مارس عام ١٨٢٢م في مدينة كلكتا التي تعتبر المنبع الرئيسي لمعظم الجرائد التي ظهرت

في الهند إلا أنه في ١٦ من مايو ١٨٢٢م تحولت هذه الجريدة من اللغة الأردية إلى اللغة الفارسية، وبدأت تعدّ من أفضل الجرائد الفارسية في الهند. والسبب في هذا التحول هو أن اللغة الأردية لم تكن آنذاك مقبولة لدى المثقفين مثل الفارسية، وبدأت في عام ١٨٢٣م تصدر في اللغتين الفارسية والأردية ولكنها اقتصرت بعد ذلك على الصدور في اللغة الفارسية فقط في عام ١٨٢٦م، واستمر صدورها حتى عام ١٨٧٦م. ويمكن أن نعدّ "جام جهان نما" الجريدة الأولى في اللغة الأردية التي كانت تترجم المقالات الإنجليزية والفارسية إلى اللغة الأردية وتنشرها على صفحاتها كما اهتمت بنشر تاريخ انجلترا وتاريخ عالمكيري، هذا بالإضافة إلى القصائد الشعرية الأردية لأشهر الشعراء آنذاك.

هذا وكانت هناك جريدة فارسية أخرى وهي "آئينه سكندر" التي تحدثنا عنها من قبل كان يصدر بها ملحق باللغة الأردية وذلك في عام ١٨٣٤م لذلك يمكن أن نعدها كذلك لبنة من لبنات الصحافة الأردية.

وفي عام ١٨٣٦م صدرت من دلهي جريدة باسم "دهلي أردو أخبار" والتي تعتبر الجريدة الأردية الأولى في الهند وذلك لأن كل صفحاتها كانت تصدر باللغة الأردية، لذا يمكن القول بأنها الجريدة الأولى باللغة الأردية، وما سبقها ما كان إلا لبنات في الصحافة الأردية. وأسس "دهلي أردو أخبار" محمد باقر والد محمد

حسين آزاد الناقد والأديب والشاعر الأردي الكبير وكانت أسبوعية، يهتم مؤسسها ومديرها محمد باقر بنشر الأخبار المناهضة للإنجليز مما أدى إلى إعدامه في غضون الثورة الوطنية عام ١٨٥٧م. وكانت تهتم هذه الجريدة بنشر الأخبار من مختلف ولايات شبه القارة الهندية. بالإضافة إلى ما كانت تنشره من أخبار حكام الأقاليم وبلاطهم وأخبار المعاهد التعليمية آنذاك وكانت تهتم بالناحية الأدبية كثيرا فكانت تنشر على صفحاتها قصائد أردية كثيرة لأشهر الشعراء وقتذاك أمثال مومن وذوق وغالب وبهادر شاه ظفر الملك المغولي. وتوقف إصدار هذه المجلة في ١٨٥٧م بعد أن قام الإنجليز بإعدام مديرها بتهمة نشر الأخبار المناهضة للإنجليز وقتل عميد كلية دلهي.

وفي دلهي نفسها صدرت جريدة أسبوعية أخرى عام ١٨٣٧م باسم "سيد الأخبار" والتي أسسها سيد محمد خان وتبعه أخوه سير سيد أحمد خان (١٨١٧-١٨٩٨م) في إدارتها بعد وفاته عام ١٨٤٦م حتى توقف إصدارها عام ١٨٥٠م.

وقام التبشيريون المسيحيون بإصدار مجلة علمية باللغة الأردية عام ١٨٣٧م في مرزا بور وذلك لنشر الديانة المسيحية وكانت تهتم بالنواحي العلمية والتبشيرية بدلا من الأخبار السياسية. وفي العقد الخامس من القرن التاسع عشر الميلادي صدرت سلسلة طويلة من الجرائد والمجلات الأردية في مختلف مناطق الهند منها

على سبيل المثال جريدة "مظهر حق" التي بدأ صدورها في عام ١٨٤٥م و"كريم الأخبار" التي ظهرت في عام ١٨٥٦م وكانت هذه الجرائد السالفة الذكر تصدر كلها من مدينة دلهي. وهناك جرائد أخرى صدرت من مدينة آجره مثل جريدة "صدر الأخبار" (١٨٤٦م) وجريدة "أسعد الأخبار" (١٨٤٧م) و"معيار الشعراء" (١٨٤٨م) و"قطب الأخبار" (١٨٤٩م) وجريدة "سفير آجره" التي ظهرت في عام ١٨٥٦م. ومن الجرائد الأردية التي ظهرت في مدينة بنارس "جريدة بنارس جازيت" (١٨٤٥م)، وفي عام ١٨٤٩ م صدرت جريدة "مرآة العلوم"، وفي ١٨٥٦م صدرت جريدة "آفتاب هند". ومن الجرائد التي صدرت من مدينة لكناؤ جرائد "لكنو أخبار" (١٨٤٧م) و"طلسم لكنؤ" (١٨٥٦م)، وفي العام نفسه صدرت جريدة أخرى باسم "سحر سامري". وفي لاهور صدرت جرائد كثيرة منها جريدة "كوه نور" ١٨٥٠م وبعدها بسنتين صدرت جريدة "حشمة فيض" وفي عام ١٨٥٣م صدرت جريدة "هما بي بها"، وفي مدينة الملتان صدرت جريدة في عام ١٨٥٣م باسم "وكتورية بيبر". وفي مدينة الملتان صدرت جريدة "رياض نور" في عام ١٨٥٢م، وفي مدينة بومباي صدرت جريدة "كشف الأخبار" في عام ١٨٥٥م ثم بعد ذلك صدرت العديد من الجرائد الأردية من بنكلور وحيدرآباد ومن مختلف المدن الهندية الأخرى.

ولكـن إذا دققـنـا الـنظر فـي صـفحات هـذه الجـرائد الأرديـة السـالفة الذكـر نجدهـا قـبل عـام ١٨٥٧م تـبدي اهـتمامها بالمقـالات الأدبية ونشـر العديـد مـن القصـائد الشـعرية، كمـا كانـت تصـدر فـي أعداد قليلة وذلك بسبب قلة القراء.

ولكـن حيـنما اندلعـت الـثورة الوطنـية عـام ١٨٥٧م وتمكـن الإنجليز مـن إخمادهـا فقضـوا علـى كثير مـن الجـرائد الأرديـة حيث اعتقدوا أن هـذه الجـرائد كانـت سببا في إشعال الثورة ضدهم، ورغم ذلك لم يتوقف نبض الصحافة الأردية إذ صـدرت هناك جرائد أردية أخـرى بعـد عـام ١٨٥٧م وتعتـبر جـريدة "أوده أخـبار" أول الجـرائد الأرديـة التـي صـدرت بعـد الـثورة حيث صـدرت مـن مدينة لكناؤ في يناير ١٨٥٩م، وكانـت فـي البدايـة أسبوعية ثم بعد ذلك بدأت تصدر مرتيـن فـي الأسـبوع وذلـك فـي عـام ١٨٧٣م وثـلاث مـرات فـي الأسبوع في عـام ١٨٧٦م، وفـي عـام ١٨٨٣م تحولـت إلـى جـريدة يومـية. وكانـت هـذه الجـريدة أدبـية وكـان كـبار الأدبـاء والشـعراء يقومون بنشـر العديـد مـن مقالاتهم وقصائدهم فيها، وكان لهذه المجلة الأثـر الـبالغ علـى الأدب الأردي والصـحافة الأرديـة علـى السـواء. وبعد ذلك صـدرت جريدة فكاهية باسم "أوده بنج" في عام ١٨٧٧م والتـي لاقت الإعجاب من الجميع، وكانت هذه الجريدة بداية لصدور جرائد أخـرى كثيرة على هذه الوتيرة في مدينة لكنو ولاهور وكلكتا ودلهـي وبـنارس ومـدن أخـرى. وقـام سير سيد أحمـد خـان بتأسيس

جريدة أردية خطيرة ذات أثر فعال على اللغة الأردية وصحافتها باسم "أخبار ساينتفيك سوسايتي" في عام ١٨٦٦م، وكانت هذه الجريدة ترمي إلى إصلاح الشؤون القومية الوطنية وكانت تنشر على صفحاتها المقالات السياسية والعلمية والفكرية والفلسفية على السواء. ولكنه قام بإصدار مجلة أخرى بدلا منها باسم "تهذيب الأخلاق" وذلك بعد عودته من إنجلترا عام ١٨٧٠م وأحس أن القراء لا يعتنون بمقالاتها التي كانت تكثر من نشر الأخبار السياسية. وحينما أنشئت مجلة "تهذيب الأخلاق" في ٢٤ ديسمبر ١٨٧٠م بدأ القراء يطالعون على صفحاتها مقالات علمية وأدبية. كما كانت تهتم هذه المجلة كذلك بكل ما يتعلق بالحياة الإنسانية وكان من مراميها أن يطلع المسلمون على الثقافة والعلوم الجديدة حتى لا يصيبهم التخلف بل يكون لهم السبق في الحضارة الجديدة في كل ما يخدم الإنسانية.

وبعد "تهذيب الأخلاق" صدرت جرائد أردية كثيرة والتي كانت تهتم بنشر المقالات الأدبية والعلمية منها على سبيل المثال جريدة "رساله انجمن" التي كانت تصدرها "جمعية نشر المطالب المفيدة في بنجاب" وكانت تصدر من مدينة لاهور. وصدرت جريدة باسم "شحنائ هند "من مدينة ميرت والتي كانت تنشر على صفحاتها مقالات ذات فوائد جمة في التاريخ والعلوم والأدب[١١].

الصحافة باللغة العربية

قبل أن نبحث عن تطور الصحافة العربية في الهند من المناسب أن نلقي نظرة عابرة على الصحافة العربية في مواطنها الأصلية. فمن المعروف أن البلاد العربية وخاصة مصر تأثرت كثيرا بالاستعمار الفرنسي لمصر الذي دام لمدة ثلاث سنوات فقط فحينما هجم الفرنسيون عل مصر في عام ١٧٩٨م هجموا ومعهم علماؤهم في مختلف الميادين وكان هذا الفتح الفرنسي لمصر ذا فوائد جمة، فبه فتحت أبواب الثقافة والحضارة الغربية للمصريين بصفة خاصة وللعرب بصفة عامة حيث انتشرت النهضة العلمية والأدبية في البلاد العربية بعد هذا الفتح وحينما احتل الفرنسيون مصر أدخلت معهم آلات الطباعة والتي عرف استخدامها المصريون في فترة بسيطة، لذا بدأت بذور الصحافة ترتفع في عنان مصر والعالم العربي. وبعد دخول الفرنسيين مصر بعامين فقط صدرت أول صحيفة عربية مطبوعة أي في عام ١٨٠٠م. لذا يمكن القول بأن مولد الصحافة العربية ما كان إلا نتيجة اتصال العرب بالغرب عن طريق حملة نابليون بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١م) على مصر عام ١٧٩٨م وفي عام ١٨٠٠م أصدر نابليون بونابرت فرمانا بإصدار نشرة باللغة العربية سميت باسم "التنبيه" ليتمكن من نشر وإذاعة أهم الأخبار التي تجري في ديوان الحكم، ونشر أهم أخبار مصر وأوامر الحكومة الفرنسية ، وعين نابليون فورييه أحد مساعديه مشرفا على هذه الجريدة والتي تعتبر أول صحيفة مطبوعة

باللغة العربية والتي استمر إصدارها حتى أجلي الفرنسيون من مصر عام ١٨٠١م.

ومن عام ١٨٠١م حتى عام ١٨٢٧م لم تصدر أي جريدة عربية في البلدان العربية. وقام محمد علي بإصدار جريدة باسم "جورنال الخديوى" سنة ١٨٢٧م في مصر وكانت هذه الجريدة بمثابة نشرة شهرية تنقل للناس أهم الأخبار في البلاط وفي مصر، وبعد سنة من إصدارها أي ١٨٢٨م تغير إسمها إلى "الوقائع المصرية" وكانت بمثابة لسان حال الحكومة واستمر إصدارها طوال القرن التاسع عشر تقريباً.

هذا وقامت الحكومة الفرنسية في شمال إفريقيا بإصدار جريدة هناك في عام ١٨٤٧م لكي تكون وسيلة للتفاهم بينها وبين السكان الأصليين العرب وسميت هذه الجريدة باسم "المبشر" والتي صدرت من مدينة الجزائر وكانت نصف شهرية تنطق بلسان فرنسا وكان عدد صفحاتها ثلاثة، وفي كل صفحة أربعة أعمدة. وهي تعتبر ثالث جريدة عربية في العالم. وقام رزق الله حسون الحلبي بتأسيس صحيفة عربية باسم "مرآة الأحوال" في مدينة "الآستانة" حاضرة بني عثمان سنة ١٨٥٥م وهو بهذا يعتبر أول عربي قام بتأسيس صحيفة عربية"[١٢].

أما فيما يتعلق بالصحافة العربية وظهورها في شبه القارة الهندية، فقد ظهرت الصحافة بهذه اللغة بالهند متأخرا بعد ظهور

الصحافة في اللغة الإنجليزية والفارسية والأردية وذلك لعدة أسباب نذكر منها أهمها:

كان المسلمون في الهند وما زالوا ينظرون إلى اللغة العربية على أنها لغة مقدسة حيث نُزل بها القرآن الكريم وفيها الأحاديث النبوية الشريفة وكان جلّ اهتمامهم بالتفسير والحديث والفقه وما إليها وكان منهم القليل من يتقنها إلا أنها لم تلق رواجا في الهند كالفارسية مثلا، لأنها لم تكن لغة الحكومة والديوان في أي وقت كما لم تكن لغة للعامة. ولهذا لم يقدم أحد على إصدار مجلة باللغة العربية في الهند إلا بعد ظهور الصحافة الإنجليزية والفارسية والأردية وبعض اللغات المحلية الأخرى في الهند.

ومن الجدير بالذكر أن الطباعة العربية ظهرت في الهند مع الطباعة الفارسية والأردية ولكنها كانت محصورة في البداية على طباعة الكتب الدينية. وبعد ذلك قام الهنود بإصدار العديد من المجلات والجرائد في اللغة العربية. وتعتبر جريدة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" هي أول جريدة عربية في شبه القارة الهندية والتي صدرت من مدينة لاهور وكان لهذه الجريدة أثر فعال في انتشار وتطور اللغة العربية بلاهور وما حولها وقد قام بتأسيس هذه الجريدة شمس الدين، وشجعه على ذلك وجود مطبعة لدى والده محمد عظيم، وفي السابع عشر من أكتوبر سنة ١٨٧١م صدر أول عدد لهذه الجريدة وكان الشيخ مقرب علي، رئيسا لتحريرها وكان

جي.دبليو. لايثير (G.W.Laithir) المسجل بجامعة البنجاب من المشرفين عليها.

وكانت هذه الجريدة تنشر في البداية في ثماني صفحات وبعد ما زاد عدد قراءها بدأت تنشر في عشر صفحات. وكانت تجري طباعتها على الحجر في مطبعة بنجاب، بلاهور. وكانت هذه الجريدة تهتم بنشر المقالات المختلفة في الدين والأدب والأخلاق وعلم الاجتماع كما كانت تبدي الاهتمام الزائد بالمقالات التعليمية والاجتماعية. وكانت هذه الجريدة تؤيد الأديب سير سيد أحمد خان في فكرة الاهتمام بنشر المقالات التعليمية والاجتماعية وغيرها من الموضوعات التي تهتم بتقدم البلاد علميا وثقافيا واجتماعيا. لذا يمكن القول بأن جريدة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" قامت بدور مؤثر في نجاح حركة سير سيد أحمد خان التعليمية والإصلاحية. هذا بالإضافة إلى اهتمام هذه الجريدة بالتراث الأدبي حيث كانت تنشر قصائد من الشعر العربي القديم ومقالات عديدة عن الشعراء القدماء المشهورين. كما كانت تهتم بنشر الجديد من الموضوعات وكانت تستفيد في هذا من الجرائد الإنجليزية التي كانت تترجم بعض مقالاتها الجيدة وتنشرها على صفحاتها.

وظلت تصدر هذه الجريدة بانتظام حتى عام ١٨٨٥م ولكن حينما توفي منشي محمد عظيم صاحب المطبعة الذي كان يقوم بطباعتها وهو والد مؤسسها كما ذكرنا آنفا. بدأت تصدر بشكل غير

منتظم. وذلك نتيجة الخلل الذي وقع في شؤون طباعتها، ولذلك لم يطل عمرها بعد وفاة منشي محمد عظيم حيث توقف إصدارها بعد فترة وجيزة من وفاته.

وكان من أهم أهداف "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم":-

- نشر اللغة العربية حتى يتمكن الجميع من تفهم الأحكام الشرعية المدونة بهذه اللغة.
- محاولة تعريف رجال الدين المسلمين بالهند بالحديث من الموضوعات والمشاكل المعاصرة ليدركوا من خلالها مسؤوليتهم ولتتفتح آفاقهم الفكرية.
- التعريف بالعلوم العربية باللغة العربية في الأوساط العلمية الهندية.
- تسهيل تعليم اللغة العربية لمسلمي الهند.
- محاولة تعريف هؤلاء الناس الذين لهم معرفة سابقة بالعربية بالحديث في اللغة العربية أسلوبا وحواراً.

هذا بالإضافة إلى الأهداف الإصلاحية التعليمية الأخرى التي كانت تهدف إليها هذه الجريدة.

وفي الإعلانات عن هذه الجريدة نشر إعلان بصحيفة "أكمل الأخبار" يبيّن أهداف إصدار هذه الجريدة. "لقد جرى إصدار هذه

الجريدة بهدفين رئيسين، ترويج العلوم الإسلامية وتعليم اللغة العربية، يندرج في ذلك نشر المؤلفات العربية التي لم تكن ميسورة الحصول عليها في هذه الربوع، وتعريف الأسلوب الحديث باللغة العربية في الحياة اليومية، إضافة إلى عرض نبذة علماء الهند الذين كانوا يلمون بآداب اللغة العربية وليست لهم معرفة بآداب اللغات الغريبة وتعريفهم بالعلوم العربية".[١٣] ولهذا تعتبر جريدة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" من أهم الجرائد العربية في الصحافة الهندية قديما حيث قامت بخدمات واسعة في نشر تعليم اللغة العربية والتعريف بالأدب العربي الحديث والأدب الغربي. كما إطلعت مسلمي الهند على أخبار العرب السياسية والثقافية والاجتماعية في الوقت الذي كانت أو كادت الهند منقطعة فيه تماما عن البلاد العربية. وكانت على مستوى عال في الطباعة والإخراج الفني بالنظر إلى مستوى الطباعة والصحافة في ذلك العصر. كما كانت تتسم بالأسلوب الجيد وعرض الموضوع وتحليله بطريقة علمية. وقامت بدور هام في تطوير الصحافة العربية في الهند والتي تطورت بسرعة فائقة حيث نجد اليوم عددا ضخما من المجلات والجرائد العربية في شبه القارة الهندية، لا يقل عن الصحافة العربية في البلاد العربية من حيث أهمية المقالات التي تنشر والأسلوب الأدبي الصحفي والإخراج الفني. فكانت جريدة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" بمثابة اللبنة الأولى التي قامت عليها وارتفعت الصحافة

العربية بالهند. وذكر الكاتب أديب مروه: إن أول مجلة في الهند هي جريدة "الهلال" والتي أسسها مسعود حسن الزبيدي في عام ١٩٢٧م[١٤] ولكن هذا الرأي بعيد عن الصواب، وذلك لأن "جريدة النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" هي أول جريدة عربية في الهند والتي صدرت بعدها العديد من الجرائد العربية قبل ظهور "الهلال" كما قال أديب مروه.

الهوامش:

[١] - The Political Works of William Wordsworth, ed. Thomas Hutchinson, Oxford University Press, 1950, ص: ٦٢

[٢] - الصحافة العربية نشأتها وتطورها، أديب مروه، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م

[٣] - لسان العرب ص: ١٨٦ ج ٩، نشر أدب حوزة، قم، إيران سنة ١٤٠٥هـ

[٤] - أساس البلاغة ص: ٢٤٩

[٥] - الصحافة العربية نشأتها وتطورها، أديب مروه ص: ١٧ نقلا عن الدكتور محمود عزمي أحد أعلام الصحافة في مصر

[٦] - نفس المصدر ص: ٥٤

[٧] - عتيق صديقي، هندوستاني أخبار نويسي طبعة ١٩٥٧م دلهي (باللغة العربية) ص: ٢٤ - ٢٧

[٨] - A History of the Press in India - S. Natarajan ص ١٤

[٩] - بتريكا، كلمة هندية تعني الجريدة في اللغة العربية

[١٠] - مدينة في باكستان الآن

[١١] - قد اعتمدت في جمع وإعداد هذه المعلومات على الكتب التالية:

أ- تاريخ صحافت أرود، إمداد صابري، كلتكا، الهند، سنة الطباعة لم تذكر

ب- صحافت باكستان وهند مين، عبد السلام خورشيد، مكتبة كاروان، لاهور ١٩٦٣م

ج- هندوستاني أخبار نويسي، محمد عتيق صديقي، أنجمن ترقي أردو على كره، ١٩٥٧م

د- أردو صحافت كي تاريخ، نادر علي خان، إيجوكيشن بك هاوس، علي جره، ١٩٨٧م

هـ- History of Indian Journalism, J, Natrajan, New Delhi Publication, Division 1995

[١٢] - قد اعتمدت في جمع هذه المعلومات على الكتب التالية:

أ- الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبقة الثانية، ١٩٦١م

ب- تطور الأدب الحديث في مصر، د – أحمد هيكل، دار المعارف بمصر، الطبقة الرابعة، ١٩٨٣م

ج- الصحافة العربية نشأتها وتطورها، أديب مروه – دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦١

د- تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٤

هـ- An Introduction to the History of Modern Arabic Literature, J. Brugman, Leiden, 1984

[١٣] - تاريخ صحافت أردو ج ٢ ص: ٢٠٦ نقلا عن أكمل الأخبار عدد نوفمبر ١٨٧١م

[١٤] - الصحافة العربية نشأتها وتطورها ص: ٤٢٢



اللغة العربية وآدابها في ولاية بيهار (Bihar)

- د. محمد حبيب الرحمن *

ترجمة: أبو محمد**

هذا من مأساة التاريخ العجيبة أن الولاية التي إبتدأ بها رقيُّ البلاد العلمي والفكري والحضاري والثقافي كله تعتبر أخلف الولايات عن هذه الجهة. تلك الولاية التي مرّت بها نوائب الدهر تسمَّى "بيهار" التي كانت مركزاً مهماً للفضل والكمال والمعرفة والدراية والرشد والهداية والثروة الخالدة للروحانية منذ عهد سحيق. ونظراً للمعرفة والروحية والرشد والهداية فما أنارت معرفة بوذا (Budha) التي فاز بها قبل ورود الإسلام لهذه البلاد وبذل لها جهوداً جبارة، بلادَ الهند فحسب بل كافة دول العالم وهذه هي معاهد بوذا والمراكز العلمية التي تشوب حضارة الهند وثقافتها. فقد كانت

---

* - ماهر في الدراسات الإسلامية والعربية.

** كاتب ومترجم حر

تسمَّى مراكز بوذا العلمية والروحية بـ "فيهار" (Vihar) فكان مركز العلم والمعرفة الذي يسمًى اليوم "بيهار" أميناً ومحافظاً على عظمة الهند القديمة العلمية والفكرية والحضارية والثقافية ولو نظرنا عن هذه الجهة لوجدنا ولاية بيهار منطقة تسمَّت بهذا الإسم لمجرد كونها مهداً للعلم والمعرفة فأطلال جامعة نالنده (Nalanda) تقدم دلائل حية على منزلة بيهار العلمية ومركزية الهند الحضارية والثقافية.

ولما ورد المسلمون الهند صبغت العلومُ الإسلامية وثقافتها والثقافة المحلية بصبغة جديدة كما انبثقت ينابيع جديدة متنوعة للعلم والمعرفة والروحية في مدة قليلة للغاية نالت الهند شهرة كونها مركزاً للعلوم الإسلامية في العالم كله. وقد امتازت ولاية بيهار في هذا العهد الزاهر للهند الإسلامية بوجود جوٍّ بديع للإشراف على العلوم العربية الإسلامية وتطويرها وإذاعتها، قصدها فيه طلابُ العلوم من كافة أنحاء العالم ونوَّروا أذهانهم وأفكارهم بنور العلم والمعرفة. كتب أبو الفضل على الصفحة السابعة والستين للمجلد الثاني من كتاب "آئين أكبري" (مجموع قوانين الإمبراطور أكبر) عن ترهت (Tirhut) منطقة بيهار الشمالية قائلاً:

"ترهت از وير بنكا (مركز) هندي دانش"

[ترجمة: بقيت بيهار كمركز لفلسفة الهند لمدة مديدة.]

ويؤيد حصول بيهار على درجة مركزيتها للعلوم الإسلامية هذا الواقعُ التاريخي أن الشيخ عبد العزيز شكر بار أحد مشائخ عشيرة الشاه ولي الله العالية المشهورين، قد وصل إلى بيهار لنيل العلم فقد كتب الشيخ غلام علي آزاد البلغرامي في كتابه "مآثر الكرام" نقلاً عن الكتاب التاريخي الشهير "أخبار الأخيار" (ص١٩٠):

"شيخ طاهر جد شيخ عبد العزيز قدس الله أسرارهما از ولايت ملتان رفته در ولايت بهار رسيد وبيش شيخ بدهـ حقاني تحصيل علم نمود"

[ترجمة: غادر الشيخ طاهر جد الشيخ عبد العزيز قدس الله أسرارهما ولاية ملتان لولاية بيهار حيث تعلم العلوم على الشيخ بدهـ الحقاني.]

وذلك لأنَّ ولاية بيهار -على حد قول صاحب "أخبار الأخيار"- كانت مهد العلماء الأفاضل.

ويمكن تقدير منزلة بيهار العلمية من أن المُلا موهان (Mohan) أحد علماء بيهار قد تم تعيينه لتعليم وتربية محمد أورنغ زيب على أن دلهي نفسها كانت مرجعا وملجأ علميا للناس في عهد المغول فقد كتب الشيخ البلغرامي على ص ٤٣ من كتابه "مآثر الكرام":

"إن الملا موهن البيهاري الذي يسمَّى "محي الدين" أصلاً ولد في بيهار وترعرع فيها. حفظ القرآن الكريم في عمره البالغ تسع

سنوات وحصل على العلوم لدى والده الجليل الملا عبد الله. نال الفراغ من الحصول على العلوم في عمره البالغ ١٧ سنة وبقي يدّرس في بلدته لمدة من الزمن ثم بلغ دلهي موظّفاً في دولة شاهجهان حيث تم تقريره كمعلّم لمحمد أورنغ زيب عالمغير وكذلك قام عديد من علماء بيهار غير الملا موهن بتولّي منصب ومسئولية تعليم وتربية الأمراء المغول أمثال القاضي محب الله الذي علّم دارا شكوه والملا عبد المحسن المعروف بـ "الملاجيون" (Mulla Jivan) من دربهانغه (Darbhangha) الذي علّم الأميرة زيب النساء بنت محمد أورنغ زيب والشيخ أمان الله والملا ضياء الدين المحدث والملا سراج الدين الذين قاموا بتعليم الأمير معظم (شاه عالم). هذه بعض الأمثلة التي تقدّم صورة للبيئة البيهارية العلمية والأدبية وإلا فالواقع أن لبيهار تاريخاً مستقلاً بها في تطوير وإذاعة العلوم العربية الإسلامية".

قد نالت المنطقة الشرقية للهند درجة ممتازة بالأفكار والفنون والعلوم والآداب منذ زمن سحيق. إستخدم لهذه المنطقة الشيخ آزاد البلغرامي كلمة "الفواربة" في كتابه "سبحة المرجان في آثار الهندوستان". يقول عن تحقيق هذه الكلمة التي نحتها هو نفسه: الفورابة ج الفوربي نسبة إلى فورب وهي معربة لـ "بورب" (Purab) وبورب بلدة واسعة تقع على الجانب الشرقي لدلهي والواقع أن هذه الكلمة تطلق على ثلاث ولايات، أوده (Avadh) والله اباد (Allahabad)

وعظـيم آبـاد (Azimabad) (بتنه الحالية) وقد نقلت عنها كلمة شاهجهان الشهيرة:

"بورب شيراز مملكتِ ما است"

[ترجمة: بورب (الشرق) تتمتع بمكانة شيراز العلمية والأدبية في مملكتنا.]

هذه الجملة تعكس على بينة بورب العلمية والأدبية والحضارية والثقافية وولاية بيهار تنضم إليها.

هذه خلفية تُبرز معالم واضحة لجوّ بيهار العلمي العام وبصرف النظر عن المجالات الأخرى للغة وآدابها يمكن لنا توفير معلومات قيمة جمة لتدوين كتاب ضخم عن اللغة العربية وآدابها إذا قمنا بالبحث عن مساهمتها في هذا المجال الشريف. وقد جعلنا هذا الجانب العلمي نصبنا أعيننا في هذا المقال الوجيز وقمنا بمحاولة متواضعة لإلقاء الأضواء الوجيزة على إشراف علماء بيهار على ريِّ حقول اللغة العربية وعلومها وآدابها.

قد خلقت اللغة العربية منزلة ممتازة حيثما بلغ الإسلام خارجاً عن جزيرة العرب، وطنه الأصلي وتركت لغاتها المحلية ورائها في وقت قليل للغاية وقامت بأداء دور ريادي في تطوير العلوم والآداب والحضارة والثقافة والسبب الجوهري وراء هذا الواقع هو أن كافة تراث العلوم الإسلامية قد نما وزكا في حضن

هذه اللغةِ إلا أن سعة العلوم الإسلامية قد جذبت أنظار اللغات الأخرى إليها ولذلك فقد اتسع نطاقها المؤثر وأما تأثير اللغة العربية في الهند فهو أيضا منسوب إلى ورود الإسلام في هذه البلاد النائية ولو أن اللغة الفارسية قد ضجّ بها البلاد كما نالت إشراف الأمراء والسلاطين عليها ولكن مركزية اللغة العربية معترف بها عن جهة العلوم الإسلامية العربية وعلى هذا فقد أثمرت محاولات ريٍّ حقول العلوم والآداب العربية وتطويرها إلى حدٍ غبطها وأثنى عليها علماء البلاد العربية وقد نالت ولاية بيهار درجة ممتازة على ساحة الهند العامة في مجال اللغة العربية وآدابها عن جهات عديدة وما بذله علماءها في تطوير وإذاعة اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية من جهود جبارة بابٌ يعتز به تاريخ الهند.

وسلسلة تطوّر العلوم العربية الإسلامية في بيهار منوطة كذلك بتاريخ ورود المسلمين هنا. ولكن لا يمكن لنا أن نقول حتماً عن أول من يرجع إليه فضل التعريف بالعلوم الإسلامية هنا إلا أن بختيار الخلجي يعتبر بداية دخول المسلمين في هذه الولاية ولكن لا يمكن لنا الإنكار بالواقع أنه قد تمت مستعمرات المسلمين فيها قبل ورود المسلمين كما وجدت مراكز عديدة لفعاليات الصوفية، اشتغل أصحابها في نشر وإذاعة التعاليم الإسلامية. وهكذا بداية تاريخ المسلمين والعلوم الإسلامية المنظمة في بيهار تتشابه بداية تاريخ الخانقاهات والصوفية بحيث لا يمكن لنا الوصول إلى نتيجة بدون

جمعهما وإرتباطهما ولذلك فإنه لما نتكلم عن وجود المسلمين وتطوّر العلوم الإسلامية في بيهار فلا ننسى الصوفية وخانقاهاتهم فإن أعِدنا قول الشيخ مناظر أحسن الغيلاني "إن الميزة الموهوبة لتزكية الأخلاق وتصفية الأدمغة والعقول وتزكية النفوس والأخلاق لهى إسم آخر لإذاعة ونشر العلوم الإسلامية التي تنّورت وتجلّت بمظاهرها وبركاتها قلوبُ العامة والخاصة كذلك".

والآن وقد لزم ربط سداة تاريخ ورود الإسلام وتطور العلوم الإسلامية ولمحته في بيهار بتاريخ ورود الصوفية ووجود نظام الخانقاهات، وجب علينا ذكر مناطق بيهار المنجبة للشخصيات البارزة، التي نشرت وأنفقت خزائن الرشد والهداية والعلم والمعرفة لمدة قرون طويلة والتي شفى فيها عديدٌ من طلاب العلم والمعرفة غليلهم وأداموا هذه السلسلة المباركة في بلادهم حينما رجعوا منها وأبرز هذه المناطق العلمية والروحية قصبة منير (Manir) وبهلواري شريف (Phulwari Sharif). تولى الإمام محمد تاج الفقيه نظامَ قصبة منير في ٥٧٦هـ/١١٨٠م فقام بتأسيس خانقاه لإذاعة التعاليم الإسلامية وهداية الضالين المضلّين، تفرد في شرقي الهند بمركزيته للقيادة الروحية بجانب تولّي سلطة الحكم قبل حملة بختيار الخلجي. خلف هذا الفقيه رجالاً بارزة فقيدة النظير وحيدة العصر اعترف بفضلها وروحيتها أصحاب كافة شبه القارة في القرن السابع الهجري وأبرزها الشيخ شرف الدين بن أحمد يحي المنيري رحمه

الله تعالى. كانت مواعظه وتعاليمه مؤثرة إلى حدٍ جذبت قلوب الأقاصي والأداني من الناس وأنظارهم وأناروا قلوبهم وعقولهم بنور الروحية المنشورة هنا فقد أخرج هذا الرجل الكبير آلافا من الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام والهداية وصبغهم بصبغة التعاليم الإسلامية.

وهكذا عُمِّرت بهلواري شريف بالعلماء والأفاضل والمشايخ الكرام والأدباء البارزين والشعراء المفلقين طوال القرون فيذهب تاريخ هذه القصبة البيهارية في القدم لميزاتها العلمية والمعرفية والروحية فالشخصية المباركة التي أنارت هذه المنطقة بنورها الروحي هي حضرة مخدوم سيد منهاج الدين خليفة ومريد حضرة مخدوم جهان فقد بدَّد وجودهُ ظلمات الكفر والضلال في هذه المنطقة ونشر نور الإسلام والتوحيد وتبعه وجود عشيرة أخرى ترأسها حضرة أمير عطاء الله. أنجبت هذه العشيرة المباركة علماء بارزين ومشايخ كراماً فالشيخ تاج العارفين سيد شاه محمد مجيب الله القادري ينتمي إليها علماً وروحاً فحصل الشيخ على العلوم والمعارف على أخيه من الخالة حضرة عماد الدين قلندر وعقد البيعة لديه في السلسلة القادرية وبعد ما توفي شيخه حضرة عماد الدين قلندر بدأ بسلسلته الروحية وعلاوة على هؤلاء هناك خانقاهات عديدة، صغيرة وكبيرة، اشتغل أصحابها في نشر العلوم الإسلامية وإفاضة المعارف الروحية فالصوفية الكرام الذين تولّوا مناصبَ

التعليم والتربية الروحية كانوا متضلعين من العربية وآدابها بجانب مهارتهم في اللغة الفارسية ولو أن آثارهم الكتابية معظمها باللغة الفارسية فلا يقل عدد كتاباتهم العربية التي تحتوي على موضوعات التفسير والحديث والفقه والسيرة والأدب والتصوف فلو نظرنا عن جهة خدمات اللغة العربية وآدابها فتجلى لنا هذا الواقع أن الخانقاهات القديمة كانت مراكز مهمة لإذاعة العلوم والفنون وتطورها في ولايتها فالصوفية والمشايخ لم يعدُّوا مجاهدة النفوس وتكرار الأوراد عبادة محضة فحسب بل جعلوا تعليم الشريعة وتربية الطريقة (إصلاح ظاهرهم وباطنهم) نصب أعينهم الحقيقي فأقوالهم الروحية ورسائلهم المباركة ومؤلفاتهم القيمة الشاملة موضوعاتٍ متنوعةً تُثبت ما ندَّعي.

وعلاوة على دور الخانقاهات في هذا الباب فقد أشرف السلاطين والحكام على خدمات العلوم الدينية واللغة العربية وآدابها في الهند الإسلامية القديمة بحيث تم تأسيس مدارس عديدة نوَّرت الأقاصي والأداني في العلوم والأخلاق وفي هذا الشأن نجد قيام مدارس عديدة في ولاية بيهار، تخرج فيها علماء بارزون أصبحوا مراجع للناس لا في بيهار فحسب بل في كافة ولايات الهند وخارجها وبختيار الخلجي نفسه أمر بتأسيس مدارس في المناطق التي فتحها لكي يتسع الجوُّ ويخلق الوضع لنشر العلوم الدينية فيقول صاحب "تاريخ فرشته" (ج٢): أول حاكم إسلامي دخل هذه

المناطق وروّج شعائر الإسلام هو "بختيار الخلجي" وأما تاريخ وجود مراكز بيهار العلمية والفكرية وتأسيس مدارسها القديمة فلا نجده بالتفصيل ولكن مع ذلك هناك معلومات مبعثرة بجانب مناطقها الشهيرة العلمية، يمكن لنا القول في ضوءها أن المدرسة الإسلامية، بيهار شريف ، ومدرسة خانقاه شاه كبير ، سهسرام (Sahsaram) ومدرسة النواب آصف خان، دانا بور (Danapur) و مدرسة بتنه (Patna) كلها تحتل الأهمية والمرجعية فيما بين مدارس بيهار وممن تعلّم ودرس من العلماء في هذه المدارس من وصل في العلوم والفنون إلى درجات تعتز بها العظمة والرفعة نفسها. وهذه هي عظمة بيهار العلمية وضجة فضل علماءها أن قوافل طلاب العلوم والفنون قد وصلت إليها من ملتان وأن علماءها دُعُوا إلى دلهي لتعليم الأمراء وأولاد الحكام وليس هذا فقط بل جاء في تذكرة الشيخ شمس الديانوي المحدث أن طلاب المدينة واليمن ونجد قد إجتمعوا لديه لكي يشفوا غليلهم العلمي والأدبي والخلقي.

وقد اعترف بقدر علماء بيهار العلمي والفكري، كما مضى، بحيث أن بعضهم تم تعيينهم على مناصب عالية من قبل السلاطين والمغول كما جعلوا معلّمين لأولادهم وبناتهم وبالجملة فإن تقليد نشر العلوم والفنون قد عمَّ هذه المناطق وسكنها العلماء الأفاضل الكبار ولذلك فلما حدثت المناظرة بين الشيخ علائي مؤسس الفرقة المهدوية وعلماء زمنه في عهد السلطان سليم قبل خمسة قرون عُيِّن

الحكم عالماً بيهارياً يسمَّى "الشيخ طيب بدهن" ونظراً لمركزية بيهار العلمية لا يمكن لنا الإغفال عن الواقع التاريخي أن القضايا الدينية المهمة التي حدثت في عهد الإسلام شاه ولي عهد شير شاه طُلِبَ للإفتاء عليها الملا بدهِ حقاني من قبل حاكم غواليار (Gwalior) وهكذا حينما وقع الخلاف في قضية فيما بين علماء دلهي في عهد الشاه عالمغير أستشير فيه عالمٌ بيهاريٌ يقال له "الشيخ شهباز الباغلبوري" (Bhagalpuri) وكما قال الشيخ الغيلاني "كان السلطان يقول إن الشيخ شهباز مثل أبو حنيفة في زمانه وكل جاءٍ وآتٍ يعترف بتشرعه وتورعه" (راجع كتاب "مدارس الهند القديمة الإسلامية" نقلاً عن صبح غلشن، مجلة أفكار ملي، عدد خاص عن ولاية بيهار) ويدلُّ على هذا الواقع التاريخي الزاهر مراكز ومدارس بيهار العلمية والتعليمية.

ولم يكن نطاق خدمات علماء بيهار العربية والإسلامية ضيقاً في حدود ولايتهم أو بلادهم بل اعترف العلماء العرب بحسن صيت كمالهم العلمي وعظمة قدر مؤلفاتهم وهكذا فيرجع فضل التعريف بعلماء البلاد على خارجها إلى هؤلاء العلماء البيهاريين فقد قام الميرزا رحيم الله المعروف بـ "محمد درويش العظيم آبادي" بتعريف مجدد الألف الثاني وعبد الحق المحدث الدهلوي رحمهما الله خارج البلاد وكذلك قال صاحب "تاريخ السودان"(ج١، ص٥٧) "أول من أدخل السلسلة القادرية في السودان هو صوفي بيهار المسمى بـ "تاج الدين".

لم تكن إفاضات علماء بيهار محدودة في حدودها بل خرج معظمهم وتلألأ نجمهم في مجالس غيرها العلمية والتعليمية وتشهد وقائع التاريخ أنهم ارتحلوا إلى دلهي وأوده لنيل العلوم وفي الأخير تولّوا مساند تدريس وتعليم أساتذتهم ولنذكر على سبيل المثال الملا محبّ الله في أوده والشيخ ميان سيد محمد نذير حسين المحدث الدهلوي في دلهي ولا تخفى على أحدٍ ما قدّمه الآخر من خدمة علوم الحديث في دلهي فلا تخلو أي منطقة من البلاد من تلامذته ومن الأشكال والطرق التي اختارها علماء بيهار لخدمة العلوم العربية الإسلامية قيامهم في بيوتهم وتدريسهم فيها فقد قال الشيخ أبو الحسنات الندوي في كتابه "هندوستان كي قديم درسكاهين" (مدارس الهند الإسلامية القديمة): وفي الغالب كان معظم الرؤساء والأمراء متشرفين بثروة العلوم والفنون وقد أدّوا خدمات العلوم قائمين في بيوتهم مستغنين عن الأموال والجاهات" لم يصل إلينا معظم تراثهم العلمي العربي أو أكله الدود أو ذهب به الدهر لسبب أن هؤلاء القليلو الأموال لم يتوفر لهم من الثروات ما طبعوا به آثارهم وينشروها في الناس وزد على ذلك غنائهم عن هذا وغفلتهم عن ذلك.

قد اختار الله سبحانه وتعالى مدن وقصبات بيهار للإشراف على العلوم والفنون وأعطاها من العزة والمنزلة ما علا به نجمهم في سماوات العلوم والفنون. ومن أبرز هذه المدن والقصبات منير

وسهسرام (Maner) وديانوان (Sahsaram) ومحي الدين بور (Deyanvan) ونغرانهاسه (Muhiyuddinpur) ونيمي كوهته (Nagranhasa) (Nimikohta) وغيلاني وأستانوان (Gilani) وديسنه (Asthanuan) ورحيم آباد (Desna) وصادق بور (Rahimabad) وبهلواري شريف (Sadiqpur) (Phulvari Sharif) وهذه هي المناطق التي انبثقت منها ينابيع العلوم والفنون منذ قرون ولم لا نثني على الفيضان الصادر من منير شريف والعلماء والمشايخ والصوفية وأرباب الفكر الذين عمّموا رسالة الرشد والهداية وشفوا غليل طلاب العلوم فأصبحوا مراجع لهم ومصادر لغيرهم. إن خانقاهاتها ومدارسها قد زكّت الأرواح و هذّبت العقول والأذهان وهكذا تحتل قصبة بهلواري شريف نفس الأهمية في مجال العلوم والبركات هي في بيهار مثل "فرنغي محل" (Farangi Mahal) في أوده (Avadh). إن تاريخها العلمي والروحي قديم للغاية بالنسبة لميزاتها العلمية والروحية المتعددة ويمكن تقدير علميتها ومعلميتها أن المكتب الذي قام بإيجاده السلطان أورنغ زبيب عالمغير لتدوين الفقه الإسلامي من جديد يعزى إلى أعضاءه علماء بهلواري شريف وهكذا فقد وصل إليها معظم أفاضل العلماء في تاريخ الهند أمثال الشيخ عبد العلي بحر العلوم اللكناوي والسلطان شاه عالم وشجاع الدين ومير قاسم وكما قال الشيخ الغيلاني "إنك تجد في هذه القرية الشاه ولي الله الدهلوي والشاه عبد العزيز الدهلوي والملا نور الحق والملا جلال الذين تشرفوا هنا بالحصول على الأسناد العلمية

والروحية (راجع "مقدمة أعيان وطن") وفي هذه القرية دُفنت الشخصية الروحية الكبرى التي أنارت كافة البلاد وهي شخصية حضرة تاج العارفين مخدوم شاه مجيب الله القادري قدس الله سره. أنجبت هذه العشيرة علماء أفاضل مثل الشاه نور الحق تبان (Tapan) والشيخ الشاه أبو الحسن فرد والشيخ الشاه ظهور الحق المحدث والشاه نذير الحق فائز والسيد تمنّا عمادي وسنذكر مؤلفاتهم العربية فيما بعد.

ونرتكب الخيانة العلمية إذا لم نثن على حبِّ رجل كبير للعلم وكلفه لجمع الكتب وهو الذي اشتهرت من أجله بيهار في أنحاء العالم. يقال لهذا الرجل الكبير "خدا بخش خان". تحرير الكتب ثم نشرها بين الناس عمل تذكاري يحفظ المؤلف في صفحات التاريخ ويُخلّد ذكره في العالم العلمي وفي بعض الأحيان يجعله فائزاً في الدنيا والآخرة ولكن جمع الكتب وصونها بأساليب متعددة ليس أقل من ذلك وإن صون الكتب لهو عبارة عن تخليد ذكر المؤلف وإلا فقد مضى عدد كبير من العلماء والكتاب الذين ذكرت كتبهم في التراجم وهي ليست موجودة في أي مكان وعملية صون الكتب والرسائل دليل على ذوق صاحبها العلمي ورغبته الزائدة في الكتب وقد وُفّقت بيهار وجود رجل كبير غلبته هذه الرغبة العلمية، وهو الذي وضع ذكرها في صفات تاريخ العالم. نسمّيه بـ "خدا بخش خان" (١٨٤٢-١٩٠٨م) إن مكتبته التي قام بتأسيسها هو نفسه قد أصبحت مصدراً ومرجعاً لكافة عشاق العلوم والفنون في العالم. إن مكتبة خدا بخش

معروفة في العالم لأجل وجود النوادر الخطية. ورث المرحوم خدا بخش هذه الرغبة من أبيه فكلف بها إلى حد لم يرجع النظر إلى شيء ما. ضبط أصحاب ترجمته ما قدَّمه المرحوم من جهد جهيد ونفيس ثمين في جمع النوادر الفارسية والعربية والأردوية وهذه الوقائع ترغّب القارئ في قراءتها وتحيِّره عند النظر إليها وتدلّه على إختيار مثلها. إن هذه النوادر الخطية عزة المكتبة وأمينة عظمة بيهار العلمية ومفخرة للهند وقد عزم المرحوم خدا بخش عند جمع هذه المخطوطات النادرة على فتح الأبواب لطلاب العلوم والفنون وشفاء غليلهم العلمي حتى الإمكان فقد نشر الكتب وجعلها مفيدة للناس ولذلك فقد دوَّن هذه النوادر ونشرها وتجري هذه العملية بصورة مستمرة ومن المخطوطات التي صدرت عنها بعد الجمع والتحقيق هي:

١. المشجر الكبير لأبي زكريا يوحنا ويحي بن ماسويه. تقديم: البروفيسور قمر آستان خان، ١٩٩٤م، صفحاتها ٣٦١

٢. كتاب الأسد والغواص، تقديم: د.مهدي الأنصاري، ١٩٩٤م، صفحاتها ١٣٦.

٣. اختيار الرفيق لطلاب الطريق لأحمد بن سلامة المقدسي (تذكرة نادرة للصوفية حتى القرن الثامن الهجري) تحقيق وتدوين: د. محمد ذاكر حسين، ١٩٩٨م، صفحاتها ٢٨٤.

٤. الفهـرس لفهـارس المخطوطـات (فهـرس المخطوطـات الموجودة في المدينة المنورة)، ١٩٩٦م، صفحاتها ٤٢.

وفي يومنا هذا تلد أرض ولاية بيهار علماء وأدباء يخدمون اللغة العربية وآدابها عن طريق مؤلفاتهم القيمة في مجالات العلوم العربية والإسلامية ويشتغلون في إتباع أسلافهم الذين أشعلوا سرج العلوم والفنون ويصعب لنا إحصاء العلماء الذين يدرّسون في الهند وخارجها ويخدمون اللغة العربية وآدابها إلا الذين قاموا بتأليف الكتب والرسائل وأخلدوا أسمائهم في صفحات التاريخ ولكنهم ليسوا بقلائل فكتاب "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" (الإعلام بمن في الهند من الأعلام حديثا) للشيخ سيد عبد الحي مرجع مهم لأخذ المعلومات عن حياة بيهار الدينية والعلمية والأدبية والإجتماعية حتى القرن الرابع عشر الهجري. هذه تذكرة علماء ومشايخ الهند المتحدة الذين أدّوا واجبات نشر وإذاعة العلوم العربية الإسلامية مقيمين في مختلف ولايات ومدن الهند. يوجد في غير موضع منه ذكر صوفية بيهار وعلماءها ومشاهيرها الذي يلقي ضوءً كاملاً على بيئة بيهار العلمية والأدبية. وهناك مؤلفات عديدة لمن جاء ذكره فيه وهم خلفوا آثارهم باللغة العربية بجانب تحرير كتب ورسائل باللغتين، الفارسية والأردوية ونظرة خاطفة على هذه المؤلفات القيمة تدلنا على أنهم قدّموا خدمات كتابية جليلة في مجالات التفسير والحديث والفقه والمعقولات والتصوف، ثبتت

إضافات ثمينة إلى تراث الهند العلمي كما اعترف بروعتها علماء جزيرة العرب وأثنوا عليها كثيراً.

والمحدثون الذين يأتي ذكرهم نظراً لإذاعة ونشر علوم الحديث في بيهار تبلغ سلسلتهم تقريباً المحدثين الكبيرين الشيخ ميان سيد محمد نذير حسين الدهلوي والشيخ فضل رحمان غنج المراد آبادي أو أساتذتهما. أول من جاء ذكره في فهرس المحدثين في بيهار هو الشيخ ولايت علي الهاشمي الصادقبوري العظيم آبادي (م ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م) ثم يأتي ذكر الشيخ إبراهيم النغرنهسوي (م ١٢٨٣هـ/١٨٦٧م). كلاهما ينتميان إلى سلسلة حديث السيد أحمد الشهيد وعلاوة على هذين فالشيخ لطف علي الراجغيري(م ١٢٩٦هـ ١٩١١م) والشيخ شمس الحق الديانوي (م ١٣٢٩هـ/١٩٠١م) والشيخ إبراهيم الآروي (م ١٣١٩هـ/١٨٩١م) محدِّثون مشهورون في تلامذة الشيخ نذير حسين الدهلوي وممن ينسب إلى سلسلة حديث الشيخ فضل رحمان غنج المراد ابادي الشيخ نور محمد الديانوي (م١٣١٨هـ/١٩٠٠م) والشيخ ظهير أحسن شوق النيموي(م١٣٠٩هـ/ ١٩٩١م) والشيخ محمد علي المونغيري (م١٣٤٥هـ/١٩٢٧م) والشيخ فضل الله الرحماني (م ١٣٢٠هـ/١٩٠٣م) ومع هؤلاء فقد قدّم خدمات جليلة في هذا العلم الشريف ملكُ العلماء الشيخ ظفر الدين البيهاري (م ١٣٨٤هـ/١٩٢٩م) والشيخ أصغر حسين وتجد في هذا العلم "آثار السنن" للشيخ العلامة ظهير أحسن النيموي و"فضل

الله الصمد في توضيح الأدب المفرد" للشيخ فضل الله الرحماني و"صحيح البيهاري" للشيخ ظفر الدين البيهاري تراثاً علمياً قيماً نال صيتاً ذائعاً دولياً وزاد قدر ولاية بيهار العلمي في مجال خدمات العلوم الإسلامية.

ولو نظرنا في ضوء فن شرح الأحاديث الخاص فقد تم تاليف شرحين نالا شهرة لا في بيهار فحسب بل في كافة أنحاء بلاد الهند حتى اعترف بقدرهما العالم العربي والإسلامي خارج الهند فأولهما "غاية المقصود وعين المعبود شرح سنن أبي داؤد" للشيخ شمس الحق الديانوي و والآخر "فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد" للشيخ فضل الله الرحماني وهذا من الواقع أن "الأدب المفرد" للإمام البخاري طبع أولاً في الهند ومن العجيب أن أول شروحه قد تم تاليفه في هذه البلاد أيضاً وهو شرح جميل يغني القراء عن غيره من الشروح ومثل هذا وقع مع الفقه والتصوف والمعقولات فقد صدرت كتب قيمة عن هذه العلوم والفنون، تم تقريرها كأمهات الكتب في المدارس الدينية.

وفيما يلي فهرس وجيز لمؤلفات العلماء العربية، يسهل به تقدير خصوبة أرض بيهار ترى العلوم والفنون العربية ونمّوها وإزدهارها فيها وفي غيرها من الولايات ولو أنه فهرس غير تام ولكنه يعيننا في تقدير كيفية كلف علماء بيهار باللغة العربية وآدابها.

١. الشيخ شرف الدين بن أحمد يحي المنيري (م ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م): شرح آداب المريدين.

٢. تقي الدين المهسوي البورنوي (م ٨٠٢هـ/١٣٩٩م): ملتقط إحياء العلوم (شرح إحياء العلوم للغزالي).

٣. الشيخ أحمد بن إبراهيم البيهاري (م ٢٩ رمضان ٩١٤هـ/٧ يناير ١٥٠٩م): حاشية على شرح آداب المردين.

٤. الشيخ نظام الدين المنيري (م ٩٨٠هـ/١٥٧٣م): (١) القصيدة الكبرى وشرحها (٢)الصراط المستقيم (٣) أصول المقصود.

٥. الشيخ رضي الدين الباغلبوري (م ١٠٩٦هـ/١٦٨٥م): مصاحب "فتاوى عالمغيري".

٦. الشيخ شهباز محمد الباغلبوري (م ١٦ صفر ١٠٥٠هـ/٨ يونيو ١٦٤٠م): شرح ستين.

٧. الملا أمر الله بن منير الله (م ٢٠ محرم ١١٦٨هـ/٨ نوفمبر ١٧٥٤م): تحليل المعضلات لابن العربي (شرح "كتاب المعضلات" لإبن العربي بالعربية وهو كتاب مشهور للغاية في التصوف).

٨. السيد حسن رضا العظيم آبادي: التاليف المحمدي (في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم)

٩. الشيخ عبد الوهاب الراجغيري: (١) بحر المذاهب (في علم الكلام) (٢) كتاب الصدر (في العقائد) توجد نسخة "بحر المذاهب" الخطية المكتوبة في ١٠٢٩هـ/١٧١٧م في مكتبة رضا برامفور.

١٠. الشيخ شمس الدين البالابوري (م١١٧٢هـ/ ١٧٥٩ م):العنايات الإلهية.

١١. الشيخ كليم الله الجهان آبادي(م٤٢-١١٤٠هـ/١٧٢٨-٣٠م): (١) قرآن القرآن (٢) الكشكول الكاملة (٣) العشرة الكاملة (٤) كتاب الرد على الشيعة (٥) تشريح الأفلاك مع الحواشي بالفارسية (٦) شرح القانون (٧) سواء السبيل (٨) المرقع

١٢. السيد كمال الدين العظيم آبادي: الرسالة القطبية.

١٣. السيد محمد أسلم الحسيني البتنوي (م١١شوال١١٣٨هـ/ ١٣ يونيو ١٧٢٦م): عمدة النجاة في إيضاح الزلات (في الفقه).

١٤. الشيخ منعم بن أمان البيهاري (م ١٢ رجب ١١٨٠هـ/ ١٥ ديسمبر ١٨٦٦م): رسالة في الحقائق والمعارف.

١٥. الشيخ أبو الحسن البهلواوي (م ٢٤ محرم ١٢٦٥هـ/ ٢١ ديسمبر ١٨٤٨م): (١) حاشية على شرح السلم لحمد الله

(٢) رسالة في تقبيل الإبهامين (٣) رسالة في تحقيق إثني عشر خليفة.

١٦. الشيخ أحمد بن وحيد البهلواوي (م ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م): (١) حاشية على مير زاهد ملا جلال (٢) حاشية على مير زاهد شرح المواقف (نص) (٣) حاشية على الشمس البازغة (٤) حاشية على شرح هداية الحكمة (٥) رسالة في مبحث مثناة بالتكرير.

١٧. الملا محب الله البيهاري: (١) سلم العلوم (في المنطق) (٢) مسلم الثبوت (في أصول الفقه) (٣) الجوهر الفرد (في الفلسفة) (٤) رسالة في مغالطة عامة الورود.

١٨. الملا غلام يحي البيهاري (م ١١٨٠هـ/١٧٦٦م): (١) لواء الهدى في الليل والدجى (٢) حاشية على مير زاهد (٣) حاشية على شرح السلم لحمد الله (٤) كلمة الحق (في ترديد "المحاكمة" للشاه ولي الله الدهلوي).

١٩. المخدوم حسين نوشه توحيد البلخي: الرسالة في التوحيد.

٢٠. الشيخ إدريس الديانوي العظيم آبادي: أعدل الأقوال.

٢١. الشيخ أمين الله العظيم آبادي (م ١٢٣٣هـ/١٨١٨م): (١) رسالة في تفسير قوله تعالى "ولكم في القصاص حياة"

(٢) القصيدة العظمى (في مدح النبي صلى الله عليه وسلم) (٣) حاشية على مير زاهد (٤) حاشية على مير زاهد شرح المواقف (٥) حاشية على مسلم الثبوت.

٢٢. المفتي أنور علي الآروي (م ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م): قسطاس البلاغة.

٢٣. الشيخ تصدق حسين العظيم آبادي(م ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م): تعليقات على شرح هداية الحكمة للميبذي.

٢٤. ميرزا حسن بخش العظيم آبادي (م ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م): (١) رسالة في وجوب صلوة الجمعة (٢) رسالة في الصيام.

٢٥. الشيخ شرف الدين البهلواوي (م ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م): (١) شرح على تهذيب المنطق (٢) لب العقائد (شرح عقائد النفي) (٣) رسالة رفع السبابة عند التشهد (٤) رسالة ما أهل به لغير الله.

٢٦. الشيخ الشاه ظهور الحق البهلواري العظيم آبادي (م ١٢٣٤هـ/١٨١٩م): (١) مؤلفات عديدة عن الفقه والسلوك (٢) أعيان (في المنطق) (٣) فيوضات إلهامية (٤) تسويلات الفلاسفة (٥) إثبات إيجاد الخير عن الحق (٦) نصح الفصيح (٧) خطب الجمعة (مع الأشعار بالفارسية).

٢٧. السيد علي أعظم البهلواري (م ١٢٩٨هـ/١٨١٨م): رسالة في إبطال الضرائح المروجة في الهند.

٢٨. الشيخ علي حبيب البهلواوي (م ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م): (١) النعمة العظمى (٢) شواهد الجمعة (٣) الأسوة الحسنة (في تفضيل الخلفاء) (٤) صلاة المحبين.

٢٩. الشيخ محمد بن يحي الترهتي: اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني.

٣٠. الشيخ محمد إمام البهلواوي (م ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م): رسائل في المنطق.

٣١. الشيخ وحيد الحق البهلواوي (م ١٢٠١هـ/٧٨٧م): (١) تعليقات على هداية الفقه وشمائل الترمذي وتفسير البيضاوي (٢) شرح الكلمة الطيبة (في اللغتين الفارسية والعربية) (٣) رسائل في اللغة (٤) زاد الآخرة (٥) قرة عين العاشقين في حلية سيد المرسلين.

٣٢. الشيخ إبراهيم بن عبد العلي الآروي (م ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م): (١) طريق النجاة في ترجمة الصحاح من المشكاة (٢) تفسير الجزء الآخر من القرآن (٣) شرح الدر البهية للشوكاني (٤) أركان الإسلام (٥) القول المزيد في

احكام التقليد (٦) تلخيص الصرف والنحو (٧) إرشاد الطلب إلى علم الأدب (في النحو) (٨) تسهيل التعليم.

٣٣. الشيخ السيد محمد صلاح خاموش الدر بهنغوي (م ١٢٢٨هـ): فياضية شرح الكافية.

٣٤. الشيخ رفيع الشكرانوي: (١) شرح أبي داود (٢) الإسعاف مفيد الأحناف (٣) مرغوب القلوب.

٣٥. الشيخ السيد يعقوب الرضوي (م ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م): (١) رسالة ما أهل به لغير الله (٢) كتاب الأنساب.

٣٦. الشيخ شعيب بن الشيخ السيد محي الدين أحمد الرضوي: الدر الفريد في سلاسل أهل التوحيد.

٣٧. الشيخ عبد الغني البهلواروي (م ١٣١٧هـ/١٨٩٩م): (١) مواطن التنزيل (حل غوامض فتوحات مكية) (٢) حل العقود (في المنطق) (٣) رسالة تحرير مغالطة عامة الورود (٤) حواشي صدرا (في الفلسفة) (٥) حاشية على سرح السلم (٦) حاشية القاضي مبارك (٧) حاشية على التلويح.

٣٨. الشيخ سعادت حسين البيهاري (م١٣٦٠هـ/١٩٤١م): (١) حاشية على مير زاهد (٢) رسالة في إبطال التناسخ.

٣٩. الشيخ سليمان بن داؤد البهلواروي (م ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م): (١) آداب الناصحين (٢) ذكر الحبيب (٣) شرح القصيدة الغوثية (٤) شرح الحديث المسلسل (٥) صلاح الدارين في بركات الحرمين (٦) صيانة الأحباب عن إهانة الأصحاب (٧) عين التوحيد.

٤٠. الشيخ ظهير أحسن شوق النيموي (م ١٣٢٥هـ/١٩٣٥م): (١) أوشحة الجيد في تحقيق الإجتهادوالتقليد (٢) الحبل المتين (٣) التعليق الحسن على آثار السنن (٤) تعليق التعليق (٥) رد السالكين (٦) جلاء العين في رفع اليدين (٧) جامع الآثار في صلاة الجمعة في القرى (٨) لامع الأنوار (٩) آثار السنن (في علوم الحديث).

٤١. الشيخ عبد الرحيم الصادقبوري (م ٠ ذي الحجة ١٣٤١هـ/ ٢٥ يوليو ١٩٢٢م): دافع البهنتان عن سيد الإنس والجان (في السيرة).

٤٢. الشيخ عبد الوهاب البيهاري (م ١٣٣٥هـ/١٩١٧م): (١) الصحيفة الملكوتية (حاشية على مير زاهد) (٢) شرح على هداية الحكمة.

٤٣. محمد أحسن الغيلاني (م ١٣٠١هـ/١٨٨٤م): (١) رسالة في مبحث الوجود الرابطي (٢) حاشية على حاشية بحر العلوم (٣) حل العقود في بعض مسائل التصوف.

٤٤. الشيخ محمد سعيد العظيم آبادي (م ٤ شعبان ١٣٠٤هـ/ ٢٩ أبريل ١٨٨٧م): (١) قسطاس البلاغة (٢) مقصد البلاغة (٣) شرح ميزان المنطق (٤) تحفة الإخوان في المناظرة (٥) إبتسام العطر في أحكام عيد الفطر (٦) زاد الفقيه (٧) الحلاوة العلية (تعليقات على شرح الجامي).

٤٥. الشيخ محمد علي المونغيري (م ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م): (١) مرآة اليقين (٢) دفع النلبيات (٣) التصدير المحمدي (طبع في اللغات العربية والفارسية والأردوية في ١٩٩٩م).

٤٦. الحكيم محمد ياسين الآروي (م): (١) الرسالة في جهر التأمين وسره في الصلوة (٢) تنبيه الشيطان (٣) رسالة في مناقب الإمام أبي حنيفة.

٤٧. الشيخ ميان سيد محمد نذير احمد المحدث الدهلوي (م ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م): معيار الحق (في أصول الفقه).

٤٨. الشيخ السيد الحكيم علي أظهر: (١) حاشية على شرح التهذيب والقطبي (٢) نخبة البيان (٣) نافع القرءة (في التجويد) (٤) كشف الظلمات.

٤٩. الشيخ شمس الحق الديانوي العظيم آبادي (م ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م): (١) غاية المقصود في حل سنن أبي داؤد (شرح طويل لسنن أبي داؤد) (٢) التعليق المغني على سنن الدار

قطني (تم طبع نصوص سنن الدار قطني مع التعليقات المفيدة عليها) (٣) رفع الإلتباس عن بعض الناس (٤) إعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر (٥) المكتوب اللطيف إلى المحدث الشريف (٦) عقود الجمان في جواز الكتابة للنسوان (تمت إجازة تعلم الكتابة والتحرير للنسوة في ضوء الأحاديث الشريفة (٧) الأحكام الصحيحة في أحكام النسكية (بحث عن سنية العقيقة والأذان لدى الولادة) (٨) غنية اللامع (٩) تعليقات على إسعاف المبطأ برجال الموطأ (١٠) الكلام المبين في الجهر بالتامين (١١) التحقيقات العلى بإثبات فرضية الجمعة القرى (١٢) هداية النجدين إلى حكم المعانقة والمصافحة بعد العيدين (١٣) فضل الباري شرح ثلاثيات البخاري (١٤) النجم الوهاج في شرح مقدمة مسلم بن الحجاج (١٥) هداية اللوذي بنكات الترمذي (لم يتم) (١٦) تعليقات على سنن النسائي (١٧) نخبة التواريخ (تراجم العلماء الأقدمين. إستفاد منه صاحب "نزهة الخواطر") (١٨) نهاية الرسوخ في معجم الشيوخ (١٩) تفريح المتذكرين بذكر كتب المتأخرين (٢٠) النور اللامع في أخبار صلاة الجمعة عن النبي الشافع (٢١) تحفة المجتهدين الأبرار في أخبار صلوة الوتر وقيام رمضان النبي المختار.

٥٠. الشيخ عبد العزيز الرحيم ابادي (م ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) : (١) هداية المقتدي في قراءة المقتدي (بحث عن وجوب قراءة سورة الفاتحة خلف الإمام) (٢) البرق المنشور (ردّ على عالم شيعي)

٥١. الشيخ قادر بخش السهسرامي (م ١٣٣٧هـ/١٩١٩م): (١) التقرير المعقول في فضل الصحابة وأهل بيت الرسول (٢) الأربعين في إشاعة مراسم الدين (٣) ضرب القادر على رقبة الواعظ الفاجر (٤) رفع الإرتياب عن المغتربين بشرف الأنساب (٥) غاية المقال في رؤية الهلال (٦) تحفة الإنقياد في فضائل آل العباد (٧) جور الأشقياء على ريحانة سيد الأنبياء.

٥٢. الشيخ محمد علي الأكبر نغري (م ١٩١٩م): (١) مجمع الآداب (طبع في ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م) (٢) آداب القرآن (طبع في ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م).

٥٣. السيد الشاه محمد سليمان البهلواري(م ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م): (١) صيانة الأحباب بين إهانة الأصحاب (٢) كتاب المراثي (مجموع مراثيه بالعربية) (٣) نصرة الصوفية (بالعربية والفارسية) (٤) كتاب الأشغال والأوراد (٥) عين التوحيد (كتاب قيم عن وحدة الوجود) (٦) القصائد والغزليات العربية.

٥٤. الشيخ الشاه محي الدين القادري (م ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م): أربع خطب عربية (أولاها تنطق عن مولد النبي والأخرى عن معراجه والثالثة عن شهر رمضان وفضيلة الصوم والرابعة عن أحكام وفضائل الصوم، لم تطبع حتى الآن).

٥٥. الشيخ السيد سليمان الندوي (م ١٩٥٣م): (١) دروس الأدب (٢) لغات جديدة (شرح وتحقيق أربعة آلاف كلمة جديدة) (٣) مقالاته في مجلتي "الضياء" و"البيان" (٤) إفتتاحياته وتقديماته (٥) رسائله العربية (٦) قصائده ومربعاته العربية (راجع مقالة الدكتورة سطوت ريحانة المنشورة في العدد العشرين والمائة لمجلة مكتبة خدا بخش).

٥٦. الشيخ رحم علي الجعفري البهلواري(م١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م): تفسير رحم علي (مخطوط) توجد ستة مجلداته من أحد عشر مجلداً في المكتبة المجيبية والمجلدات هي الأول والسابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر. تم تأليفه على منهج تفسيرات أحمدية.

٥٧. أمين الله بن سليم الله العظيم آبادي (م ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م): (١) حواشي مير زاهد (٢) حواشي مير زاهد أمور عامة (٣) حواشي مسلم الثبوت.

٥٨. الشيخ أحسن بن السيد شجاعت البيهاري الغيلاني (م ١٣٠١هـ/١٨٨٤م): حاشية على رسالة بحر العلوم في الوجود الرابطي.

٥٩. أحمد بن وحيد الحق البلهواري (م ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م): (١) حواشي على مير زاهد ملا جلال (٢) حواشي على مير زاهد، أمور عامة (٣) حواشي على الشمس البازغة.

٦٠. الشيخ الحكيم أبو نعمان لعل زمان السهرامي: تاريخ دول العرب والإسلام (ثلاثة مجلدات). توجد في مكتبة ولده الحكيم مسيح الزمان (م ١٩٤٧م) (راجع تذكرة علماء بيهار، ص٦٢).

٦١. الشيخ فضل الله الرحماني المونغيري (م ١٩٧٩م): (١) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد (شرح دولي "الأدب المفرد" للإمام البخاري (٢) حضرة عبد الرحمن بن عوف (٣) شرح الترمذي (زيادة في شرح الترمذي للشيخ عبد اللطيف).

٦٢. ملك العلماء الشيخ ظفر الدين البيهاري (م ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م): (١) جامع الرضوي المعروف بـ "صحيح البيهاري (حديث ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م). هذا أهم وأفضل مجموعات الأحاديث الصحيحة بعد "آثار السنن" للشيخ

ظهير أحسن شوق النيموي البيهاري (م ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م). وهو مؤيد ومصدر الفقه الحنفي يحتوي على ١٠٠٠ صفحة و ١٠٠٠٠ حديث (٢) شرح كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (تم تأليفه في ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) للقاضي عياض بن موسى الغرناطي المالكي (م ٥٤٤هـ/١١٤٩م) (٣) التعليق على القدوري (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) (٤) التعليق على شروح المغني (٥) القصر المبني على بناء المغني (لم يتم).

٦٣. الشيخ محمد ناظم الندوي المونغيري ثم اللاهوري (م يونيو ٢٠٠٠م): (١) المنهج الجديد لدراسة اللغة العربية (في أربعة أجزاء) (٢) الرسالة المحمدية (ترجمة خطبات مدارس لسيد سليمان الندوي) (٣) سيرة عائشة (ترجمة "سيرت عائشة" للعلامة الندوي المذكورة أعلاه) (٤) ديوان شعره العربي (٥) مقالاته المنشورة في مجلة "الضياء".

٦٤. الدكتور عظيم الدين أحمد البتنوي: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلام لإبن سعيد الحميدي (ترتيب). تم طبعه من سلسلة تذكار غب بليدن.

٦٥. الشيخ معين الدين الندوي البتهرياوي (م ١٩٤٤م): (١) معين اللغات (٢) معجم الأمكنة.

٦٦. الشيخ عبد الله عباس الندوي البهلواري (حيّ يُرزَق): (١) قاموس ألفاظ القرآن الكريم، عربي-انجليزي

(٢) تعليم لغة القرآن (معجم إنجليزي - عربي) (٣) مذاهب المنحرفين في التفسير (٤) ترجمان معاني القرآن وتطور فهمه عند العرب (٥) نظام اللغة الأردوية.

٦٧. الشيخ بدر الحسن القاسمي (م١٩٥٥م): (١) حديث الروح (٢) على هامش الأحداث (٣) قضية فلسطين وأبعادها السياسية (٤) الأدب الإسلامي المعاصر (٥) طوم الخيل (٦) وجه جديد للسلفية (٧) مقالات عديدة بالعربية.

٦٨. الشيخ نور عالم خليل الأميني أستاذ اللغة العربية وآدابها في دار العلوم بديوبند ومدير تحرير مجلة "الداعي" الشهرية: (١) الصحابة ومكاتيبهم في الإسلام (٢) مجتمعاتنا المعاصرة والطريق إلى الإسلام (٣) المسلمون في الهند (٤) الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم.

٦٩. الشيخ شفيق الرحمن الندوي: (١) الفقه الميسر (تم تقريره في منهاج المدارس) (٢) مقالاته المنشورة في مجلات الهند وخارجها.

٧٠. الدكتور محمد محسن العثماني الندوي: (١) نفح الطيب في مظهر الحبيب (ترجمة أردوية كلام شاعر عربي مع

شـرحه) (٢) العلامـة أبـو الحسـن علـي الـندوي والعلمـاء العرب (٣) مقالاته المنشورة في مجلات الهند وخارجها.

٧١. الشــيخ محمـد إســلام القاسـمي الدمكـاوي (م ١٩٥٤م): (١) جملـة فضـائل شـرح شـمائل الترمذي (٢) ازمـة الخليج وصــدام حسـين (٣) مقالاتــه المنشـورة فـي مجـلات الهـند وخارجها.

٧٢. هذا فهرس وجيز لمؤلفات علماء بيهار عثرت عليه بجهد بذلته لمدة قليلة ولكنه لو واصلنا هذه المسيرة لوجدنا حقائق تحيِّرنا وتبهت غيرنا.

المصادر والمراجع

١. الشيخ عب د الحق المحدث الدهلوي: أخبار الأخيار
٢. الشيخ السيد الشاه محمد شعيب: أعيان وطن
٣. السـيد أطـهر شـير: مسـاهمة بـيهار فـي اللغـة العربـية واللغة الفارسية والعلوم الإسلامية.
٤. المـلا عبد القـادر ملوك شاه البدايوني: منتخب التواريخ (ترجمة: محمود أحمد الفاروقي).
٥. الشيخ عبد الحي اللكناوي: نزهة الخواطر.
٦. السـيد أبـو الحسـنات الـندوي: مـدارس الهـند الإسـلامية القديمة.

٧. الشيخ مناظر أحسن الغيلاني: المنهاج الدراسي التربوي لمسلمي الهند.

٨. علماء شبه القارة الهندية-الباكستانية في المعقولات (مطبوعات مكتبة خدا بخش).

٩. فضل حسين المظفر بوري: حياة بعد الممات.

١٠. الدكتور أبو الكلام القاسمي: تذكرة علماء الهند.

١١. مجلة "رفيق" الشهرية، بتنه، عدد خاص عن علماء بيهار، ١٨٨٤م.

١٢. مجلة "معارف" الشهرية، أعظم كره، أعدادها العديدة.

١٣. مجلة "أفكار ملي" الشهرية، دلهي، عدد خاص عن بيهار، يونيو ٢٠٠٠م.



تطوّر اللغة العربية وآدابها والترجمة الأدبية في أعظم كره

- اورنك زيب الأعظمي*

إن مدينة أعظم كره طائر صيتها في الآفاق لأنها أنجبت شخصيات بارزة في كافة مجالات الحياة وقد مضى آنفاً ذكر مساهماتهم في مجال الدراسات الإسلامية وآثارهم القيمة الرائعة التي لا يستغني عنها أي باحث أو كاتب في هذا الشأن[1] والآن نريد أن نلقي بعض الأضواء على مساهماتهم في تطوير اللغة العربية وآدابها في الهند بجانب الإشارة الوجيزة إلى ترجماتهم الأدبية من اللغة العربية وإليها.

فنبدأ هذه السلسلة المباركة بذكر الشيخ محمد بن عاشق محي الدين العباسي التشريا كوتي (م ٩٧٢هـ/٦٥-١٥٦٤م) الذي قام بتأليف كتب مهمة عن الدراسات الإسلامية مثل "الكوكب الدري"

* باحث، مركز الدراسات العربية والافريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي.

و"الحاشية على التلويح" وبجانب هذه الآثار القيمة فقد أغنى المكتبة العربية بكتاب مهم عن الأدب العربي وقام باختيار كتابات الأدباء البارزين وجمعها في كتاب يسمَّى "الجواهر العربية في الفنون الأدبية" وهذا المجموع خير نموذج لمن يريد بل يحب أن ينهج منهج الأدباء الأقحاح للغة العربية.

صرفاً عن القاضي حبيب الله بن أحمد الغوسوي الذي هو أحد رجال القرن العاشر الهجري، نلفت أنظاركم إلى الشيخ صبغة الله الأعظمي (م ١١٢٥هـ/١٧١٣م). إنه كان شاعراً بارعاً يكتب الأشعار على منوال الشعراء الكلاسيكيين ولنا دليل واضح في قصيدته التي ذُكرت في نهاية كتاب "الدراسة الوافية في مصطلح العروض والقافية"[٢] للشيخ الحافظ أبي الرضاء محمد بن أحمد فهو يقول:

أنجم الثريا أم عقود من الدر ... أم الغادة الهيفاء في صورة البدر
أم اللؤلؤ المنظوم في سلك فضة ... أم الروضة الزهراء تعبق بالزهر
أم العقد من ثغر الحبيب منضداً ... أم الحلية الحسناء صيغت من التبر
أم الخمر في كاس الطروس أم أحرف ... أم الشهد في البلور أصفى من الخمر[٣]

الشيخ غلام نقشبند الغوسوي (م ١١٢٦هـ/١٥-١٦١٤م) أستاذ الملا نظام الدين اللكناوي صاحب "المنهج الدراسي النظامي" إن له مؤلفات قيمة ثمينة في مجال الدراسات الإسلامية ولكن

نصرف عنها الذكر ونرجع إلى علوّ كعبه في الشعر وعلم العروض فقد قال الشيخ أشعاراً في وحدة الوجود وسمّاها "اللامية العرشية" وهي تضاهي بلامية العرب ولامية الهند وأما كتابه عن علم العروض فهو "شرح القصيدة الخزرجية" الذي يدلُّ على مهارته في هذا المجال.

يتبعه عالم لغوي كبير يسمَّى الشيخ عبد القادر بن خير الدين عمادي (م ١٢٠٢هـ/٨٨-١٧٨٢م) إنه ينتمي إلى سوغر بور (Sugarpur) وهي قرية تقرب من مدينة جونفور. كان العلامة بارعاً في اللغات الثلاث: الفارسية والإنجليزية والعربية وقال الشعر في الفارسية والعربية والكتب التي قام بتأليفها وإعدادها هي "المحاكمة بين العلوم المشرقية والمغربية" و"المعجم العربي-الأردوي" و"الرسالة المنظومة في النحو" و"ديوانه" الذي يطوي بين دفتيه قصائد رائعة.

تشرياكوت، كما تعرفون، قرية خصبة أنجبت شخصيات بارزة جاء ذكر بعضها في السابق وهنا نذكر أحدهم وهو الشيخ أحمد علي بن غلام حسين بن سعد الله (م ١٢٧٢هـ/٥٦-١٨٥٥م). إنه أثر مؤلفات قيمة في مختلف المجالات العلمية والأدبية والكلامية وفيما يلي ذكر ما أثرى به العلامة مكتبة اللغة العربية و آدابها وهي "منبع الصرف" و"ميزان الأوزان" و"شرح الكافية"

و"شـرح سبعة معلقة" (شرح المعلقات السبع) في الأدب العربي المنظوم.

برز نحوي وأديب من نفس القرية وهو الشيخ نجم الدين بن الشيخ أحمد علي بن الشيخ غلام حسين (م ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) إنه يُعدُّ أبرز علماء اللغة العربية وآدابها في المدينة وأدّى حق اللقب كاتباً مؤلفات بارعة عن قواعد اللغة العربية وعلم العروض فكتاب "هفت أقسام حسيني" وكتاب "إعراب أربعة" رسالتان مهمتان في النحو والإعراب وكذلك "رسالة في العروض والقافية" رسالة جيدة في الموضوع. وله مساهمات غيرها في مختلف المجالات ولكن نغض عنها البصر.

ارجع البصر كرتين إلى تلك القرية تجد شخصية أخرى نالت الذكر الحسن في الدراسات الإسلامية والعربية وهي القاضي علي عباس التشريا كوتي (م ١٣٠٢هـ - ٨٥-١٨٨٤م). كان العلامة شاعراً قادراً للعربية وقام بتأليف كتب قيمة نذكر منها ما يتعلق بموضوعنا وهي "خلاصة الصرف" و"أبحاث الصرف" و"حلّ الكافية" و"الإيجاد في الإرشاد" و"ميزان الأوزان" وكلها في النحو والصرف وتدل على إختصاص صاحبها في موضوع قواعد اللغة العربية.

يذهب مذهبه الشيخ عنايت رسول العباسي التشريا كوتي (م ١٣٢٠هـ/٣-١٩٠٢م) قال عنه العلامة عبد الحي الحسني في كتابه الشهير "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر":

"لم يكن لــه نظير فـي الفنون الرياضية وفـي معرفة اللغة العربية". [٤]

أما آثاره فهي: "ميزان الكافي" و"صرف عربي" وكتب عن قواعد اللغة الفارسية واللغة العبرية ولكنها لا تتعلق بموضوعنا.

الآن نعرف لكم شخصية فذة استفاد منها الكثير من كبار العلماء وجهابذة الأعلام وهي محمد فاروق بن القاضي علي أكبر بن القاضي عطا العباسي التشريا كوتي (م١٣٢٧هـ/١٩٠٩م). كان العلامة يميل إلى الصنائع والبدائع في كلامه المنثور والمنظوم. كان يقول الشعر على منوال الشعراء السابقين. يقول عنه العلامة شبلي النعماني أحد تلامذته: كل ممتلكاتي العلمية يرجع فضلها إليه"[٥]. إنه أثر دواوين الشعر ورسالة منظومة في النحو وشرحا قيما للمعلقات السبع.

تلميذه الشيخ محمد أعظم التشريا كوتي (م ١٤ محرم ١٣٣٢ هـ/١٤ ديسمبر ١٩١٣م) كان بارعا في كافة العلوم العقلية والنقلية. سافر إلى حيدر آباد بعد ما أكمل دراسته فتوظف هنا حتى مماته. مما أثره الشيخ أعظم من تآليفه الثمينة في الموضوع هو "رسالة في التصريف" و"رسالة في النحو" و"معجم العربية" و"رسالة في العروض".

بندول (Bindaval) قرية شهيرة في مدينة أعظم كره يقال أن أغلبيتها مثقفون بالثقافة الجديدة الجذابة فتجد هناك مشاهد المدن

المزدهرة ولو هي قرية بعيدة من المدينة. وشبلي النعماني (م ٢٨ ذي الحجة ١٣٣٢هـ/١٨ نوفمبر ١٩١٤م) كان من سكان تلك القرية وتعلم وتأدب لدى الشيخ محمد فاروق التشريا كوتي. شمر عن ساقه للرد على إعتراضات المستشرقين على الإسلام ونال شهرة في هذا المجال. له إلمام تام بالتاريخ الإسلامي. قال الشعر بجانب كتابة المؤلفات القيمة في الأردوية والعربية فكتب "سيرة النبي" و"شعر العجم" و"المأمون" كتب خلدت إسمه على صفحات التاريخ العلمي العالمي. أراد أن يكتب عن شعر العرب فلم يوفق إتمامه. له كتاب قيم انتقد فيه ما غلط به جرجي زيدان في تاريخه وهو "الإنتقاد على التمدن الإسلامي".[٦]

يليه عالم كبير في زمانه وهو الحافظ عبد الله بن عبد الرحيم بن دانيال المئوي (م١٣٣٧هـ/١٩-١٩١٨م) كان آية في حدة الذهن وسرعة الحفظ فحفظ القرآن الكريم في عمر يبلغ ١٢ سنة وأتم دراسته العربية بأسرع ما يمكن. كان من أهل الحديث الذين لا يؤمنون بالتقليد ويرفضون الإتباع لأي إمام معروف. إنه صنف كتبا حسب فكره وخياله والكتب التي تتعلق بنا هي "فصول أحمدي" و"النحو" فالأول في الصرف والآخر واضح موضوعه.

صرفاً عن الشيخ عبد الرحمن البكراوي (م ١٣٤٠هـ/٢٢-١٩٢١م) الذي برع في كافة العلوم الفارسية والعربية والذي انقطع إلى الله الخالق البارئ المصوِّر، نرجع إلى الشاعرين المفلقين في

العربية والفارسية وهما الشيخ أنوار الحق المنوي والشيخ عبد الغفار المنوي. كلاهما مات في ١٣٤١هـ- ٢٣-١٩٢٢م وأثر كتباً قيمة في الدراسات الإسلامية ولكن الأسف أن مجموعات أشعارهما قد ضاعت لأجل رغبة أولادهما عنها فليس عندنا ما نستدل به على فنيتها وعربيتها ونكتفي بذكر الآراء التي جاء ذكرها في التراجم.

بروفيسور جامعة دهاكه (Dhaka) للعربية وآدابها شمس العلماء الشيخ ظفر حسن العيني المباركفوري (م ١٣٤٧هـ/٢٩-١٩٢٨م) قد تلمّذ على الأستاذ فاروق التشرياكوتي والعلامة شبلي النعماني. منحته الحكومة لقب "شمس العلماء". كان الشيخ بارعا في اللغات الأردوية والفارسية والعربية وقال الشعر في كل منها وله ديوان مخطوط محفوظ في مكتبة القاضي أطهر المباركفوري، جلة أشعاره عن المدائح للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

يليه عالم هندي كبير طارصيته لا في الهند بل في كافة دول العالم الإسلامي بحيث أنه نادى بفلسفة جديدة تسمَّى "فلسفة نظام القرآن" أثبت فيها أن القرآن منظم بنظام قوي كأنه وحدة وكافة آياته وسوره مرتبط بعضها مع بعض بارتباط قوي شديد. وهو العلامة عبد الحميد الفراهي الأنصاري إنه أوقف أوقاته لخدمة القرآن والسنة وكافة مؤلفاته بالعربية. كان بارعاً في اللغات الأردوية والعربية والفارسية والإنجليزية والعبرية وله ديوان في العربية كما

هو في الفارسية. ومن مؤلفاته القيمة عن اللغة العربية وآدابها والترجمة إليها هي "أسباق النحو" و"أسباق الصرف" و"تحفة الإعراب" و"أمثال آصف الحكيم" و"جمهرة البلاغة" و"فقه البلاغة" و"النحو الجديد" و"أساليب القرآن". إعترف بفصاحته العرب وإليكم بعض نماذج شعره العربي:

كيف القرار وقد نكس أعلامنا بطرابلس

كيف القرار وحولنا الأعداء ترتقب الخلس

هل لا ذكر تم ما أصا ب المسلمين باندلس[7]

وقال في أشراط الساعة:

لقد لج بالروم أشطاطها فتعدو إلى الهلك أشواطها

وكم أهلك البغي من أمة وخير الأمور لأوساطها[8]

وقال مهننا العلامة شبلي النعماني:

يا خير من يسمو إلى العلياء كالشمس بازغة بوسط سماء

إن كان تلك الشمس شمس سماءها فلصرت شمس العلم والعلماء[9]

وقال في الرجوع إلى العقل:

سرمع العقل أينما سارا در مع الحق حيثما دارا[10]

الأستاذ محمد أسلم الجيراجفوري (م١٣٥٠هـ/٣٢-١٩٣١م) الذي عمل كمترجم في إحدى صحف لاهور بباكستان وأثر المكتبة الأردوية بمؤلفاته القيمة عن الإسلام وتاريخه، قد خلف أثرين عن اللغة العربية وآدابها وهما "عربي خط" و"علوم عرب".[١١]

والشيخ عبد الرحمن آزاد المئوي (م١٣٥٧هـ/٣٩-١٩٣٨م). إنه خلف مؤلفات رائعة عن الدراسات الإسلامية مع إثراء المكتبة العربية بشرح قيم للقصيدة الشهيرة في تاريخ الإسلام "بانت سعاد". هذا شرح جميل.

الشيخ محمد حسين الرسولبوري (م ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) واحد من العلماء الأفاضل في العلوم الإسلامية والعربية. له مؤلفات قيمة بالعربية وديوان شعره العربي. من مؤلفاته التي تتعلق بموضوعنا هي "سمط الفرائد" شرح "القلائد من الفرائد" في علم المعاني والبيان و"كتاب الفروق في اللغة" و"الحواشي على قصيدة البردة والفرزدق."

الشيخ الحكيم محمد أحمد اللهراوي (Lahravi) (م ١٣٦٨هـ/٤٩-١٩٤٨م) كان من أبرز علماء أهل الحديث. خدم مدرسة الإصلاح لسنوات فكان آية في الرحم والتقوى. من مؤلفاته في اللغة العربية وقواعدها "الطريقة المرضية" و"جامع النحو".

الشيخ محمد صابر المئوي الذي يكنى بأبي الحسن (م ١٣٦٨هـ/٤٩-١٩٤٨) بارع في العربية والفارسية وكاتب

المؤلفات فيها فالكتاب المتعلق بنا هو "شرح مقامات" وهو شرح جميل لمقامات الحريري ومفيد للطلاب.

علاوة على الشيخ محمد شريف المصطفى آبادي(م ١٣٧٢هـ/١٩٥٢-٥٣م) الذي كان متضلعاً من اللغة العربية، نتوجه إلى الشيخ مبين التشرياكوتي (م ١٣٧٦هـ/١٩٥٦-٥٧م) الذي كان بارعاً في اللغات الأردوية والعربية والفارسية والهندية والسنسكرتية والتركية والعبرية والسريانية واليابانية والفرنسية واللاطينية. كان مدير تحرير لمختلف الجرائد الأردوية والإنجليزية وقام بإعداد فهرس كتب العلوم الشرقية في مكتبة جامعة علي كره الإسلامية. إنه كذلك ترجم "قانون المسعودي" ولكنه مشهور كشاعر أردوي.

الشيخ ضمير أحمد القدسي العراقي المنوي (م ١٣٨٢هـ/١٩٦٢-٦٣م) كان زميل المفسر شبير أحمد العثماني وشبلي النندوي. له مؤلف قيم في اللغة وهو "الفروق". يقول عنه الأستاذ حبيب الرحمن القاسمي:

"هذا المعجم يحتوي على ٤٥٠ صفحة ويشمل كلمات القرآن والحديث التي لها معانٍ مضادة. راجع فيه الشيخ عديداً من كتب اللغة العربية واجتهد فجاء بكتاب فاقد النظير في العالم. يدل المعجم على سعة إطلاعه على اللغة ومفرداتها. لم يطبع حتى الآن."[١٢]

والشيخ الحكيم محمد يحي بن الشيخ أحمد حسين المباركفوري (م ١٣٨٧هـ/٦٨-١٩٦٧م) كان بارعاً في اللغة العربية وآدابها والشعر العربي فله ديوان لقصائده العربية. ومؤلفاته المتعلقة باللغة العربية وآدابها هي "عمدة شرح زبدة" و"شرح المعلقات السبع" (لم يتم).

صرفاً عن الشيخ محمد المنوي (م ١٣٩٠هـ/٧١-١٩٧٠م) الذي كان يبهت العلماء العرب بلحنه العربي ولهجته العربية، نرجع إلى الشيخ عبد الأحد الإصلاحي (م١٩١٤م) الذي ينتمي إلى أبديهه (Abdihah). كان الشيخ من أبرز علماء اللغة العربية وآدابها في زمنه. تولى مسئولية الإدارة والتحقيق في "الدائرة الحميدية" بمدرسة الإصلاح فقام بجمع ونشر "إمعان في أقسام القرآن" و"الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" و"مفردات القرآن" وغيرها من رسائل الإمام الفراهي. له مقالات عديدة قيمة تم نشرها في مجلة "الإصلاح" الشهرية الصادرة من نفس المعهد العلمي.

الشيخ عبد الرحمن برواز الإصلاحي (م١٩٨٤م) واحد من أبناء محمد الشفيع الذي قام بتأسيس مدرسة الإصلاح. إنه صاحب مؤلفات قيمة في الدراسات الإسلامية والأدب الأردوي والأدب الفارسي. تشرفت كتبه بالحصول على جوائز من مختلف مجمعات الهند. وبجانب مساهماته في المجالات العلمية الأخرى، فهو قام بتأليف كتاب قيم عن سيرة حسان بن ثابت الأنصاري وشعره.

الشيخ القاضي أطهر المباركفوري (م١٩٩٦م) الذي علم من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند وخارجها. له مؤلفات قيمة في هذا الموضوع. تمت ترجمة معظم كتبه الأردوية إلى العربية بينما هو نفسه قام بتأليف بعض منها في اللغة العربية. جاء ذكر الشعراء والأدباء الكثيرين لدى ذكر تاريخ هذه البلاد وأصحابها ومن وردها فكتاب "رجال السند والهند" وكتاب "العقد الثمين فيمن ورد الهند من الصحابة والتابعين" حافلان بالمعلومات الجمة عن هذا الباب.

والشيخ بدر الدين الإصلاحي (م ١٩٩٦م) كان من أهالي نياوج (Neyauj). كان الشيخ متضلعاً من الفارسية والعربية والأردوية وله اليد الطولى في الخطابة فقد قام بدفع الإعتراضات التي أوردها الناس على مدرسة الإصلاح التي تخرج منها وتولّى إدارتها. قام الشيخ الإصلاحي بجمع عديد من رسائل الإمام الفراهي ونشرها فيما بعد. ديوان المعلم الفراهي العربي واحد من أعماله الدالة على قدرته على حسن الجمع والترتيب والتحقيق. كانت لغته العربية سلسلة سهلة وإليك بعض النماذج منها فهو يقول ملقياً الأضواء على شعر الإمام الفراهي:

"إن شعره كان جيد السبك، رائق الأسلوب، بديع الخيال، قوي المنطق، يمتاز بقليل الحشو. إنك تجد في شعره مالا تجد في غيره من جزالة اللفظ ورشاقة الأسلوب.

قد جاء نظمه سهلاً خفيفاً، يطمع السامع أن يأتي بمثله ولكنه إذا حاول، عجز، إنه قد أتى بقريضه للغة العربية دقة في التركيب، رقة في الأداء، جمالاً في الأسلوب، حسناً في الخيال، رونقاً في البيان وطلاوة في المعنى وإن هذه كلها تدل على أنه كان من الشعراء المطبوعين المجيدين الذين لا يقرضون إلا بفيض قريحتهم ووحي فطرتهم".[١٣]

والحكيم محمد أيوب الإصلاحي (م ١٩٩٩م) من أهالي جيراجفور (Jairajpur) التي هي قرية الأستاذ محمد أسلم الجيراجفوري صاحب مؤلفات قيمة عن الدراسات الإسلامية والعربية. بعدما تخرج من مدرسة الإصلاح جعل يدرّس في جامعة الصالحات برامفور ثم درّس في جامعة الفلاح (قسم البنات). له مساهمة جيدة في قواعد اللغة العربية تسمى "آو عربي برهين" (تعال ندرس اللغة العربية) في جزئين، أحدهما في النحو والآخر في الصرف وكذا صنف "تعليم النحو" الكتاب الخاص لقواعد اللغة العربية. وأما مساهماته في الدراسات الإسلامية فلا حاجة إلى ذكرها.

مساهمة الأحياء من علماء مدينة أعظم كره في هذا المجال

وفيما يلي ذكر وجيز لمؤلفات وكتب ومجموعات الأحياء من علماء أعظم كره الذين حذوا حذو آبائهم فقاموا ويقومون بتأليف كتب ورسائل ومجموعات مهمة عن اللغة العربية وآدابها والترجمة.

ونبدأ هذه السلسلة بالشيخ إحتشام الدين الإصلاحي المونديارَوي (Mundiari) أستاذ الأساتذة في مدرسة الإصلاح. يعرف الشيخ الإصلاحي كنحوي كبير في الأوساط العلمية الهندية. إنه قام بشرح "تحفة الإعراب" وبالتعليق على "أسباق النحو والصرف" وهو الآن يحقق "كفاية المنتهي".

الشيخ عبد المجيد الإصلاحي وهو من قرية جيراجفور التي أنجبت الأستاذ المترجم أسلم الجيراجفوري صاحب كتاب "تاريخ الأمة" في خمسة أجزاء. تخرّج الشيخ الإصلاحي من مدرسة الإصلاح ثم تعلّم الطب فمؤلفاته تتحدث عن اللغة العربية والدراسات الإسلامية والطب اليوناني كذلك. من أهم وأبرز مؤلفاته في اللغة العربية وآدابها "القرأة العربية" في مجلدين. أعدّ الشيخ هذا الكتاب على منهج كتاب "أسباق النحو والصرف" فعلّم القواعد عن طريق الأمثلة وترجمة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" وهو كتاب محشو بالأشعار والمعلومات عن الأدب العربي بجانب اختصاصه بذكر خدمات الأطباء اليوناني.

الدكتور شيث محمد إسمعيل الأعظمي أستاذ الدراسات الإسلامية الأسبق بالجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي قد قام بتحرير مقالات مهمة عن مساهمة الهند في الأدب العربي وعلاقات الهند الثقافية مع العرب وله كتب قيمة عن الدراسات الإسلامية لا سيما "خدمات الهندوس في تطوير الدراسات الإسلامية" (بالأردية). إنه

أعد كتاباً مهماً عن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها باللغة الإنجليزية وهو "Arabic for Non-Arabs" (العربية لغير الناطقين بها).[١٤]

الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي الندوي رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي" الشهرية. إنه علم من أعلام الصحافة العربية في الهند. لـه مساهمات قيمة في هذا الباب. يقول عنه الدكتور حبيب الله خان:

"الأستاذ سعيد الرحمن من الأساتذة البارعين في مجال الترجمة فهو يدرس فن الترجمة منذ انخراطه في هيئة التدريس لندوة العلماء ولـه أسلوب خاص في الترجمة، يتسم بدقة التعبير ووضوح العبارة وكثرة المفردات وانه ترجم كمية هائلة من المواد وهي منتشرة في آلاف صفحات مجلة "البعث الإسلامي".[١٥]

إنه قام بترجمة كتب عديدة من الدراسات الإسلامية التي لا حاجة إلى ذكرها هنا والكتاب الذي يتعلق بنا هو رسالة الدكتوراه "شعراء الرسول" فهذا كتاب قيم رائع.

والدكتور فيضان الله الفاروقي من كوريا بار (Kauriyapar) بروفيسور في مركز الدراسات العربية والإفريقية في جامعة جواهر لال نهرو. قام الأستاذ الفاروقي بإعداد قسم الأدب العربي لموسوعة الأردوية الشاملة الصادرة من المجلس الوطني لترويج اللغة الأردوية (NCPUL) في ٢٠٠٤م كما قام بإعادة النظر في القسم العربي والفارسي لكتاب كاوش بدوي "قديم تامل نادو كي جار سو

ساله عربي وفارسي ادبياتي تاريخ" (تاريخ تامل نادو القديمة للأدب العربي والفارسي لمدة أربعة قرون). طبع الجزء الأول الشامل للأدب العربي في ٢٠٠٤م وهكذا قام البروفيسور الفاروقي بدراسة نقدية لتاريخ أوكسفورد للأدب العربي في اللغة الإنجليزية و تأليف كتاب عن قواعد اللغة العربية في اللغة الإنجليزية صدر جزءه الأول إذ الجزء الآخر تم تحريره وينتظر الطبع وللأستاذ كتاب تاريخي مهم عن لكناؤ وإسهاماتها في الدراسات العربية والإسلامية وهو أيضاً بالإنجليزية ويسمّى "Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies" (لكناو مركز للدراسات الإسلامية والعربية). قمت بترجمته إلى العربية.

والدكتور محمد أسلم الإصلاحي من مهواره (Mahuwara) بروفيسور في مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو. له مساهمات قيمة في الأدب العربي والترجمة ومنها "تطور المسرحية العربية" رسالته للدكتوراه وترجمات "سليمان الحكيم" و"شهرزاد" و"توفيق الحكيم" وله مقالات وترجمات تم نشرها في مختلف مجلات الهند وخارجها.

الدكتور معين الدين الأعظمي المنوي بروفيسور القسم العربي السابق للمعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد. كتب الأستاذ كثيراً وترجم مثله وأما مؤلفاته فهي "مساهمة الإمام الفراهي في تفسير القرآن" و"علم الصرف" و"فن

الترجمة" وبما أنه كان موظفاً في الإذاعة لعموم الهند فقد ترجم كثيراً.

الدكتور فخر الإسلام الأعظمي مدرس اللغة العربية وآدابها في كلية شبلي، أعظم كره بولاية أترابراديش. إنه قام بتأليف كتب مهمة عن الأدب الأردوي ولكن نصرف عنها النظر فإنها لا تمت إلى موضوعنا بصلة وأما ما يتعلق بنا فهو "لمعات الأدب" الذي تم تقريره في المنهاج الدراسي والدكتور المحترم قد قام بشرحه.

الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي عضو مراسل لمجمع اللغة العلمي بدمشق. إعترف بعربيته العرب. إنه قام بتحقيق الكتب العربية خير تحقيق ولنا مثال واضح لذلك في "مفردات القرآن" للإمام عبد الحميد الفراهي. بذل في تحقيقه أكثر من عشر سنوات فجاء بشيء حيّر الباحثين والنقاد. إنه انتقد صاحب كتاب "إصلاح ما غلط به النميري" في مجلة "مجمع اللغة العربية" باسم "إصلاح الإصلاح" فأصلح الدكتور الإصلاحي ما أخطأ فيه الكاتب وله مختار للشعر العربي مقرر في دراسات مدرسة الإصلاح وهو "محاسن الشعر" في مجلدين.

الدكتور أبو سفيان الإصلاحي من قرية طوى (Towa) مدرس في اللغة العربية وآدابها في جامعة علي كره الإسلامية. له أكثر من مائة مقال مطبوع في مختلف مجلات الهند والباكستان. قام الدكتور الإصلاحي بتأليف كتب مهمة عن الدراسات الإسلامية والعربية بما

فيها "مصر مين مقاله نغاري كا ارتقاء" (تطور كتابة المقالات في مصر) و"نقوش عقاد" و"أساطين عربي زبان و أدب" و"بيسوين صدي كى جار مصري شعراء" (أربعة شعراء مصر في القرن العشرين) و"عربي شاعري مين الله كا تصور" (تصور الله في الشعر العربي) و"الإستشهاد بأشعار العرب في مصنفات الإمام حميد الدين الفراهي" كلها بالأردوية إلا الأخير.[١٦]

الأخ الفاضل أبو سعد الإصلاحي، الأمين العام بمكتبة رضا برامفور ينتمي إلى قرية سكرور على قرب كلومترين من سراي مير وعلى قرب كلو متر من مدرسة الإصلاح. قام الإصلاحي بتأليف كتاب مهم عن الأدب العربي وهو "روهيلكاند كا عربي ادب مين حصه" (مساهمة روهيلكاند في اللغة العربية وآدابها) وهو كتاب وحيد من نوعه. إنه أيضاً أعدّ "دليل فهارس المجلدات الستة لمخطوطات اللغة العربية المخزونة في مكتبة رضا برامفور".

وهناك أساتذة بارعون في مختلف معاهد الهند ومدارسها وجامعاتها يخدمون اللغة العربية وآدابها ويكتبون مقالات عن هذا الموضوع إلا أنهم لم يؤلفوا أي كتاب على حدة وهم الشيخ عبد الحسيب الإصلاحي والشيخ نظام الدين الإصلاحي والشيخ ضياء الدين الإصلاحي والدكتور عبيد الله الفراهي والأستاذ بدر جمال الإصلاحي وننهي المقال بذكر كاتبه الذي طبع له كتابان في هذا الموضوع وهما "الأيام، دراسة تعريفية تحليلية نقدية" و"حركة

الترجمة في العصر العباسي" وهو الآن يُعدُّ كتابين للأمثال العربية أحدهما في الإنجليزية والآخر بالأردوية.

الهوامش

[١]. راجع العدد الرابع للمجلد الخامس والخمسين لمجلة "ثقافة الهند".

[٢]. تم طبع الكتاب من مطبع "سعيد المطابع" ببنارس عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧-٨٨م.

[٣]. المصدر نفسه وتذكرة علماء أعظم كره، ص٢ (التكملة)، طبع في ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م وبياض الشيخ القاضي أطهر المباركفوري.

[٤]. عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)، درا عرفات، الهند، عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج٦، ص٧٢

[٥]. تذكرة علماء أعظم كره، ص٣٠١

[٦]. الدكتور أبو سفيان الإصلاحي: أساطين عربي زبان وأدب، هندوستان مين (أساطين اللغة العربية وآدابها في الهند)، طبع في آرورا برنترس أيند كمبيوتر سينتر، شاهدره، دلي، عام ٢٠٠٣م، ص٢١-٥٨

[٧]. الإمام عبد الحميد الفراهي: ديوانه، الدائرة الحميدية، عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧-٦٨م، ص١٣

[٨]. المصدر نفسه، ص١٥

[٩]. المصدر نفسه، ص١٧

[١٠]. المصدر نفسه، ص١٩

[11] . أساطين اللغة العربية وآدابها في الهند، ص ٢٣١

[12] . تذكرة علماء أعظم كره، ص ١٢٤

[13] . ديوان الإمام عبد الحميد الفراهي، ص ٣

[14] . مجلة "نقش" السنوية، ج ١، ع: ١، ص ٦١

[15] . د. حبيب الله خان: الترجمة العربية في الهند بعد الإستقلال، دار سلمان للطباعة والنشر، دلهي الجديدة، عام ١٩٩٧م، ص ١٦٥

[16] . مجلة "نقش" السنوية، ج ١، ع ١، ص ٦٦-٦٧

الملاحظة: أخذت المعلومات عن الأحياء عن طريق الحوار. (الأعظمي)



الأستاذ فيض الحسن السهارنفوري وخدماته العلمية

- محمد أحمد خان القاسمي*

ربما تعرفون السير سيد أحمد خان مؤسس جامعة علي كره الإسلامية والعلامة شبلي النعماني صاحب "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم" و"شعر العجم" والإمام حميد الدين الفراهي الذي نادى بفلسفة نظام القرآن وانتقد نظرية المحاكاة لأرسطو والمولوي إعزاز علي الأديب الديوبندي الكبير. وإن تعرف هؤلاء فلتعرفن الأستاذ فيض الحسن السهارنفوري الذي تلمّذ عليه وتأدَّب هؤلاء الجهابذة العباقرة الذين غيَّروا مجرى التاريخ وخلَّدوا أسماءهم في صفحات تاريخ العالم. فتحدث عن هذه الشخصية البارزة وآثارها القيمة وأبرز جوانب تميزها التي جذبت أنظار طلاب العلوم واختلبت أفئدتهم فتهافتوا عليه وأبردوا غليلهم العلمي والأدبي والخلقي.

شيء عن آبائه الكرام: تبلغ شجرة نسبه بني أمية ولذلك فهو يكتب لنفسه "القرشي" غادر بعض أجداده جزيرة العرب وسكنوا

---

* كبير أطباء مستشفى الحكومة المركزية، مهرولي، نيودلهي.

سهارنفور (Saharanpur) فتوطنوا بها ونسبة إليها فهو يكتب "السهارنفوري" كانت أسرته تعتبر إحدى أسر الإقطاعيين إلا أن أفرادها فضلوا العلم على المال والجاه فعُرفوا بلقب "الخليفة"[١] لسبب المحبة للعلم والمعرفة.

وعلى ذلك فهو فيض الحسن فيض بن علي بخش بن خدا بخش بن الشيخ قلندر بخش الحنفي الجشتي القرشي.[٢] لم يذكر أصحاب التراجم سلسلة نسبه الكاملة البالغة أسلافه من بني أمية.

مولده وطفولته: لم يجئ أي خلاف عن سنة ولادته فقد اتفقت كافة أصحاب التراجم والسير على أنه وُلِدَ في١٨١٦م.[٣]

طبع الأستاذ على حدة في الذهن وظرافة في العادة فمال في عهد طفولته إلى مباراة الطيارات (Kites) ومسابقتها ولما بلغ عنفوان شبابه رغب في المصارعة وصيرورة البطل ولكن لم يمض إلا قليلٌ إذ رغب عنها وأبغضها وانقطع إلى نيل العلوم والمعارف فتعلم الكتب الفارسية والعربية على والده الجليل وخاض في المنطق إلى حدٍ اشتهر بلقب "المنطقي" وهو في عمر يبلغ عشرين سنة.[٤]

رحلته للعلم والفن: مضى آنفاً أنه شدا في الفارسية والعربية متعلماً ومتلمذاً على أبيه الكريم ثم أراد أن ينال المزيد من المعارف فبحث في سهارنفور ولكنه خاب وحُرِمَ فغادر البيت وقريته إلى عاصمة الهند، دلهي، حيث نال العلم على المفتي صدر الدين آزردة

صدر الصدور لمدة ثم زار إخوان الولايتي الذي كان محدثاً كبيراً وحصل على الشهادة في هذا الفن وبعد ذلك ارتحل إلى رامفور (Rampur) حيث لقي بحر العلوم وجامع الكمالات الشيخ فضل حق الخيرآبادي وأخذ من هذا العلامة المعقولات والأدب والفلسفة ومن هنا تبدل لقبه "المنطقي" بلقبه الجديد وهو "الأديب"[٥] وعلاوة على هؤلاء فإنه تلمذ على علماء لكناؤ كما حذق في الطب على الحكيم إمام الدين وبايع على يدي الشيخ أحمد سعيد بن أبي سعيد العمري الدهلوي.[٦]

أساتذته:

تلمذ الأستاذ الإمام على أمهر أساتذة زمانه في العلوم والفنون فالشيخ فضل حق الخيرآبادي كان جامعاً للكمالات العلمية والشيخ صدر الصدور المفتي صدر الدين آزردة والشيخ إخوان الولايتي كانا على معرفة واسعة في علوم الحديث والفقه والشيخ أحمد سعيد كان ذا خلق عظيم وله اليد الطولى في الأمور الروحية والشيخ صهبائي كان أستاذاً في الشعر الفارسي والميرزا غالب كان معترفاً به في الفارسية والأردوية فكأنه ألقى رحاله لدى المهرة في الفنون والمتضلعين من اللغات وجهد واجتهد في النيل والتكسب حتى أصبح إماماً في الفنون لا سيما اللغة العربية وآدابها.[٧]

بيعته الروحية: كان الأستاذ السهارنفوري قد بايع في الشئون الروحية جنيد زمانه سيد الطائفة حضرة الحاج إمداد الله السهارنفوري مهاجر مكة. يقول عنه صاحب "إمداد المشتاق":

"دخل الأديب الفقية اللبيب المحدث الأجل المفسر الأبجل الفاضل الأفضل أستاذي الحافظ فيض الحسن السهارنفوري دام الله سبحانه بإفاداته في طريقة الصوفية وسلسلة المترشدين". [٨]

في البحث عن المعاش: إنتهت عملية الدراسة ونيل العلوم الإجبارية فالآن صار هذا الشاب البطل متضلعاً من اللغات وماهراً في العلوم المتداولة واستعد لأن يفيض ما حشاه في ذهنه ويكتسب بما ناله من العلوم فلقيه السير سيد أحمد خان للإستفادة في ١٨٤٦م فعلّمه السهارنفوري مقامات من "مقامات الحريري" و"منار أصول الفقه" وقصائد من المعلقات السبع فتشرف بمكانة أول تلميذ له. [٩]

وإثر ضجة ١٨٥٧م ترك العلامة دلهي ورجع إلى قريته ولكن جلالة قدره العلمي قد جذبت أنظار الناس فدعاه السير سيد لتعليم ولده سيد محمود ثم طلب منه ترجمة بعض الكتب للمجتمع العلمي الذي قام بتأسيسه والذي تم توظيفه فيه على راتب ٥٠ روبية هندية شهرياً[١٠] وبعد ما قضى ردحاً من الزمان رجع إلى لاهور إلى كليتها الشرقية كأستاذ فيها. هذا حدث في ١٨٧٠م. [١١]

موته المفاجئ: هذا الجبل قد فاجأ تلامذته ومادحيه موته الذي زاره بسبب لدغ الحية في ٦ فبراير عام ١٨٨٧م. أوصى الأستاذ بأن تُحمل جثته إلى سهارنفور فتم إمتثال هذه الوصية ودفن بها هذا العبقري الفذُّ. [١٢]

من أخلاقه وسجاياه: كان الأستاذ حليماً ذا خلق عظيم خليطاً بالناس ظريفاً. فُطِرَ على أخلاق الشرق وعاداته ولكن مع ذلك كان لا يبالي بالخوض في أشياء يكرهه الكرام فذات مرة كان يرجع من كلية لاهور الشرقية إذ رأى في سبيله مجلساً للرقص فشاركه.[١٣] لم يكترث بأحد في قول الحق وتلفُّظِ الصدق فخالف السير سيد في جمع التبرعات لكلية محمد العربية الشرقية (Mohammadan Anglo-Arabic College) في مجلته الشهيرة "شفاء الصدور".[١٤] إعتاد على المصارعة حتى لم يترك الرياضة البدنية في شبابه فكانت صحته جيدة.

إنكار بلقب "شمس العلماء": لم يكن مفطوراً على التملق والخضوع فلم يحرص على المال ولم يتهافت على الجاه ولذلك فلما وصَّى أصحاب حل وعقد جامعة بنجاب (Panjab University) أمام الحكومة لإكرامها إياه بلقب "شمس العلماء" أنكر به وقال إن تلامذتي يتشرفون بلقب "شمس العلماء" وأما أنا فأجدر بلقب"شمس شموس العلماء".[١٥]

معاصروه: كان العلامة الأستاذ ممن له حسن حظ في نيل المعاصرة فقد عاصره العلماء الكبار والمحدثون العظام والأدباء المفلقون ولكن كلهم قدَّروه تقديراً ومن أبرز معاصريه في مختلف المجالات حجة الإسلام الشيخ محمد قاسم النانوتوي والمحدث الكبير الشيخ أحمد علي العليكري والمحدث الجليل الشيخ خليل أحمد

الأنبهتوي والشيخ لطف الله العليكري والشيخ ذو الفقار علي الديوبندي والشيخ خليل الرحمن السهارنفوري والشيخ أحمد علي السهارنفوري والشيخ المنشي نجف علي السهارنفوري والنواب صديق حسن خان البوفالي والنواب محمود علي خان والي بهاولفور (Bahavalpur).

تلامذته البارزون: إستفاد منه العديد من علماء الهند وأدبائها وشعرائها ولكن نذكر هنا من برز في أي مجال من مجالات الحياة وهذا لأن فهرس تلامذته يطول به المقال وهم فيما يلي:

السير سيد أحمد خان: لا تخفى شخصيته على من له أي صلة بجامعة علي كره الإسلامية فهو اجتهد كثيراً في بث الوعي الفكري فيما بين المسلمين وكذلك إنه قام بالرد على دعاوي المستشرقين على حياة محمد صلى الله عليه وسلم وفكرته.

العلامة شبلي النعماني: لا يكمل بذكره تاريخ الرد على المستشرقين الذين أثاروا اعتراضات على مختلف جوانب الإسلام الفكرية والعملية ومع ذلك فإنه قام بتأليف تذكرة مهمة عن الشعر الفارسي وشعرائها وهو كتاب لا يستغنى عنه أي باحث في اللغة الفارسية وآدابها.

الشيخ ألطاف حسين حالي: نذكر النقد الجديد في الأدب الأردوي يتبعه ذكر هذا الناقد الرائد فقد أتى هذا الكاتب الحادُّ الذهن

بشيء لم يثبت رائداً فقط بل بقي أثره حتى يومنا هذا وأما مسدساته فهي لا تزال مؤثرة في أذهان مسلمي الهند.

الشيخ إسماعيل الميرتي: أدب الأطفال والشيخ إسماعيل الميرتي توءمان فأسلوبه المعياري التامُّ لا يزال مؤثراً حتى الآن. إعترف به القدماء والمتأخرون كذلك.

العلامة حميد الدين الفراهي: هذا هو العلامة الجليل الذي نادى بفلسفة النظام القرآن، التي أكملها تلميذه الرشيد الشيخ أمين أحسن الإصلاحي وبجانب هذا فقد قام الإمام بنقد منطقي أرضي على نظرية أرسطو في المحاكاة في كتابه الشهير "جمهرة البلاغة" كافة مؤلفاته مشحونة بتعليم وتوضيح القرآن والتأثر بعلومه وأفكاره.

فقد كان الشيخ السارنفوري خالق رجال بجانب خلقه الأدب العالي.

وبما أنه كان عالماً كبيراً وأديباً بارعاً ومعلماً فائزاً فأثنى عليه الناس في زمانه وبعد موته وإليكم بعض الإنطباعات:

يقول صاحب "سير المصنفين":

"كان الشيخ يعتبر أصمعي زمانه وأبا تمام عصره".[١٦]

ويقول الشيخ عبد الله القرشي:

"كان أم الجلسات الأردوية في بنجاب... كلامه محكم وأفكاره متنوعة وتراكيبه متلونة وجمله مثبة وكلماته محشوة بالألحان..."[١٧]

ويقول أبو محفوظ الكريم المعصومي:

"... لا سيما فيض الحسن السهارنفوري والعلامة الفراهي وراغب البدايوني فهم يحتلون أهمية بارزة ودرجة عليا..."[١٨]

ويقول صاحب "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والمناظر":

"كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماً. لم يكن في عصره أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها متوفراً على العلوم الحكمية... إنتهت إليه رئاسة الفنون".[١٩]

ويقول سيد سليمان الندوي:

"كان الأستاذ فيض الحسن السهارنفوري أديباً شهيراً في زمنه. زاره الطلاب سامعين عن علوّ كعبه في العلوم والفنون.[٢٠]

ويقول الشيخ أمين أحسن الإصلاحي:

"لم يكن له نظير في الأدب العربي في الهند بكاملها".[٢١]

ويقول الدكتور حامد علي خان:

"كان حاداً ذهنُه وعاجلاً فهمُه. لم يكن له نظير في أيام العرب والصرف والنحو والنصوص الأدبية. أصدر مجلة "شفاء الصدور" التي كانت مشتملة على مقالاته وإنطباعاته فحسب".[٢٢]

وعلاوة على هؤلاء فقد رثى له تلميذه الإمام حميد الدين الفراهي وكرَّر ذكره الشاعر الإسلامي محمد إقبال وغيرهما.[٢٣]

آثاره القيمة النادرة: قام الشيخ السهارنفوري بتأليف كتب ورسائل مهمة لم تصل إلينا بكاملها فالتي وصلت إلينا نلقي عليها بعض الأضواء وهي:

١- تعليقات الجلالي ٢- فيض القاموس

٣- ديوان الفيض ٤- رياض الفيض

٥- شرح الحماسة ٦- نسيم فيض

٧- روضة فيض ٨- جشمه فيض

٩- مثنوي صبح أميد ١٠- فيضية

١١- كلزار فيض ١٢- تحفه صديقية

١٣- شفاء الصدور ١٤- النفع العظيم

١٥- حاشية على البيضاوي ١٦- حاشية على مشكوة المصابيح

١٧- أنساب وأيام العرب ١٨- قصائد قاسمي

بعض الأضواء على مؤلفاته:

١- شرح ديوان الحماسة: ديوان الحماسة لأبي تمام من أهم وأبرز مختارات الشعر العربي التي نالت قبولاً عاماً بين طلاب

الأدب العربي والباحثين فيه ونظراً لأهمية هذا المجموع الشعري قام الأدباء الكثيرون بشرحه وتوضيح معضلاته وتحقيق ما جاء فيه وأكثر هذه الشروح تداولاً هو ما قام به العلامة التبريزي ولكنه أيضاً غير تام ولا موثوقاً به فقد قام العلامة فيض الحسن السهارنفوري بشرحه المفصل بجانب الإشارة إلى أخطاء الشارحين التي لم يقف عليها أحدنا. يشتمل هذا الكتاب على ٨٠٠ صفحة وطبع من مطبع نول كشور في يناير ١٨٧٧م.

راجع الأستاذ السهارنفوري في شرحه، شرح التبريزي والأغاني وكتاب إبن خلكان ومقدمة وتاريخ ابن خلدون والكامل والإصابة وأسد الغابة وغيرها من الكتب عن الموضوع.

قام بتعريف الشعراء وتمييزهم عن الجاهلي والمخضرمي والإسلامي.

حلّ عن عقد المفردات الصعبة بجانب ذكر الأنساب.

أشار، خلال الشرح والتوضيح، إلى أخطاء الشارحين في حل المفردات وذكر الأنساب ومعاني الشعر.

٢- رياض الفيض: هو شرح المعلقات السبع لإمرئ القيس وطرفة العبد البكري وزهير بن أبي سلمى ولبيد بن أبي ربيعة العامري وعنترة بن شداد وعمرو بن كلثوم وحارث بن حلزة اليشكري. تم طبعه من مطبع أنجمن لاهور في مارس ١٩٨٨م

ويتميز هذا الشرح بأنه كامل مفصل وكتب في اللغات الثلاث، الأردوية والفارسية والعربية. ولمزيد البيان عن هذا الكتاب الجامع أنقل هنا مقدمته فهو يقول:

"الحمد لله الذي شرح صدرى لشرح الكتب ورفع عنى الاستار والحجب فلا أبالى بما قل أو كثرولا أحجم عما صغر أم وكبر والصلوة والسلام على من هو الصادق والمصدوق والسابق والمسبوق وهو خاتم الرسول وخير من يهدى السبل وعلى آله الكرام وآصحابه العظام ومن تبعهم الى يوم القيامة لمؤلفه بيت قوم هم السادة البيض الكرام لهم فضل وفوز بما شاؤوا من الرتب كل اعز كريم صالح حسن، حلو حبيب شريف النفس والنسب، تحصى النجوم ولا تحصي مناقبهم، فان أخذت فقد ألقيت في التعب، وبعد يقول الفيض السهارنفوري القرشي الحنفي إنه لما كانت السبع المعلقات كالسبع الشداد ولم يسلك شارح من شراحها مسلك السداد وقد تناولها الرائغون بفنون الأدب، وتداولها المغرمون بلسان العرب أردت أن اشرحها شرحا وافيا وأكشف عنها كشفاً كافياً ثم حثنى عليه رجسترارنا المشهور والمغارب بحسن الشمائل وكرم المناقب جى دبليو ليشنر صاحب بيت:

له هم لو كان في الدهر مثلها   لكان لنا كان خيرا واصلحا

اتيناه من ارض بعيد يناطها   فلولاه ما سرنا وما كن رزّحا

فشرحتها على أن فسّرت بالعربية لغاتها وما يتعلق بها من صلاتها ومحاوراتها وترجمت أولا بالعربية ثم بالفارسية ثم بالهندية جميع أبياتها لئلا يطول ألقاب بلاطائل فان بيان الصلات ونحوها على من لا يعلم العربية ولو كان بلسانه لا يرجع الى حاصل ثم انى كتبت قبل كل قصيدة منها ترجمة صاحبها وما يذكر فيها ليكون بصيرة لمن ينظر فيها وانما سميت هذه القصائد معلقات لأنها كانت معلقة على ركن من أركان الكعبة في الجاهلية ولو كانت الأولى أولى المعلقات وأولى بالتعليق ثم علقت الستة الباقية لما أن الأولى أحسن نظرا وأجود سبكا فان إمرأ القيس كان من أبناء الملوك وقد قيل إن كلام الملوك ملوك الكلام واما سايرهم فكانوا من الاعراب هذا ولا أرجو إلا القبول في حياتي والدعاء بعد مماتى وكل شيء هالك إلا وجهه." [٢٤]

٣- جشمه فيض وما شابهها: هذا الكتاب و"روضه فيض" و"صبح أميد" و"فيضية" هي مجموعات لشعره المثنوي فالأولان باللغة الفارسية وأما الآخران فهما باللغة الأردوية ومع ذلك هناك ديوان لشعره الفارسي يعنون "نسيم فيض" وديوان لشعره الأردوي يسمًى "غلزار فيض" وإليكم نموذجان من كلامه الفارسي والأردوي:

ويقول عن واعظ:

اشب کہ دامن بت رعنا گزاشتم   بال ہما وشہپر عنقا گزاشتم
چوں پائے خود بدامن راحت نمی کشم   آسودگی بہ نقشِ کفِ پا گزاشتم
شرم آمدم کہ شکوہَ دردِ جگر کنم   دستِ طبیب وپائے مسیِ حا گذاشتم
کارم خراب بود کہ می کردم آرزو   خود رام شدولے کہ تمنا گزاشتم

ہم وہ نہیں کہ وعظ کریں دن کو بیٹھکر   اور خلوتوں میں کام کریں چھپ کے رات کو
تفضیح ہے خلاف مروت خلاف دیں   ورنہ دکھادیں گر کہو ہم پانچ سات کو

٤- تحفه صديقيه وما شابهها: هذا الكتاب و"حاشية على البيضاوي" و"حاشية على مشكوة المصابيح" و"تعليقات الجلالين" شرح وحاشية وتعليق على أهم الأمور والكتب فالأول شرح لحديث أم زرع وأهداه إلى صديقه الحميم السيد صديق حسن بن أولاد حسن القنوجي والثاني حاشية على البيضاوي وهو تفسير شهير تم تقريره في المدارس الهندية والباكستانية والثالث شرح لمعضلات مشكوة المصابيح وأما الرابع فهو شرح لمعضلات تفسير الجلالين حتى سورة بني إسرائيل. تم طبع الأخير في ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م من مطبع المعهد بعليكره (Aligarh).

ذكر في هذه الشروح والحواشي آراء الأئمة والعلماء البارزين.

٥- فيض القاموس: هو شرح لـ "خطبة القاموس" لمجد الدين الفيروزآباي ويحتوي على ٥٩ صفحة. تم تأليفه في ١٢٩٩هـ /١٨٨١م طبع هذا الشرح على نفقة الحاج كلب علي خان والي

رامفور من مطبع أنجمن لاهور، يتمتع الكتاب بمقدمة تحتوي على ٢٦ سطراً وتشمل معلومات قيمة عن الموضوع.

٦- قصائد قاسمي: هو ليس بمصنف الإمام السهارنفوري الحقيقي بل هو مجموع خمس قصائد قرضها الشعراء بما فيهم شخصية العلامة ذاتها وإليكم بعض نماذج هذا المجموع:

قال يمدح السلطان عبد الحميد الأول:

قوم إذا غزوا فازوا ببغيتهم ... ولا يعودون في شيء بأخفاق
فتيان صدق أولوا باس ذووكرم ... لا يحبسون لدى قوم بإطراق
جادوا بأموالهم، جادوا بأنفسهم ... ولا يزالون في جود وإنفاق
راس السلاطين عرنين الملوك به ... مجد أثيل وعز باسق باق
ليث اذا الدهر في جوف ومضطرب ... غيث إذا الناس في بوس واملاق
لله درك إذ أنكرت مانطقت ... به الأعادي ولم تزلق بأزلاق
زان الإله بك الدنيا فما برحت ... تربو وتهتز في نور وإشراق
تحيى الحبيب بإكرام يليق به ... تروي العدو باغاراق واحراق[٢٥]

وقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

لولاه لم يكن الزمان بأسره ... من أرضه وبجاره وسمائه
من نوره شمس وبدر كوكب ... والله ما انتهاء سنائه
خير الخصائل ذو محامد جمة ... خير الورى في رتبة وغلائه
كيف الخليق بقومه وعظاً لهم ... مع جهله وسبابه وجفائه

بدر الدجى، علم الهدى، قرم الورى
شمس الضحى ببريقه وسنائـه[٢٦]

٧- النفع العظيم وشفاء الصدور: هما مجلتان تم إصدارهما بيدي الشيخ السهارنفوري فالأولى صدرت خلال قيامه في عليكره ولكنها مجهولة اليوم فلا توجد أي نسخة منها والأخرى أصدرها حينما ارتحل إلى لاهور وهي خير نموذج للأدب العالي الصحفي ودليل على براعته في هذا المجال. نذكر فيما يلي القطعات التي خالف فيها العلامة حركة السير سيد أحمد خان حينما زاره لجمع التبرعات لفعاليته التي أساءت عديداً من العلماء فهو يقول:

"إني لا أذكر شينا من الأمور في هذا الأخبار إلا ما رأيت بعيني أو سمعت بأذني على توثق أو يستناد من الأخبارات الجارية في البلاد والأمصار إذا كان مما يجوزه العقل السليم والطبع المستقيم فمن ذلك ما رأيته وما سمعته من تعظيم السيد أحمد خان في الفنجاب(Punjab) حيث عظمه وبجّله أهل الفنجاب مما أنهم استقبلوه ورحبوا به وقدّموا اليه النذور والتقادم وتلوا عليه ما كتبوه له واليه وأيدوا مدرسته بالأنفس والأموال ولم يكن ذلك إلا لاعتقادهم فيه وتصديقهم إياه فيماقال أو يقول، والله لو ادعى للولاية والإمامة بل النبوة بل الألوهية لصدقوه بالقلب واللسان ولآمنوا به وأذعنوا له غاية الإذعان ولكنه لم يدع الولاية لما انه لا يعدُّ الولاية شيئاً ولا النبوة لما انه لا يعد تصديق النبي ضروريا في الإسلام ولا

الألوهية لتنافي الظاهر بين البشرية والألوهية وهولاء المعتقدون رجال إذا جاءهم دجال من الدجالين الذين يأتون قبل القيامة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لصدقوه باللسان والجنان أن رغبتهم في منافع الدنيا شي يعتقد به لا غير ليسوا سواء فضهم من آمن به ومنهم من كفرو من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ويستفاد من آفتاب الفنجاب المطبوع في ثلاثين من الشهر الماضي أن الهنود أيضاً أيدوا مدرسة العلوم المذكورة بشيء من المال واعترض عليه هندكي بأن المسلمين الذين هم في بلاد سائر بلاد الهند لم يأتوا من العرب بل الاصل ان أباءهم واجدادهم كانوا هنودا في الاصل فأسلموا خوفا على انفسهم واموالهم فتسلط المسلمون عليهم حتى أخدوا نساء الهنود وصنيعاتهم وأموالهم وهدموا معابدهم وبنوا المساجد عليها وكسروا أصنامهم وذللوها فإن كانت لهم قوة ومنعة كما كانت لهم في العهد الماضي هدموا المعابد وكسروا الأصنام والهنود قوم لا عقل لهم ولا شعور ولا يتدبرون في المنافع والمضار فمن قال لهم ما بطرت به أنفسهم وخدعتهم بأدنى شي فهم يتخدعون به ولا يعلمون أن من يتعلم في تلك المدرسة من المسلمين يكون الأسد ويصيد من الهنود كما صادهم من قبلهم وإذا كان الأمر كذلك فلا بد للهنود أن يقيموا مدارسهم الدينية وبذلوا فيها أنفسهم وأموالهم". (انتهى)

"أقول ولعل هذا الهندكي لا يعلم حقيقة مدرسة العلوم المذكورة فإنها لا يدرس فيها ما ينافي دين الهنود حيث منافعها

مقصورة على منافع الدنيا وهي أكبرهم وذلك أيدها من أيدها من الهنود ولو كانت تلك المدرسة كمدارس بلادنا سلمها الله تعالى من الشرور والآفات لما أعطى هندكى شيئاً قليلا في إمدادها كما هو مجرب مشاهد على أن مدرسة العلوم ليست مختصة بتعليم أهل الإسلام حتى يخاف منها بل يتعلم فيها الهنود والمسلمون ما يفيد الدنيا ويبيد الدين وذلك لشيوع تعلم اللسان الإنجليزي فيها واعتقادهم أن سبب الرزق منحصر فيه وأن كل كمال من كمالات الانسان لا يبلغ مرتبة من المراتب العالية إلا به حتى زعمه من صرف برهة من عمره العزيز في العلوم العربية ثم تعلق بتلك المدرسة منذ مدة يسيرة. اللهم أعزنى من وساوس الشيطان وهمزانه." [٢٧]

٨- ديوان الفيض: هذا أروع ما خلفه العلامة من آثاره العلمية والأدبية فهو يشمل ١٥٤٩ بيتا. قام تلميذه الرشيد الإمام عبد الحميد الفراهي بطبعه في مطبع أختر دكن بحيدر آباد ونشره وهذا كله حدث على نفقته الخاصة.

يبدو من دراسة هذا الديوان أنه كان مطبوعاً على قَوْل الشعر العربي ولم لا فإنه كان من عشيرة بني أمية الذين هم العرب حقاً فعادت الحقيقة وفاضت في شكل هذا الديوان الرائع وإليكم بعض النماذج من قوله العربي فهو وقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

فديـــتك ان تعاتبنـــي فتـــنعم ‏ ‏ ‏ ‏ علـــي فكـــل خـــير فـــي عـــتابي
فدى لك إن تعاقبنى فتحسن ‏ ‏ ‏ ‏ إلـــي فـــاي شـــر فـــي عقـــابى
أتيـــتك مســـتغيثا مســـتغيثا ‏ ‏ ‏ ‏ بقلـــب فـــارغ يحكـــى جـــرابى
اليك المستغاث فـان تغثنى ‏ ‏ ‏ ‏ وإلا فالتـــباب علـــى التـــباب
رســـول الـــبطحى هاشـــمى ‏ ‏ ‏ ‏ شـــفيع مســـتجيب مســـتجاب
خلقت مباركا وبعثت سمحا ‏ ‏ ‏ ‏ فاحسن بي على سرني وعابى
تربت وطال ما تربت يمينى ‏ ‏ ‏ ‏ فخذ بيـــــــدى بآل أبي تراب

وقال يرثي أمه وماتت في غيبته:

أصـــابتنى هنات في هنات ‏ ‏ ‏ ‏ فمـــت قبـــيل أن ياتـــي ممـــاتى
وذلـــك إن أتانـــي امِّـــي ‏ ‏ ‏ ‏ مضـــت لسبيلها فـي الماضيات
أبـــت الا المضـــي الـــى بـــلاد ‏ ‏ ‏ ‏ تضـــم قـــبائل القـــوم الشـــتات
فسارت زادها زهد وتقوى ‏ ‏ ‏ ‏ فكـــان بـــتاتها خـــير البـــتات
وحدت بلدة لم ير فيـــها ‏ ‏ ‏ ‏ العراب ولم يخبً بها النجـــاتى

ويذكر شبابه:

كان لى في الشباب عيش لذيذ ‏ ‏ ‏ ‏ عـــاتق فـــاتق ولحـــم حنـــيذ
وجـــوار غلمـــه وقـــيان ‏ ‏ ‏ ‏ مطـــربات يلهـــو بهـــن النبـــيذ
وثـــياب بـــيض وحمـــر وصـــفر ‏ ‏ ‏ ‏ وحنـــيذ مطـــب وحنـــيذ
ثم شاعذ اللســـان مني فصيح ‏ ‏ ‏ ‏ لا يباريه شـــــاعر خنذيذ

وقال يفتخر على داب الشعراء:

سل الناس بى كل دانٍ وقاص	تجديـى ذوابـة قـوم حـراص
علـى بذل مـا فيهم من خلوص	وإتـلاف مـا عندهم من خلاص
ومـا زال مـنا كـريم جـواد	يجود علـى المجتدي كالنشاص
نبيت خماصاً على غير بؤس	إذا مـا سمعنا بـقوم خماص

وقال يعود خليلا لـه بكتاب أرسله اليه:

مـا للدمـوع تفـيض	ولا تكـاد تغـيض
ولعـل ذاك لقولهـم	ان الحبيـب مـريض
ولا أصـرح باسـمه	إذ حسـبى الـتعريض
يامن بجنـب مقامه	أوج السماء حضيـض

وبجانـب هؤلاء فلـه توطئات وتوصيات ومقدمـات منظومة علـى مختلف الكتب المهمـة من مثل "لقطـة العجـلان" و"التعليق المنعوت علـى سنن أبي داؤد" و"التحفة الصديقية" و"كنـز الدقائق" و"فتح البيان في مقاصد القرآن" و"حواشي المناظرة الرشيدية".

الهوامش

١. مجلـة "نقوش" الشـهرية الصـادرة عن لاهور، عدد فبراير، ١٩٦٢م، ص٨٨٧ (عدد خاص عن الشخصيات).
٢. المصدر نفسه
٣. عمر رضـا كحّالـه: معجم المؤلفين، مطبع الترقي بدمشق، ١٩٥٩م، ج٨، ص٨٤

٤. المصدر نفسه
٥. مجلة "نقوش" الشهرية المذكور أعلاها، ص٨٨٨
٦. د. حامد علي خان: Indo-Arab Literature (الأدب العربي-الهندي) (مخطوط)
٧. جريدة "مشرق" اليومية الصادرة عن لاهور، عدد ٢٨ يونيو، ١٩٦٢م
٨. إمداد المشتاق، طبع في دلهي، ص٢٠٢
٩. مجلة "نقوش" الشهرية المذكور أعلاها، ص٨٨٨
١٠. تقرير مجتمع علمي علي كره لسنة ١٩٦٤-١٩٦٥م
١١. مجلة "نقوش" الشهرية المذكور أعلاها.
١٢. عبد الحي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج٨، ص٣٦٩
١٣. مجلة "نقوش" الشهرية المذكور أعلاها، ص٩٢٤
١٤. تقرير مجتمع علمي علي كره لسنة ١٩٦٤-١٩٦٥
١٥. مجلة "نقوش" الشهرية المذكور أعلاها
١٦. المصدر نفسه
١٧. المصدر نفسه
١٨. مجلة "معارف" الشهرية، ط٦٥، ع٣، ص٢٠٨
١٩. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج٨، ص٣٦٦
٢٠. عبد الرحمن ناصر الإصلاحي الجامعي: حياة حميد، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سراي مير، ص٥
٢١. المصدر نفسه، ص٣٠

٢٢.الأدب الهندي-العربي (مخطوط)

٢٣.جريدة "مشرق" اليومية، عدد ٢٨، يونيو، ١٩٦٢م

٢٤.فيض الحسن السهارنفوري: رياض الفيض (مقدمته).

٢٥.فيض الحسن السهارنفوري: قصائد قاسمي، ص٢٧

٢٦.المصدر نفسه، ص٢٨

٢٧.الشيخ سيد إقبال علي: سيد أحمد كا سفرنامه بنجاب (رحلة السيد أحمد لبنجاب)، مطبع معهد علي كره، ١٨٨٤م، ص ١٤٧ و ١٥٠



الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي محققاً كبيراً ومحدثاً عظيماً وفقيهاً بارعاً

- فاطمة الزهراء *

أنجبت مدينة أعظم كره شخصيات بارزة في كافة مجالات الحياة فالشيخ العلامة حميد الدين الفراهي والعلامة نجم الدين الإصلاحي والعلامة محمد فاروق التشرياكوتي والعلامة المؤرخ شبلي النعماني والعلامة محمد إقبال سهيل والشيخ وحيد الدين خان رجال يعترف بهم العالم كله والشيخ أبو المآثر حبيب الرحمن الأعظمي أحد منهم وهو معروف لا في الهند فقط بل في العالم الإسلامي فإنه خدم علوم الحديث خدمة يقل نظيرها في العالم وفيما يلي دراسة وجيزة لحياته وآثاره القيمة الرائعة.

مولده ودراسته الابتدائية حتى النهائية:

هو حبيب الرحمن أختر أحسن بن الشيخ محمد صابر بن عناية الله. ولد في قصبة علمية وتجارية شهيرة من أعظم كره،

---

*كاتبة ومترجمة حرة من أعظم كره

منوناث بانجان(Maunath Bhanjan) في ١٣١٩هـ/١٩٠١م. كان أبوه عابداً زاهداً مخلصاً دينه لله. إنه أوقف ٣٦ عاماً من عمره لتدريس الطلاب في مسجد من حيه فنّور بوجوده وفيضه ما حوله من الجوّ والبيئة. ولد الشيخ الأعظمي في هذه البيئة الدينية المخلصة الطاهرة وترعرع فبدأ دراسته لدى والده الكريم قارئاً القرآن الكريم ودارساً الكتب الابتدائية للغة الفارسية وبعد ما شدا من بعض المعلومات حضرة الشيخ عبد الرحمن المنوي ودرس عليه الكتب النهائية للغة الفارسية. وأما اللغة العربية فبدأ دراستها لدى الشيخ عبد العزيز المئوي ودرس رسالة منظومة في التجويد على الشيخ عبد الحق البيلي بيتي(Pili Bhit). قرأ معظم كتب قواعد اللغة العربية على الشيخ أبو الحسن المنوي وأما الأدب فقد بدأ قرأته لدى الشيخ محمد صابر إلا أن الكتب العالية من الأدب والبلاغة والفقه وأصوله والحديث فقد درسها على الشيخ عبد الغفار تلميذ الشيخ رشيد أحمد الغنغوهي وحصل على شهادتي "ملا" و"فاضل" من هيئة الامتحانات، الله آباد في ١٩١٨م و١٩١٩م.

خلال هذه الفترة (١٩١٨م و١٩١٩م) زار دار العلوم بديوبند مرتين ولكن كل مرة رجع بسبب المرض فلم يقدر على الدراسة هنا بصورة منظمة فالأساتذة الذين استفاد منهم في الأدب والفقه والحديث والمعقولات هم الشيخ إعزاز علي والشيخ شبير أحمد العثماني والسيد أصغر الحسيني والشيخ كريم بخش السنبهلي والشيخ عبد الرحمن البوبالي.

في مجال التدريس والسياسة والعمل

وبعد ما أكمل دراسته تعين كأستاذ للدراسات العليا في دار العلوم بمنو وقضى بها سنتين ثم في ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م غادرها ليكون عميد مظهر العلوم بوارانسي ولما دعاه أستاذه أبو الحسن المئوي إلى مدرسته مفتاح العلوم بمنو فلم يرد عليها وغادرها ليقوم بنهضة جديدة فيها وقضى هنا سنوات يدرس ويهذب الطلاب ولكن شغله العلمي والتحقيقي لم يتركه لمزيد من التدريس والتهذيب فغادر هذه المدرسة التي أصبحت جامعة لمجرد وجوده العلمي وسعيه الجهيد.

في ١٣٧١هـ/١٩٥٢م أختير عضواً لمجلس النواب في ولايته أوترا براديش وفي ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م صار عضواً لمجلس الشورى في دار العلوم كما أصبح عضواً للمجلس التنفيذي لجمعية علماء الهند وكذا جعل مديراً لجامعة مفتاح العلوم بمنو في ١٩٧٣م كما قام ببناء المعهد العالي ومرقاة العلوم في منو وفي ١٩٨٤م نال جائزة رئيس الهند وفي عام ١٩٨٦م أختيرا أميراً لأمارة شرعية الهند.

تلامذته:

قضى الشيخ الأعظمي جزء كبيراً من عمره العزيز في التدريس والتعليم فقد استفاد منه عدد كبير من العلماء والأدباء والمحدثين، نذكر بعضاً منهم فيما يلي:

١ ـ الشيخ محمد منظور النعماني ٢ ـ الشيخ محفوظ الرحمن النامي

٣ـ الشيخ محمد حسين البيهاري ٤ ـ الشيخ عبد الستار المعروفي

٥ـ الشيخ عبد الجبار الأعظمي ٦ـ الشيخ ضياء الدين المئوي

٧ـ الشـــيخ ســـعيد الرحمـــن الأعظمي ٨ـ الشيخ ظفير الدين المفتاحي

٩ـ الشيخ رشيد أحمد المفتاحي ١٠ـ الشيخ عبد الرشيد المئوي

ومن أبرز من نال منه شهادة وإجازة في علوم الحديث من العرب هم:

١ ـ الإمـام الشـيخ عـبد الحلـيم محمود ٢ ـ الشيخ بهجة البيطار

٣ـ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ٤ ـ الشيخ عبد العزيز بن باز

٥ـ الشيخ محمد أمين الكتبي ٦ـ العلامة خير الدين الزركلي

٧ـالشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٨ـ الشيخ مصطفى الزرقاء

٩ ـ الدكتور صلاح الدين المنجد ١٠ ـ الشيخ عبد البديع صقر

مؤلفاته:

كـان العلامـة المحـدث الأعظمـي قـد انقطـع إلـى تحقـيق الأحاديث وإصدار الفتاوى فقد علق على كتب مهمة في الحديث كما

قام بتأليف كتب قيمة في مختلف المواضيع وفيما يلي ذكر موجز لتعليقاته وتأليفاته القيمة الرائعة:

١- إنتقاء الترغيب والترهيب للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى ٧٥٦هـ: طبع هذا الكتاب من معهد إحياء المعارف بماليغاون (Malegaun) في ١٩٦٠م.

٢- مسند الحميدي (مجلدان): هذا عمل الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي الحميدي(م٢١٩هـ/٨٣٤م) وهو أستاذ الإمام عبد الله البخاري. كان هذا التأليف القيم مخطوطاً فطبعه الشيخ الأعظمي في ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م بتحقيقه.

٣- كتاب الزهد والرقائق: هذا مؤلف الإمام عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١هـ/٧٩٧م. كان هذا الكتاب القيم مجهولاً ووراء نيل العلماء لسبب كونه مخطوطاً فقد اعترف العلامة السيد سليمان الندوي بأنه لم يستطع بدراسته قائلا:

> "نحن نعرف الإمام عبد الله بن المبارك الذي صنف كتاب الزهد والرقائق ولكنه وراء حصولنا عليه فلا يمكن لنا أن نقول عنه شيئا"[1].

٤- سنن سعيد بن المنصور(مجلدان): هذا تأليف الشيخ أبو عثمان سعيد بن المنصور المروزي الذي توفي في

٢٢٩هـ / ٨٤٣م. جاء فيه ذكر الثلاثيات بكثرة. هذا الكتاب أيضا طبع من نفس المعهد بماليغاؤن في ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٥- المطالب العالية بزوائد المسايند الثمانية (أربعة مجلدات): هذه محاولة العلامة الشهير الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى في سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م. نشرته وزارة الأوقاف بالكويت في ١٣٩٠هـ/١٩٦٨م.

٦- المصنف لعبد الرزاق (أحد عشر مجلدا): هذا تأليف الإمام عبد الرزاق بن همام بن نافع (م ٢١١هـ/٨٢٦م) وهو أستاذ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. معظم أحاديثه الثلاثيات. إنه دائرة معارف الأحاديث النبوية. طبع من دار التعليم، بيروت في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠.

٧- تلخيص خواتم جامع الأصول: هذا كتاب المحدث الشهير محمد بن طاهر البتني الذي توفي في ٩٨٦هـ/١٥٧٨م.

٨- كشف الأستار عن زوائد مسند البزار للهيثمي: هذا كتاب تم تأليفه في أربعة مجلدات. نشره دار ابن كثير في دمشق في ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

٩- المصنف لابن أبي شيبة (م٢٣٥هـ/٨٤٩م): تم طبع ثلاثة مجلدات منه من المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة وأما البقية فهي يجري طبعها ونشرها.

١٠- تحقيق حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي.

١١- تصحيح وتعليق تكميل الأذهان للشيخ المحدث رفيع الدين الدهلوي المتوفى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م: لم يطبع حتى الآن وتوجد إحدى نسخه في المجلس العلمي بكراتشي.

١٢- كتاب الثقافات لابن شاهين: لم يطبع حتى الآن.

١٣- الحاوي لرجال الطحاوي: هذا وما يلي من الكتب مما لم يطبع من آثار الأعظمي فالكتاب يبحث عن رجال "معاني الآثار" و"مشكل الآثار" هذا عمل حديث بديع لا يوجد نظيره في مجال البحث والتحقيق.

١٤- الاتحاف السنية بذكر محدثي الحنفية: يبدو الموضوع من عنوان الكتاب.

١٥- استدراكات على تحفة الأحوذي: هذه استدراكات على شرح الشيخ عبد الرحمن المباركفوري للترمذي.

١٦- أعيان الحجاج: تم تأليف الكتاب في مجلدين: استحسنه العلامة سيد أبو الحسن علي الحسني الندوي.

١٧- ركعات تراويح

١٨- ركعات التراويح برد أنوار المصابيح: هذا وسابقه يردان على عدد ركعات التراويح الذي عيّنه أهل الحديث في الهند.

١٩ـ أعلام المرفوعة في حكم الطلقات المجموعة: موضوعه واضح من عنوانه.

٢٠ـ أزهار المرفوعة في رد الآثار المتبوعة: هذا وسابقه يدلان على ما ذهب إليه أهل الحديث في الطلقات الثلاث ويردان موقفهم منها.

٢١ـ شارع حقيقي: هذا رد على مذهب البريلوي وهو وحيد من نوعه.

٢٢ـ تحقيق أهل حديث: هذا أيضاً رد على أهل الحديث.

٢٣ـ النذر لأوليا الله: هذا رد على أهل البدع

٢٤ـ إرشاد الثقلين: هذا رد على الرافضة.

٢٥ـ إبطال عزا دارين: هذا أيضا رد عليهم.

٢٦ـ العزا حسب وجهة نظر أهل السنة والجماعة.

٢٧ـ رفع المجادلة في آيات المباهلة: موضوعه واضح من عنوانه.

٢٨ـ التنقيد على التفسير الجديد: هذا بحث علمي عن تفسير الخواجه عبد الحيء المرحوم.

٢٩ـ كلام الأولياء المحبوب

٣٠ـ دليل الحجاج

٣١- رد تحقيق الكلام.

درجته في معرفة علم الحديث

كان العلامة المحدث حبيب الرحمن الأعظمي من كبار علماء الحديث وأصوله. فقد اعترف بدرجته العليا ومنزلته الرفيعة في هذا المجال علماء الحديث ومهرة هذا الفن الشريف. إنه قام بتحقيق مجموعات الأحاديث والتعليق عليها كما قام باستدراك ما فات المحدثين الآخرين من الأحاديث والأمور المهمة في هذا الباب. وهنا نكتفي بذكر رسالة بعثها العلامة أحمد محمد شاكر والعلامة أبو الوفاء الأفغاني فيشكر العلامة أحمد محمد شاكر علي استدراكاته على تحقيقه لمسند أحمد بن حنبل قائلاً:

"حضرة الأخ العلامة الكبير المحقق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي جاءني كتابكم الأول النفيس.... أما استدراكاتكم فكلها نفيسة عالية ولا أقول هذا مجاملة.... وأشكركم خالص الشكر على هذه العناية الجيدة وأرجو أن تزيدون من إشاراتكم وإرشاداتكم خدمت للسنة النبوية المطهرة وأنتم كما رأيت من عملكم من أعظم العلماء بها في هذا العصر فالحمد لله على توفيقكم.

كتبه المخلص: أحمد محمد شاكر"[٢].

ويقول العلامة أبو الوفاء الأفغاني في تقريظه لكتاب الزهد والرقائق:

"فقد أطلعت على كتاب الزهد للإمام ابن المبارك رحمه الله الذي رتب أصوله وصححها وعلق عليه العلامة اللبيب الحبيب مولانا الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي لا زال ناصراً للسنة.... فوجدته ماهراً للعلوم حاويا بها أمينا كرواياته. حل في تعليقه مشكلات الكتاب وأخرج أحاديثه وآثاره وقدمه بمقدمة ثمينة مفيدة تدل على سعة إطلاعه وطول باعه. قل له نظير في علماء زماننا"[٣].

درجته في البراعة في الفقه وأصوله

هذا هو الجانب العلمي من حياة العلامة الأعظمي الذي قد جهله الناس لإكثاره من البحث والتحقيق والتعليق على كتب الأحاديث فقد جاء بموسوعة علمية محققة في مجال علوم الحديث وأصوله وتحقيق الأحاديث الصحيحة والضعيفة.

ولكنه مع ذلك كان فقيهاً بارعاً عارفاً بأصوله ولنا دليل قاطع على ذلك دعوة الشيخ المدني للترأس والإشراف على مجلس إفتاء دار العلوم بديوبند ولو لم يكن كذلك لما دعاه شيخ الإسلام لاختيار هذا المنصب العالي المتطلب مسؤولية كبرى تجاه الدين والدنيا.

الهوامش:

١- مجلة "معارف" الشهرية الصادرة من در المصنفين بأعظم كره عام ١٩٤٤م.

٢- مجلـة "دار العلـوم" الشـهرية الصـادرة مـن دار العلـوم بديوبند،ج ٧٧، ع ٤ و٥ ، ص ١١

٣- كتاب الزهد والرقائق، ص ٦٤

❖❖❖❖❖

الأعياد والمهرجانات الهندوسية في ولاية البنغال الغربية

- سعيد الرحمن*

الهند أرض الألوان البديعة وأرض السحر والفتنة وأرض الجبال والأنهار المقدسة وأرض الآلهة الكثيرة وأرض العباد والزهاد والصوفية والنسّاك وأرض الديانات المختلفة وأرض الأقوام والشعوب المتشعبة ومن ثم أرض الأعياد والمهرجانات الكثيرة التي لا يخلو منها يوم ولا شهر إلا يحتفلون بعيد أو مهرجان في ولاية ما من ولايات الهند العظيمة.

هذه المهرجانات والأعياد تتناغم مع دورة الفصول والمواسم مثل موسم بذر الحبوب وموسم الحصاد وبعضها ديني محض وبعضها ثقافي وطني. ومن المثير للدهشة أن أي مهرجان خاص بطائفة أو جماعة معينة لا تقتصر المشاركة فيه على أفراد هذه الطائفة أو الجماعة، إنما يشارك فيه أفراد عديدون من طوائف وجماعات أخرى. فالهندوس على سبيل المثال يشاركون المسلمين

* - باحث، مركز الدراسات العربية والأفريقية، جامعة جواهر لال نهروا. نيودلهي

في أعيادهم كما يحتفل المسلمون بالأعياد الهندوسية ذات الطابع الديني والموسمي أيضا مثل عيد الألوان وعيد الأنوار ودورجا بوجا (Durga Puja) وغيرها.

وهذه الأعياد والمهرجات تؤدي دوراً عظيما في تقوية الشعور الوطني والانسجام الطائفي. ففي الصفحات الآتية نستعرض أهم الأعياد والمهرجانات التي يحتفل بها البنغاليون في ولاية البنغال الغربية. وفي الحقيقة إن ولاية البنغال الغربية تحتفل بجميع الأعياد والمهرجانات الهندوسية الكبرى التي تحتفل بها الهند كلها ولكن لكل ولاية أسلوب خاص أو طريقة خاصة في الاحتفال بها وفي بعض الأحيان تختص ولاية بأعياد لا تحتفل بها ولاية أخرى، وهناك عديد من المهرجانات تحتفل بها ولاية البنغال الغربية وحدها دون الولايات الأخرى. فإليكم أيها القراء الكرام موجز الأعياد والمهرجانات الهندوسية في ولاية البنغال الغربية.

عيد دورجا أو دورجا بوجا(Durga Puja):

عيد دورجا أو دورجا بوجا من أكبر وأهم الأعياد الهندوسية في ولاية البنغال الغربية والذي يُحتفل به في شهر أكتوبر كل سنة. أما دورجا فهي آلهة الحرب. إن جميع الآلهة الهندوسية قد منحوها شيئا من قوتهم كما تخبرنا الأساطير لتحارب قوى الشر. وهكذا هي إلهة أو أحد مظاهر القوى الإلهية. وهي في نفس الوقت زوجة الإله شيفا(Shiva). ومن أكبر الأعمال البطولية التي أنجزتها قتل قوى الشر

المتمثلة في "ماهيشا سورا" (Mahisha Sura). طبق الأساطير، إنها خُلقت من الدخان الصادر من أفواه الآلهة العديدون مثل فيشنو (Vishnu) وشيفا ومن يليهما من آلهة الدرجة الثانية. إنها لم تولد صبية رضيعة بل ولدت شابة مكتملة الأعضاء وجميلة جداً ولكن هيئتها مخيفة ومهددة إلى حد لأعداءها لا لعبادها ومتبيعيها. نجدها في التماثيل القديمة والحديثة أنها تركب أسدا وأحيانا نمراً ولها عشرة سواعد وأحيانا ثمانية. تحمل على كل ساعد سلاحاً يختلف عن سلاح آخر وهذه الأسلحة كلها منحها الآلهة الآخرون للمحاربة ضد قوى الشر.

يحتفل الهندوس بهذا العيد تمجيداً لذكرى بطولاتها وولاية البنغال الغربية تفوق جيمع الولايات الهندية في الاحتفال بهذا العيد.

يقام في مدينة كولكاتا(Kolkata) نحو ألفين خيمة عند مناسبة الاحتفال بهذا العيد وتوضع تماثيل وصور دورجا تحت كل خيمة. وهي راكبة نمراً أو أسداً وتقتل قوى الشر المتمثلة في "ماهيشاسور"[١].

وهذا موسم التحف والهدايا. يشترى الناس ملابس جديدة ودكاكين الثياب تملأ بالملابس الفاخرة الأنيقة نسائية كانت أم رجالية. والناس في هرج ومرج وضجيج وعجيج ينتقلون من خيمة إلى خيمة تقام هنا وهناك. ومن أبرز سمات هذا العيد أن الناس يعبدون الإلهة دورجا طوال تسعة أيام ويصومون وينفقون على

الفقراء والمساكين ويتبادلون التهاني والتحف والهدايا. وهذا العيد يبلغ أوجه يوم "ماهاداشامي" (Mahada Shami)وهو اليوم العاشر منذ بداية العيد. ويحملون في ذلك اليوم صور دورجا في العربات أو الشاحنات المزينة في موكب فخم ويلقونها في نهر "هوغلي" (Hugli)[1]. ويتم الاحتفال.

وفي الولايات الشمالية الهندية مثل أترا براديش وبيهار ودلهي يحتفل الناس بعيد آخر في اليوم العاشر من عيد دورجا وهو "عيد رام ليلا"(Ram Lila) الذي يتم فيه تمثيل قصة الإله راما(Rama) الذي يجسد الإله فيشنو وهو في ذات الوقت بطل ملحمة الرامايانا (Ramayana) ويسمى ذلك اليوم بـ"دشهرة" وعادة ما يقوم الناس في يوم دشهرة بإحراق صور وتماثيل رافانا(Ravana) ملك لانكا(Lanka) مع حلول الليل مما يمثل الاحتفال انتصار الإله راما على رافانا كرمز انتصار الخير على الشر حيث استطاع الإله راما كما تروى الملحمة أن يتغلب بمساعدة أخيه لاكشمن(Laxman) على رافانا في استعادة سيتا(Sita) زوجة راما وتخليصها من قيد رافانا الذي اختطفها"[2].

عيد سرسواتي(Saraswati Puja):

عندما يتقهقر موسم الشتاء ويأخذ الربيع يضفي لمسته السحرية على كافة مظاهر الحياة فتنتشر الأزهار الجملية لنبات الخردل بألوانها الصفراء البراقة وسط حبوب القمح الناضحة كما

تبدأ البراعم الصغيرة في الظهور على أشجار المانجو وتملأ الطيور الحقول والحدائق بتغريدها، يبدأ الناس باحتفال عيد "فاسنت بانتشامي" (Vasant Panchami) (وهو عيد يحتفل به عند حلول الربيع) بأسماء مختلفة في معظم الولايات الهندية. ونفس العيد يحتفل به ولاية البنغال الغربية باسم "سرسواتي بوجا" بأسلوب يختلف عن أساليب الولايات الأخرى. وهو من المناسبات الكبرى في هذه الولاية. الهندوس يعبدون الإلهة سرسواتي ذلك اليوم في كل بيت وفي كل محلة. إنها إلهة العلوم والفنون ولاسيما الموسيقي. فكثيراً ما نجد صورة سرسواتي في الأيقونة والتماثيل المنحوتة كإمرأة جملية فاتنة الجمال. وضع على رأسها هلال وهى آخذة بالفلوت على حافة شفتيها وحسب نصوص الفيدا(Veda) إنها التي اخترعت اللغة السنسكرتية التي هي لغة البرهمنيين.

فيخصص هذا العيد لتمجيد الإلهة سرسواتي. وبما أنها آلهة العلوم والفنون والشعر والموسيقي أكثر الناس تحمسا في عبادتها واسترضاءها ذلك اليوم هم الطلبة والباحثون والكتاب والشعراء والمحاضرون في الجامعات. إنهم يضعون أمام صور سرسواتي الجميلة كتبهم وبحوثهم ومقالاتهام ودواوين شعرهم وآلات موسيقية ويتضرعون إليها ويبتهلون في عبادتها ويسألون منها التوفيق والسداد والبركة في أعمالهم الفكرية والأدبية ويدعون لنجاحهم في المستقبل في حياتهم العلمية. وكذلك يلقون على صور سرسواتي

عقودا من الأزهار الجميلة مختلفة الألوان ولا تكتمل عبادتها إلا بالأزهار والفتيات يلبسن ذلك اليوم "الساري" الجميل الملون باللون الأصفر حسب العادة المتبعة وكذلك الرجال يفضلون لبس الملابس الصفراء.

يجتمع الشبان تحت خيمة في محلة ما ويحتفلون بالمناسبة فرحين نشطين والأطفال في ضجيج وعجيج والناس في هرج ومرج والموسيقي يدوي في الجو والأناشيد التعبدية تبعث في القلوب إخلاصا وصفاء وطهراً.

يقوم بعملية البوجا (Puja)(العبادة) أحد رجال الدين وهو "بانديت"(Pandit) وبعد تمام البوجا يقسمون الحلويات التي قدمت أمام الإلهة سرسواتي وفي بعض المناطق في كولكاتا يطعمون الفقراء والمساكين أيضا. ثم يحملون تماثيل سرسواتي في سيارات ويخرجون في الشوارع في موكب عظيم ويصلون إلى نهر أو بركة حيث يلقون فيها صور الإلهة وبعد ذلك يتبادلون التهاني والهدايا والتحف. والجدير بالذكر أن سرسواتي مع كونها إلهة العلوم والفنون والموسيقى والشعر لا يوجد لها أي معبد كما نجد للآلهة الأخرى. إنها تُعبد في البيوت لا في المعابد.

عيد كالي(Kali Puja):

مدينة كولكاتا تستعد مرة أخرى لتستقبل بعيد آخر بعد تسعة عشر يوما من اكتمال دورجا بوجا. وهو عيد "كالي"(Kali) وكلمة

كالـي تعنى "السوداء" أى الإلـهة السوداء. إن الإلـهة "كالي" تعبد كأم تدفـع الشـر عـن أولادهـا وتحـارب ضـد قوى الشـر ولكـن صـورتـها مخيفة جداً.

تبدأ عملية البوجا في منتصف الليل فتعجّ معابد كالي بالزوار ويرنّ صـوت الجرس فـي الفضـاء وتضـاء كافة البيوت بالمصابيح الزيتية كمـا تضـاء عند مناسبة عيد الأنوار ويطلق الكبار والصغار المفـرقعات والصـواريخ الـنارية فـي الهـواء. والأطفـال يعـدون هـنا وهنـاك والشبـان يقضـون الليلة في الرقص والغناء والموسيقى فقليل من الناس ينامون تلك الليلة.

تعـد الإلـهـة كالــي مــن أهـم الإلـهـات الهندوسـية. أيقونـتها وعبادتها والأساطير المتعلقة بها يربطها عامة مع الشهوانية والعنف والأعمـال البطولـية وكذلـك بعاطفـة الأمومـة بشـئ من التـناقض فـي ظهورهـا المـتأخر. نُحتـت صـورهـا وتماثيلها فـي أشـكال مـتعددة فـي الآسـيا الجنوبـية ولكـن في معظم الأحيان نجد صـورتها عارية جزئيا أو تمامـا وفي هيئة مخيفة جداً. ينسدل لسانها الطويل الأحمر الدموي ويحيط عنقها عقد من الرؤوس المقطوعة ولها سواعد متعددة. تحمل فـي أيدهـا الأربعـة صـيفا ومِجَنًّا وسـاعدا مقطوعـا لبطل ما وأحبولة. وأيديها كلها ممتدة في صرامة وحزم وهي قائمة على صدر زوجها "شـيفا" المسـتلقي علــى قفـاه وفاغـرا فــاه كأنهــا تـرقص وتفـرح بالانتصـار عليه.

في قديم الزمان إنها كانت تعبد في المناطق الجبلية وفي بيوت الطبقة السفلى في الآسيا الجنوبية ولم تكن إلهة محترمة لعامة الناس. إنها ظهرت أول مرة في الحضارة السنسكرتية كإلهة عظيمة عندما خرجت من حاجب عين الإلهة دورجا – كما تخبرنا الأساطير - في القرن السادس قبل الميلاد.

إنها ظهرت لتقتل قوى الشر المتمثلة في "ركتا بيجا" ومنذ ذلك اليوم بدأ عامة الناس يعبدونها وأصبحت إلهة مشهورة. إنها تذكر بالبطولة النادرة والعنف والشهوانية وانتصارها على قوى الشر والطغيان. توجد طائفة من الناس في ولاية البنغال الغربية وهم يسرقون ويقطعون الطرق ويقتلون الأبرياء ويقومون بكل نوع من الأعمال الإجرامية ويدعون بأنهم أولاد كالي الإلهة السوداء. إن الإلهة كالي لا تعبد في جميع الولايات الهندية على السواء إنها تعبد في المناطق الجبلية في كشمير وولاية آسام وفي بعض المناطق في جنوب الهند وبالأخص في ولاية البنغال الغربية.

الاحتفال بالعام البنغالي الجديد(Noboborsho):

يحتفل البنغاليون بعامهم الجديد في الثالث عشر أو الرابع عشر من شهر أبريل كل سنة ويسمى ذلك اليوم بـ "بويلا بويشاك" يعنى اليوم الأول من شهر بويشاك البنغالي. يحتفلون بذلك اليوم كيوم عطلة رسمية في ولاية البنغال الغربية.

فاستقبالا للعام الجديد ينظفون بيوتهم ويهتمون بالديكور الداخلي والخارجي لها ويزينون الدكاكين والمحلات التجارية بعقود الأزهار المختلفة الألوان وبثمار الموز الخضراء ويعلقون أوراق المانجو في خيوط بأبواب البيوت والنساء يزين أرضية الغرف بدقيق الأرز ويرشن عليها ألوانا جافة زاهية. ويعبدون الإلهة لاكشمي وهي إلهة الثراء والرخاء ومعها الإلهة جنيش (Ganesh) ويحملون صورها إلى المعابد ويتبركون بها.

يتم افتتاح كثير من المؤسسات التجارية الجديدة ذلك اليوم تيمنا به والتجار يفتحون الدفاتر الأستاذية وكذلك يستغرضون الدفاتر الحسابية. كأن ذلك اليوم بداية سنة مالية لديهم. ترسل بطاقات الدعوة إلى الزبائن لكي يؤدوا ما بقى لديهم من رسوم أو ديون ويقدم لهم وجبات خفيفة مجاناً مثل الحلويات والمربى وساندويش ومستي دوى وغيرها. والبنغاليون يقضون ذلك اليوم في عديد من النشاطات الثقافية حيث يقيمون أمسية شعرية في مكان ويقيمون مسرحية شعبية في مكان آخر. ومن أبرز سمات الاحتفال بالعام البنغالي الجديد إنهم يغتسلون قبيل الفجر ويلبسون ملابس بيضاء ويتطيبون ثم يخرجون في الشوارع في جماعات آخذين آلات موسيقية يتغنون ويطربون وكذلك الاهتمام بالملابس الجديدة وتجهيز الأطعمة الشهية والحلويات من أخص سمات الاحتفال بالعام البنغالي الجديد.

عيد دول بورنيما أو عيد الألوان(Holi) :

تحتفل ولاية البنغال الغربية بعيد دول بورنيما (Purnima) في نهاية فبراير وبداية شهر مارس كما تحتفل الهند كلها باسم عيد هولي أو عيد الألوان. ولهذا العيد إسم آخر في هذه الولاية وهو دول ياترا.

"يقوم الناس في هذا الاحتفال باستخدام الألوان الجافة وألوان الماء لتلوين وجوههم وملابسهم وكل شيء حولهم ويقومون برش الألوان على أصدقائهم وأقاربهم ومعارفهم كتعبير عن الحب والصداقة. يخبر كل منهم الآخر "هولي سعيد" وتمتلئ الشوارع بالشباب والفتيان اللذين يملئون الدنيا بالرقص والغناء المصاحب لدق الطبول مما يزيد من صخب اليوم وبهجته"[٣].

"ويرمز هذا العيد إلى الديمقراطية والمساواة في الهند ففي هذا الاحتفال تذوب كافة الفوارق بين الناس ويشارك فيه الفتيان والفتيات والرجال والنساء من مختلف الديانات والطبقات حيث يشعر الجميع بأنهم سواسية لا فضل لأحد منهم على الآخر"[٤].

وهناك عديد من الأساطير يرتبطُ بهذا العيد. طبق أسطورة خاصة أنه بدئ بهذا العيد أول مرة في ذكرى غلبة الإله كرشنا على قوى الشر المتمثلة في "بوتانا". ولذلك يُعبد الإله كريشنا (Krishna) خلال أيام الاحتفال.

أما الأسطورة فهي حينما كان الإله كرشنا طفلا صغيرا أمر عدوه الملك كانشا (Kansha) بقتل جميع الأطفال في المملكة وكان من بين الذين يقومون بالقتل الجماعي عفريتة تدعى بوتانا(Putana) التي كانت تجسدت الشكل الإنساني. كانت تجول في القرى والبوادي وتقتل الأطفال. فلما وصلت إلى الإله كرشنا وهو طفل صغير بعد عرفها بأنها عفريتة خطيرة فامتص دمها كله فهلكت العفريتة بوتانا فتخليداً لذلك اليوم بدأ الناس يحتفلون به.

وهناك أسطورة أخرى. "فعادة ما يقوم الناس في اليوم السابق للاحتفال بإشعال النار تخليدا لذكرى حرق هوليكا (Holika) التي استمد الهولي إسمه منها. تقول الأسطورة الشهيرة أن الملك الطاغي الشرير هيرانيا كشاب قد غضب على إبنه براهلاد (Prahlad) وصب جام غضبه عليه لأن الإبن كان قد وهب نفسه للإله فيشنو ولذا أراد الملك أن يعاقبه ولما فشل الملك في قتل إبنه فقد اقترحت أخته هوليكا التي كانت محصنة ضد النار بأن تجلس مع ابنه براهلاد على النار المشتعلة غير أن براهلاد خرج من النار سالما في حين أن النار حرقت هوليكا وحولت جسمها لرماد ولذا يقوم الناس بإشعال النار لإحراق هوليكا في الليلة التي تسبق الهولي تعبيرا عن حرق رموز الشر والتخلص منها. وعلى كل حال فإن الهولي لا يرتبط بأسطورة بعينها بقدر ما هو احتفال الألوان

والزهور ومما لا شك فيه أن عيد الهولي يستمد أصوله من مفاهيم الحب والرومانسية"°.

مهرجان باؤوس(Pausmela):

في بداية فصل الشتاء يحتفل البنغاليون بمهرجان باؤوس. وباؤوس اسم شهر بنغالي يقع في أواخر شهر يناير وبداية شهر فبراير. وهذا المهرجان من أهم النشاطات الثقافية التي تقوم بها جامعة شانتينيكيتان(Shantiniketan) الشهيرة التي أسّسها الشاعر العظيم رابندرانات طاغور في منطقة تدعى بولبور (Bolpur) وهى تقع على بعد مئة وخمسين كيلو مترا من مدينة كولكاتا. يشارك الناس في هذا المهرجان الثقافي من كل أنحاء ولاية البنغال الغربية حتى الذين استوطنوا البلاد الأجنبية مثل الولايات المتحدة أو الدول الأوربية يرجعون إلى ولاية البنغال الغربية في هذه المناسبة ويحتفلون بهذا المهرجان الثقافي. نرى في هذا المهرجان الثقافي البنغالي ماثلا أمام العيون من لغة وشعر ومسرحية ورقص وموسيقى ورسم وملابس وأزياء. جامعة شانتينيكيتن التي تعد مهدا للثقافة البنغالية العريقة تقوم بهذا المهرجان لعرض نواحى الثقافة البنغالية ريفية كانت أم حضرية.

يقوم بافتتاح المهرجان شيخ الجامعة مع الطلبة والطالبات حيث يقومون في الصباح المبكر للصلوات ويرتلون الأناشيد التعبدية ثم يتوجهون إلى الساحة المجاورة للجامعة حيث يحتشد

الزائـرون وتقـام مخـيمات ودكاكيـن وحوانيـت. يُعـرض فـي هـذا المهرجان كل شئ تم صنعه في ولايـة البنغال الغربية وكل شئ له صـلة بالـثقافة البنغالـية ومـن أبـرز سـمات هـذا المهـرجان اجـتماع المغنين المتجولين من الهندوس والمسلمين في عدد كبير. ويطلق علـيهم اسـم "الـباؤول" والـباؤول فـي الحقـيقة عـبارة عـن طائفـة هندوسـية تدعـى وايشـناب(Vaishnavas) وكذلك طائفـة مـن المتصـوفة المسلمين الذين يجولون في البوادي والقرى ويرتلون أناشيد صوفية ديـنـية ويتسـولون الـناس. ربمـا تشـتمل أناشـيدهم علـى الملحمـات الهندوسية والإسلامية وبطولات الأمجاد من كلتا الديانتين.

فهؤلاء المغنون المتجولون يملاؤن جو المهرجان بأناشيدهم الرقيقة وبموسيقيهم اللذيذ وجملة القول أن هذا المهرجان يقدم صورا وألوانا مختلفة للثقافة البنغالية.

مـهرجان رت ياترا(Rath Yatra):

هـذا المهـرجان مـن أحـد المهـرجانات الهـندية الكـبرى التـي يحتشـد فيها ألـوف مـن الهـندوس من كافة أنحاء الهند. ويقوم باحتفال هذا المهـرجان ولايـة أوريسة وولاية البنغال الغربية في ذكرى الإله جاجانـات (Jagannath) الذي يجسد الإله فيشنو. هناك في ولاية أوريسة معبد قديم يدعى معبد جاجانات في مدينة "بوري"(Puri). يجتمع في حـرم هـذا المعـبد ألـوف مـن الزائريـن ويتـناولون الطعـام مجانـا ويقضـون أيامـا فـي صـلوة وعبادة. والمهرجان يسـتمر إلـى أسـبوع كامل.

أما طريقة الاحتفال فهي أن تمثالا للإله جاجانات يوضع في مركبة خشبية ضخمة ترتفع ٤٥ قدما ولها ست عجلات وكذلك يوضع تمثالين أحده لأخيه "بالا بادارا" (Balbhadra) والآخر لأخته "سوبادرا"(Subhadra) على مركبتين. ويربطون هذه المراكب الخشبية بالحبال الممتدة.

والزائرون يجرّون هذه المراكب آخذين الحبال المقدسة ويتسابقون في أخذ تلك الحبال وتقبيلها ويطوفون حول المراكب الخشبية ويصيحون ويتمتمون بإسم الإله جاجانات وتسبيحاته وربما يلقي بعض الزائرين من المتحمسين بأنفسهم تحت عجلات المراكب ويلقون حتفهم راجين في ذلك النجاة الأبدية. يسير هذا الموكب الصاخب من معبد جاجانات بمدينة بوري ويصل إلى قرية "جونديسا باري" (Jundishapari) وهي القرية التي ولد فيها الإله جاجانات وتبتعد عن معبد جاجانات عدة كيلو مترات. وفي موطن الإله جاجانات يعبده الزائرون وأخاه وأخته أسبوعا ثم يرجع الموكب بنفس الحماس والضجيج إلى مدينة بوري ويضعون التماثيل في المعابد ويرجعون إلي بيوتهم.

ولاية البنغال الغربية تقوم باحتفال هذا المهرجان بأسلوب خاص يجتمع الناس رجالاً ونساءاً وأطفالا في منطقة سيرام فور (Sirampur) في جنوب مدينة كولكاتا ويجرون المركبة الخشبية للإله جاجانات وينثرون عليها الأزهار المختلفة الألوان ويصيحون بإسم

الإلـه ويتسـابقون فـي أخذ الحبل المقدس حتى يصلون إلى منطقة "كالي جهات"(Kali Ghat) من المناطق الساحلية لخليج البنغال ويلقون هناك الإلـه مع مركبته الخشبية الضخمة في المـاء ويرجعون إلـى بيوتهم مغفورين.

مهرجان جنجا ساجر(Ganga Sagar Mela):

مهرجان جنجا ساجر من أكثر المهرجانات اهتماما وولوعا واحتشادا في ولاية البنغال الغربية. والذي يُحتفل بـه كل عام في أواسط شهر يناير في جزيرة ساجر (Sagar Island/ Sagar Dwip) وجزيرة ساجر في الحقيقة مجموعة ٥١ جزيرة صغيرة تغطي مساحة خمس مئة وواحد وثمانين (٥٨١) مربع كيلو مترا. وتقع هذه الجزيرة عند ملتقى نهر جنجا الشهير وخليج البنغال.

بما أن الهندوس يعبدون نهر جنجا كإلهة لأنها تسقى الحقول وتتم بها الزراعة ولأسباب أخرى كثيرة، يعتبرون التقاء هذا النهر مع خليج البنغال مكانا مقدسا ومكان خير وبركة. يأتي الزائرون من كل أنحاء الهند لكي يغتسلوا في تلك الملتقى ويطهروا أرواحهم من الذنوب والمعاصي. هم يعتقدون بل يؤمنون إيمانا قويا بأن الاغتسال في الملتقى المقدسة يذهب بالخطايا والذنوب كلها ويرجعون إلى بيوتهم كيوم ولدتهم أمهاتهم.

مهرجان ويشوا كرما(Vishwa Karma Puja):

يحتفل الناس بهذا العيد في ولاية البنغال الغربية باهتمام كبير وبأبهة عظيمة في شهر سبتمبر كل سنة وذلك في ذكرى الإله ويشوا كرما وهو إله الخلق والإبداع الذي يعطي الصورة والشكل لكل شئ. يقوم باحتفال هذا المهرجان أصحاب المؤسسات التجارية والمصانع والورشات والفنانون والناسجون وأصحاب الحرفة اليدوية. ويتم تنظيف جميع الماكينات والآلات التي تستخدم في المصانع والورشات كذلك تلوينها من جديد في هذه المناسبة ويُنصب تمثال الإله ويشوا كرما أمام كل ورشة وهو يحمل مطرقة في يده. عمّال المصانع والورشات يجهزون أطعمة شهية ويوزعون الحلويات في الأصدقاء والزملاء ويطيرون طائرات ورقية ملونة.

الهوامش:

[1] - وهو أحد الأنهار التي تجرى في ولاية البنغال الغربية.

[2] - صوت الشرق العدد: ٤٣٤ مايو – يونيه ٢٠٠٣م.

[3] - صوت الشرق العدد ٤٤٠ يونيه ٢٠٠٤م.

[4] - صوت الشرق العدد ٤٣٤ مايو – يونيه ٢٠٠٣م.

[5] - صوت الشرق العدد: ٤٤٠ مايو – يونيه ٢٠٠٤م.

المراجع:

1.Ojha Dr. P.N: Indian Social Life (الحياة الاجتماعية الهندية),
Oriental Publishers & Distributors.
2.P. Thomas: Festivals and Holidays of India(أعياد وعطلات الهند).
D. B. Taraporevala Sons & Co. Private.

3.Festivals of India(أعياد الهند) Issued on behalf of the Tourist Division. Ministry of Transport, New Delhi.
4.Students' Britannica India (Volume Three) Encyclopedia Britannica (موسوعة بريطانيا)(India) Pvt. Ltd. New Delhi, India
5. The Encyclopedia of Religion (موسوعة الدين)

6. Sautul Sharq (صوت الشرق). Issue No: 434 May – June 2003. and May – June 2004.

ديباولي (عيد الأنوار)

- أنصار أحمد*

من المعروف أن الهند هي أرض لمختلف الديانات و الثقافات و التقاليد الغنية، و السبب لهذه الكثرة الدينية و الثقافية يرجع إلى كون الهند سمحاء التي احتضنت وربّت كبرى الديانات العالمية. ففيها الإسلام. و الهندوسية و المسيحية و السيخية و البوذية و اليانية (Jainism) إلى جانب معتقدات وتقاليد محلية تختلف من ولاية إلى أخرى. نتيجة لهذه الكثرة الدينية و الثقافية لا يخلو شهر وفيه عيد أو مهرجان أو مناسبة موسمية خاصة، إن هذه المناسبات بعضها من الطبيعة الدينية بينما البعض الأخر يتعلق بالمواسم و الفصول.

إنه من الطبيعي أن تكون لهذه الديانات و الثقافات أعياد يتقرب بها أتباعها من آلهتهم أو مهرجانات يتوسلون إليها لقضاء بعض ساعات الفراغ من التزامات الحياة وأعباءها. مثلا في الهندوسية وهي أكثر الديانات عيداً ومهرجانا يحتفل بأعياد ديباولي (Deepawali) و هولي (Holi) ودسهرا (Dussehra) وراما نومي

*موظف، الإذاعة لعموم الهند، نيودلهي .

(Ramanaumi) وجنماشتمي (Janmashtmi) ومهاشيفاراتري (Mahashiva Ratri) وعدد كبير من الأعياد الأخرى وفي الإسلام : عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك وعاشورة وفي المسيحية: عيد ميلاد المسيح (Christmas) والجمعة الحزينة (Good Friday) وعيد الفصح (Easter)، وفي البوذية: عيد ميلاد البوذا (Buddha Purniam) وفي الديانة اليانية: عيد ميلاد مهاوير (Mahavir Jayanti) و في الديانة السيخية : عيد ميلاد غورونانك (Guru Purab) وبيساخي (Baisakhi) وغيرهما.

في الأعياد الدينية، أولا يقوم الناس بتنظيف البيوت وأماكن العبادة وبعده يغتسلون ويرتدون أحسن الملابس ويذهبون إلى المعابد حيث يقفون في صفوف طويلة لرؤية تماثيل الآلهة وتقديم القربان إليهم، أو يتوجهون إلى المساجد والمصلى للصلوة والدعاء والمناجات، أما في الأعياد والمهرجات التي لها مناسبة موسمية أو محلية فيجتمع الناس ولهم الحرية كل الحرية في الرقص والغناء ويقضون الليل والنهار وهم يفرحون ويمرحون.

ديباولي وهو عيد الأنوار يحتفل به في الخريف عند نهاية الرياح الموسمية وبداية موسم الشتاء، وهو مناسبة دينية تستمر لأربعة أيام من اليوم الثاني عشر إلى الخامس عشر من شهر Ashwin (أوكتوبر – نوفمبر) إنه أكبر الأعياد احتفالا في الديانة الهندوسية، يأخذ هذا العيد إسمه من كلمة سنسكريتية Deepawali تعني عقد المصابيح يمتاز ديباولي بالإضاءة والإنارة فيما يزين عدد غير قليل

من مصابيح صغيرة وكبيرة البيوتَ والمحلات التجارية وشوارع المدينة والقرى، وكذلك يمتاز بمفرقعات نارية يلعب بها الصغار والكبار ناثرة منظرا ساحراً وجمالا سماويا للبلاد.

توجد روايات عديدة عن بدأ الاحتفال به للمرة الأولى في القرون العتيقة، مثلا فشنافاس (Vaishnavas) الذين يعبدون فشنو (Vishnu) كالإله الأعلى بدأوا عيد الأنوار على عودة الإله راما (Rama) وهو المتجسد السابع للإله فشنو، إلى مملكة أجودهيا (Ayodhya) وتبوأ العرش بعد قضاء ١٤ عاماً في المنفى في الغابات، حيث كان ملك لانكا راوانا (Ravana) قد اختطف زوجته سيتا (Sita)، فجمع الإله راما جيشاً من قرود وقائدهم هنومان(Hanuman) وبنى جسراً على البحر تمكيناً لهم من عبوره. تلاقى الجيشان واستمر القتال لعدة أيام حتى استطاع راما عن قتل راوانا فانهزم جيشه ونجح راما في إنقاذ زوجته من هذا العفريت. فلما رجع راماً بمصاحة زوجته العفيفة سيتا وأخيه الأصغر لكشمن (Laxman) بعد قضاء ١٤ عاما في الغابات، حيث كان أقام هذه المدة الطويلة احتراما لما أمر به أبوه الملك دشترتا (Dashrata)، هذا الأب الصالح لم يكن يرد عن طيب خاطره أن يقيم إبنه البار في الغابة بل كان اضطر إلى هذا القرار الثقيل على قلبه إيفاء بوعد وعد به لاحدى زوجاته الأربع كيكي (Kekai) التي تآمرت بإبعاد راما عن المملكة أجودهيا ليعتلى إبنها الحقيقي بهارت (Bharat) عرش المملكة في

غياب وارثه الحقيقي. فلما عاد راما استقبله أهالى المدنية بإيقاد المصابيح وتوزيع الحلويات، ومن المعتقدات أنه يمتاز عهد الإله راما باقتلاع الظلام الروحي من العالم.

تقول رواية أخرى إنه يحتفل بهذا العيد إحياء بذكرى زواج الإلهة لكشمي (Laxmi) وهي إلهة الحب والجمال مع الإله فشنو (Vishnu)، وتذكر رواية أنه بدأ الاحتفال بعيد الأنوار في ذكرى استرداد مجوهرات أدي تي (Aditi) أم الإلاهات من حوزة عفريت يدعى ناكاسورا (Nakasura) وكان الإله كرشنا (Krishna) وهو المتجسد الثامن للإله فشنو قد قتل هذا العفريت واسترد مجوهرات أدي تي منه. وفي رواية أخرى، يحتفل بهذا العيد في ذكرى الإخراج عن ١٦ ألف فتاة عزباء من أسر العفريت ناكاسورا الذي كان قد جعلهن أميرات منذ وقت طويل، ورد في فشنو بوران (Vishnu Puran) أنه كان أهالي غوكل (Gokul) يعقدون مهرجانا لـ إندرا (Indira) هو إله المطر في نهاية الريح الموسمية كل سنة وكانوا يقدمون قربانا في سنة معينة لـ غوبردهن (Goberdhan)، إله الجبال. مرة نصحهم الإله كرشنا بالابتعاد عن عبادة إندرا فانتهوا عنها، غضب الإله إندرا على هذا العصيان وأرسل فيضانا عظيما وأراد الفناء للمدنية وأهلها ولكنه استعمل الإله كرشنا قوته الإلهية لإنقاذهم عن عذاب إندرا، فرفع جبل غوبردهن كمظلة فوق مدنية غوكل وأنقذها وأنقذ أهلها من الدمار والهلاك.

تستمر احتفالات "ديباولي" أربعة أيام – في الثاني عشر إلى الخامس عشر من شهر Ashwinالهندي. بهذه المناسبة يعتني الناس بالتنظيف السنوي بيوتهم ومحلاتهم التجارية. ولهذا التنظيف أهمية بالغة من الجوانب الصحية. وتبيّض بعض البيوت بماء الجير بينما تطلى بعض الأخرى بالدهون. إنه من المعتقدات الهندوسية أن في هذا الجوء النظيف والمنور داخل البيوت وأطرافها تسر الإلهة لكشمي أن تزور بيوت عبدتها لتبارك في أنفسهم وأموالهم، فتُرك البيوت مفتوحة على مصراعيها من أول الليل إلى بزوغ الفجر استقبالات لهذه الإلهة – إلهة الثروة والمال، ويُعتقد أن تحب لكشمي الحلويات والأطباق المصنوعة من الحليب والسكر فيهتم الناس بإعداد مثل هذه المأكولات أو شرائها من الخارج لكي تكون الإلهة راضية عنهم. ونتيجة لهذه العقيدة جرت عادة حسنة بين الهندوس وهي توزيع الحلويات بين الأحباء والأقرباء والجيران، حتى أن أصحاب الدكاكين والمصانع والشركات يهتمون بتقديم الحلويات مع بعض التحائف لعمالها وموظفيها.

في الثاني عشر من شهر Ashwani يحتفل بـ ديباولي الصغير. وفي هذا اليوم، تُنظّف البيوت والمحلات التجارية ويجلس الناس طول الليل وفي الصباح الباكر تكنس ربات البيوت ويجمعن الزبالة والأثواب البالية ويقلونها على المزبلة قائلات: ليتعد الفقر والبؤس والشقاء من البيت". وفي اليوم التالي يحتفل بـ ديباولي الكبير، في

هذا اليوم تبلغ الاحتفالات والنشاطات إلى ذروتها. تزين البيوت والمحلات التجارية، تعقد حفلات العبادة (Puja) للإلهة لكشمي فيما يشارك أفراد الأسرة ويدعون أن تجلب السنة القادمة لهم السعادة والرخاء بمناسبة ديباولي. يقوم أصحاب الدكاكين والمحلات التجارية الأخرى بمراجعة حساباتهم كما هم يقفلون سجلاتهم القديمة ويفتحون السجلات الجديدة ويدبرون شؤونهم التجارية من جديد ، ويعتقدون هذا العمل من الميمون للسنة القادمة.

لهذا العيد نسبة خاصة بالإضاءة والإنارة، يضع الناس فتائل قطنية في آنية طينية مملوءة بالزيت ويشعلونها ثم يرتبونها في البيوت والمحلات التجارية وسلك المدنية وشوارعها، بيد أنه تغيرت الظروف والأحوال والآن يفضلون الشمعة والمصابيح الكهربائية على الخصوص في المدن والبلديات على المصابيح الطينية إلا أن هذه المصابيح الطينية لا تزال تحتفظ بجمالها الطبيعي في القرى والأرياف لأنه تلائم كثيراً مع ظروفها وبيئتها الأصيلية البسيطتية.

تتناثر مناظر جميلة حين تعكس هذه المصابيح في المياه الراكدة لبركة أو على السطح المناسب لنهر يمكن رؤية هذه المناظر الجميلة في مدينة وارانسي (Varanasi) مدينة المعابد وموارد المياه والأنشطة الدينية التي تصب من خلالها نهر غنغ حيث بمناسبة ديباولي تتلألأ أسرجة صغيرة على شواطئها وسقوف البيوت والمعابد وعلى موارد المياه كأنها سلسلة من النار لا نهاية لها. ومن

التقاليد أنه إذا تقع مدينة على شاطئ نهر يصنع الناس آنية صغيرة من ورق التنبول في شكل زورق صغير، تلقى فيها الزيت والفتايلة القطنية، وتشعل وتطرح على سطح الماء لتطفو واحدة تلو الأخرى بسرعة بطيئة كأنها خيوط من النار على السطح المتموج إلى حد البصر.

في المساء يجتمع أفراد الأسرة مقابل البيوت ويلعب الأطفال بمفرقعات نارية لا تعد ولا تحصى، فيملأ الجوء والسلك والشوراع بالدخان والأصوات المرتفعة المزعجة وبالإشراقة تارة تلمح على الأرض وتارة في السماء، ويستمر هذا النشاط الباهر حتى منتصف الليل وأحيانا حتى الصباح.

وفي اليوم الثالث، تعقد عبادة غوبردهن (Gobardhan) وهو إله الجبال. تصنع النساء غوبردهن من روث البقرة وفيه يستلقى الإله كرشنا على ظهره وتحيط به أرغفة صغيرة مصنوعة من الروث صغراها فوق الكبرى، وهذه الأرغفة تصور جبلا محفوفا بسيقان الأعشاب مع باقات القطن أو الخرقة على الرأس تصويراً بالأشجار، تُصنع قروض صغيرة من الروث تصويراً بالماشية يراقبها رجال من الروث وتوضع ممخضة اللبن فيه، وخمسة أقصاب السكر والأرز ويُشعل مصباح في وسطه ويُدعى إليه رعاة البقرة، وهم يركعون أمام غوبردهن وبعده يقدم لهم الحلويات للأكل.

وفي اليوم الرابع يحتفل بـ بهيا دوج (Bhaiya Dooj) وتختص هذه المناسبة بالأخوات والإخوة، وتصوم الأخوات هذا اليوم مع تمنيات الحياة الطولى لإخوتهن. في المساء تفطر الأخوات صيامهن مع المناجات والدعاء والنوايا الطيبة أن ينعم الله على أشقاءهم بحياة أطول وأسعد، أما الإخوة فيهم يقدمون الهدايا ويجدون الحب والإخلاص الطاهرين لشقيقاتهم. فهذا هو اليوم الأخير في سلسلة احتفالات ديباولي يختتم على نبرة الود الطاهر بين الأشقائق والشقيقات وعلى رسالة الحب والإخلاص والإيثار بين أفراد المجتمع الإنساني.



الإتاوة

- أرون بركاش*
ترجمة: سيد إحسان لرحمن**

من العجيب جداً أنهما لم يكونا سعيدين حتى بعد الزواج.

تحمل اسلم وانجو مشاكل كثيرة من جراء هذا الزواج ولكن انجو استمرت في المعاناة حتى بعد الزواج. بالرغم من أنها تخلصت من زوجها السكير السابق، وكذلك تخفف عنها عبء والدتها المريضة حيث أنها توفيت وترقد الآن في مدينة الموتي. ضاقت عليها الحياة في هذه الغرفة الصغيرة ويضاف إلى ذلك أنه وجد هناك مرحاض مشترك وحنفية ماء. ثم هناك زوار من القلاندرة يستخدمون هذه المرافق. لم يعتمد هؤلاء القلاندرة زواج أسلم مع أنجو والسبب في ذلك أن أسلم كان بنغاليا من بنغلاديش.

---

* كاتب هندي شهير.
** أستاذ اللغة العربية في جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

خافت أنجو أن القلاندرة قد يثيرون مشاكل لأسلم.. يضربونه ضربا مبرحا... يكسرون عظامه... أو يقتلونه.

أشار عليها صديق والدها الذي تعين ضابطا لحارة القلاندرة أن تترك هي هذه الحارة وتنتقل إلى مكان بعيد من غير أن يعرف ذلك أحد. أعجبت أنجو بهذه الفكرة وبدأت تضغط على أسلم على إيجاد مكان جديد لإقامة كوخ حتى يكونا بعيدين عن متناول القلاندرة والشبان الطائشين الذين يكونون خطراً لصفوة حياتهم. كان أسلم عاملا بسيطاً من ذوي الدخل المحدود يشتغل بكيا. في الظروف الصعبة استشار دائما صديقه ذاكر من بيهار.

ذات يوم دخل أسلم غرفته الصغيرة والسعادة تتقطر من وجهه وأعلن بصوت عال: أي حبيبتي أنجو رأيت مكانا جديدا لبناء كوخ جديد لنا. ذلك المكان يوجد على شاطئ نهر جامونا.

"على شاطئ جامونا" ولكن تلك المنطقة معرضة للسيول خلال موسم الأمطار، اعترضت أنجو على اختيار أسلم. ذاكر الذي رافق أسلم تدخل في الحديث وقال: أنا أيضاً أسكن في نفس المكان. وأنت تعرفين يا أختي أن الحصول على مكان عملية صعبة جداً في هذه الأيام. في رأي هذا المكان مناسب للغاية. أما السيول، نعم، أنت تقولين الصواب. ولكن السيول تسبب مشاكل لنا مرة في السنة... في موسم الأمطار، والبقية من الأيام الحياة في تلك البقعة خالية من المشاكل. هي المنطقة تبعد كثيراً من المدينة والحكومة لا تفكر في

إنشاء سوق أو عمارات في ذلك المكان ولذلك لا نخاف استئصالنا من هذا المكان من قبل الحكومة. هذا المكان يكون تقريباً ملكا لنا.. بدون خطر من الحكومة. ننفق قليلا من الفلوس لإنشاء الكوخ ونعيش هناك دائماً... عشرة شهور في السنة بدون خوف ولا خطر من السيول. اقتنعت انجو من الدلائل المقدمة من ذاكر وأعطت رضاها لإنشاء الكوخ على شاطئ جامونا.

ذهب أسلم برفقة ذاكر إلى البنائين لتخمين النفقات لإنشاء كوخ جديد. قبل الزواج كان أسلم وفر قليلاً من المال من مكاسبه في تلك الأيام. وفر حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة روبية أنفق منها ألفا ومئتين على زواجه مع أنجو. وعلى حسب التقدير يلزم أن ينفق ألفا وثلاثمائة روبية لإنشاء كوخه الجديد، وهكذا يتبقى عنده ثمانمائة روبية للطوارئ ولإدارة عمله المتمثل في الاتجار في الحاجات القديمة.

في غضون أسبوع أصبح كوخ أسلم الجديد جاهزاً للسكن. هذا الكوخ تميز عن غيره في التصميم والمواد المستخدمة في بناءها. رفعت الجدران الأربعة بالقراميد مع الأسمنت وبنى السقف من صفائح الأسبستو. وكذلك وجد في جدران الكوخ شباكان وباب رئيسي من الخشب ولو قديما. كان اشتراه أسلم من سوق الأشياء القديمة. يضاف إلى ذلك أنه عمل مرحاضا وحماما خاصين.

في اليوم التالي لبناء الكوخ الجديد طبخت أنجو "برياني" (الأرز مع اللحم) وأعدت طبقا من السمك المقلي المفضل لدى أسلم.

ذاكر كان معزوما على العشاء. وبعد أكل العشاء مكث ذاكر مليا يتحدث معهما. حوالي الساعة التاسعة ليلا غادر ذاكر لكوخه الذي وجد في آخر نفس الحارة. بعد مغادرته تمدد أسلم على سريره القديم ونادى على أنجو قائلا: أغلقي الباب يا انجو. لعلك تعبت كثيراً. فلنسترح الآن ويمكنك أن تغسلي الاواني غداً صباحاً، لم اذهب للعمل منذ أسبوع. يلزم أن أنام مبكراً حتى استيقظ مبكراً واذهب للعمل. فابتسمت أنجو كأنها فهمت مراده. ونشرت حصيراً بجانب السرير. نظر إليها أسلم نظرة حيرة وقال: ماذا تفعلين؟

"أنت نسّاء... قالت وهي تطفيء السراج.. "السرير يصوّت كثيراً"... كانت أنجو سعيدة للغاية وشعرت بانها مأمونة جدا بين جدران الكوخ وتحت السقف. حتى الظلام الدامس لم يرعبها. في دقائق بدأ أسلم يغط في النوم. ولكن أنجو فلم يأتها النوم. وجد لديها الآن كل شيء.. زوج قوي كاسب لا يتعاطي الخمور ولا المخدرات. لا بأس أنه أكبر من زوجها السابق سنا... هو يبلغ خمسة وثلاثين ولكنه صاحب بدن قوي ويملك بيتا يحميها من الشمس. إن سكنها القديم في حارة القلاندرة كان معرضا لأخطار عديدة وفوق كل شيء إنها خافت أن الدراويش يضربون زوجها لانه بنغالي من بنغلاديش فلم يحبوه وكذلك لم يحبوا أن تتزوج هي من بنغالي تسلل إلى بلادهم من بنغلاديش.

حارة القلاندرة لم تكن مأمونة بالنسبة لهم. كانت المارة ينظرون إلى هذه الحارة بنظرة احتقار. وجدت هناك كثيرة من

الأشياء غير المرغوب فيها ابتداء من القردة والغنم والبغول والجو في الحارة كان دائماً صاخباً حيث شغف هؤلاء الناس بضرب الطبول بأعلى صوتها وغنوا بأصواتهم القبيحة. أحب القلاندرة هذه الأشياء كثيرا واعتمدوا عليها في حياتهم. إن الأكواخ كانت صغيرة جداً. لم يكن يوجد مكان مخصص للتخلي والتحمم. عملوا كل ذلك رجالا ونساء وأطفالا في المفتوح في أغلب الأحيان حيث وجدت مراحيض مشتركة. قبل نشوب الحريق لم يوجد هناك شيء يطلق عليه المرافق العامة. ولكن قبل الانتخابات الأخيرة وجدت هناك حنفية ماء ونصب عدد من المنارات الكهربائية وكذلك قدم لهم الوعد أنه في حالة إزالة الأكواخ من ذلك المكان فإن الحكومة لا بد أن تعطيهم المكان البديل لإنشاء الأكواخ. كانت هذه الحارة وسخة جداً تفوح منها الرائحة الكريهة. إن المسؤولين الحكوميين عرفوا جيداً أن سكان الأكواخ يعملون كل شيء في المفتوح وهم لا يخجلون. والدنيا تزعل عندما ترى هوائيات التلفزيون منصوبة على سطوح الأكواخ. فإن المارة تظن بسكان الأكواخ ظنونا ويتحدثون فيما بينهم أن هؤلاء القذارى يوجد لديهم كل شيء من التلفزيون والراديو والكنبات. يسرقون الكهرباء .... يعيشون عيشة راحة.

خلال موسم الانتخابات كان رجال البلدية يرقمون هذه الأكواخ ويعدون فهارس بأسماء سكانه. وهكذا يتحول سكان الأكواخ إلى آدميين ويعتبرون من عداد المواطنين العاديين لأيام معدودة.

كبرت انجو وبدأت ترافق والديها للعمل. كان والدها يعزف على الهرمونيوم والوالدة ضربت على الطبلة وغنت أنجو بصوتها القبيح غير المتدرب. تجمع الناس في شكل دائرة يستمتعون بالنظر إلى بدنها الناضج أكثر من الاستمتاع بصوتها أو صوت الهرمونيوم أو الطبلة. مع مضي الوقت اعتادت أنجو هذه النظرات الوسخة. بعد وقت من الزمن مرضت والدتها وتحتم عليها أن تجلس في البيت عند والدتها لرعايتها. بدأ الوالد يذهب للعمل لوحده مع قرده ولكن تقلل عدد المتفرجين ومع ذلك تقلل الدخل. وفي يوم عندما كان يذهب للعمل دهسته شاحنة فمات، وبعده لأيام خرجت مع عمه للعمل وأخيراً زوجتها والدتها مع سكندر. كان سكندر يسوق الركشا. في أوائل الأيام عاملها معاملة جيدة ولكن رويداً رويداً بدأ يتعاطي المخدرات والخمور وانفق كل مكاسبه في شراء حاجاته. ولسد رمقها ورمق والدتها المريضة بدأت تخرج للعمل من جديد ترقص وتغني ولأنها كانت في عنفوان شبابها فلذلك تجمع الفضوليون حولها واستمتعوا بالنظر إلى جسمها وثدييها الناهدتين وتصوروا ما تصوروا. وبالمساء بعد طرح أجرة الطبال والذي عزف على الهرمونيوم، تبقى عندها مبلغ عشرين أو ثلاثين روبية لشراء الطعام والحاجات الأخرى، وعند ما طلبت فلوسا من سكندر للحاجات المنزلية ضربها وهددها بأوخم النتائج إن طلبت منه شيئاً.

وفي ذلك اليوم الشديد الحرارة كانت انجو تستريح في ظل شجرة. وجدت الطبلة والهرمونيوم موضوعتين بجانبها. كان الوقت

ظهراً والحرارة شديدة. جلس عمها علي وساجد على بعد قليل منها يلعبان أوراق اللعب. في نفس الوقت وصل أسلم حاملا كيسا مملوء بالحاجات القديمة على كتفيه وأراد هو أيضاً أن يستريح. رأى أنجو نصف مستلقية تحت الشجرة ورأى أن بطنها منتفخة. فهم أنها حامل وبدا أنها منهوكة من العمل الشاق في الشمس الشديدة التمازة، وضع كيسه على الأرض تحت نفس الشجرة على بعد منها وكلم أنجو:

"الدنيا نار" وربما انهكتك الشمس الشديدة ولم تقدمي عرضك اليوم.

قالت: نعم إن شاء الله بعد الظهر عندما تتخفف الشمس نقدم عروضنا.ولكن عادة في هذه الأيام لا ينجذب المتفرجون إلينا. فهم يفضلون الأفلام أو المسلسلات التلفزيونية ، قالت أنجو وهي تنظر إلى أسلم بنظرة تقدير. أخرج أسلم كباية بلاستيكية من كيسه وقال: أنت تخرجين للعمل في هذه الحالة ونظر إلى بطنها المنفوخ، فكيف يسمح لك زوجك بذلك. فماذا يعمل هو نفسه؟

"هو يسوق الركشا وينفق مكاسبه في شراء الخمر والمخدرات. إنني اشتغل لكسب الرغيف، والدتي مريضة... من فضلك أعطني الكباية... أود أن أشرب الماء".... قالت أنجو.

"إنني ذاهب لأشرب الماء وفي العودة أجيء لك بالماء، استريحي هنا. الشمس شديدة. أخاف أن تأخذي ضربة الشمس إن خرجت في الشمس في هذه الحالة؟" قال أسلم.

شكل هذا اللقاء بداية واستمر الاثنان يتقابلان كل يوم.

وفي صباح يوم توفيت والدة أنجو. بدأ سكندر يعامل أنجو بقساوة أكثر وأمضي معظم أوقاته مع شريفن أرملة صديقة. حصل شجار بينه وبين أنجو وضربها سكندر ضربا مبرحا تسبب في سقوط حملها، أخذها الجيران إلى المستشفى الحكومي حيث مكثت لحوالي أسبوع. بعد العودة من المستشفى وجدت أن سكندر كان جاء بشريفن إلى الكوخ ولم يسمح لها حتى بالدخول في الكوخ. تجمعت النساء أمام الكوخ للتفرج على الوضع والبعض منهن بدأن يشتمن سكندر وليتخلص من هذا الموقف طلق سكندر أنجو على الملأ قائلا: طلاق... طلاق.... طلاق....

في المساء وقفت أنجو بموقف أوتوبيس تنتظر لأسلم. تزوج أسلم وأنجو بعد مضي مدة العدة، تزوجا بحضور عمها علي وحصل ذلك خفية حتى لا يتسرب الخبر إلى القلاندرة الذين لا يحبون أن تتزوج بنت من طبقتهم الاجتماعية مع بنغلاديشي.

بعد عودته بالمساء من العمل رأى أسلم كل يوم جديدا في كوخه لأن أنجو حاولت جهدها أن تجمل البيت، كانت هذه المجموعة من الأكواخ مبينة من صفائح الحديد والبلاستيك. هذه المواد تصبح باردة في الشتاء. وساخنة في الصيف والحياة داخل الأكواخ تتحول إلى عذاب في الشتاء والصيف. وفي أيام الصيف

لدى نشوب الحريق تصبح الحارة السكنية جهنما وتحترق مجموعة الأكواخ كلها في ساعات وكذلك تسبب خسائر مالية وفي الأرواح. إن كوخ أسلم كان مبنيا أيضاً من نفس المواد القابلة للاشتعال. بالرغم من ذلك كانت أنجو تحاول جهدها أن تحسن الكوخ من الداخل حتى يبدو جميلاً. في مساء عندما عاد أسلم من عمله رأي أنجو لابسة ساري وقال: ما هذا يا أنجو. كنت تقولين إنك لست بنغالية فلذلك لن تلبسي ساري ولكن اليوم.... ابتسمت أنجو ولم ترد على ذلك.

استمر أسلم قائلا: والحقيقة إنك تبدين أجمل في بدلتك التقليدية. "على شأن خاطرك أنا تخلصت من كل شيء تقليدي" قالت أنجو بصوت خفيض وهي تبتسم...

بدا بيت أسلم الآن جميلا..... أحسن بكثير من البيوت في الجوار. ولأنها كانت هندية والبقية في الجوار معظمهم كانوا بنغلاديشيين فلذلك جاراتها عند لقائها على حنفية الماء لم يتحدثن إليها بصراحة واقتصرت اللقاءات على تبادل التحيات بـ: السلام عليكم. ربما السبب هو اللغة البنغالية التي لا تفهمها أنجو. عادة أنجو لم تتشاجر مع أي كان ولكنها لم تخف أيا كان. هي عرفت كيف تعامل الفضوليين والبلطجة من الرجال الذين أطلقوا ملاحظات لدى مرورهم بجانبها. إن الشخص الوحيد الذي احترمته أنجو بجانب زوجها أسلم هو صديقه ذاكر. لم يوجد هناك شخص آخر تتحدث

إليه أنجو وحيث أن اللغة البنغالية اعترضت دون احتكاكها مع جيرانها وجاراتها فلذلك صعب عليها قتل الوقت خلال النهار حيث خرج أسلم للعمل. في مساء عندما جلس أسلم يأكل عشاءه، اغتنمت أنجو الفرصة وقالت: يصعب على قتل الوقت في غيابك فلذلك أود أن أستأنف عملي أو أخرج معك أساعدك في أعمالك ولكن أسلم لم يعجب بهذه الفكرة ورفض قائلا: لا يليق بنا أن تخرجي للعمل بينما الجارات ربات المنزل. وكما أرى هناك أعمال كثيرة بالمنزل أيضا ويكفيك ذلك. فسكتت أنجو ولم تستمر في الكلام. خلال الأكل سأل أسلم: أجاء ذاكر في النهار؟ "لا، أبدا، لم أر الأخ ذاكر منذ أيام. ولكن جاء شخص آخر لمقابلتك. لا أعرفه. ولكن بدا أنه من سكان حارتنا. هو رجل سمين"، قالت أنجو.

"وبعد، استمر أسلم في استفساره".

قال الزائر إنه سيأتي بالليل أيضاً، أضافت أنجو قائلة.

بعد الانتهاء من العشاء تمدد أسلم على السرير وانشغلت أنجو بتنظيف الأواني. في نفس الوقت وهي تغسل الأواني قدم الشخص المذكور ونادت أنجو على زوجه مبلغة بأن له زائراً يود مقابلته.

خرج أسلم لمقابلة الزائر عندما رآه الزائر قال بصوت خشن: لقد أرسلني الأسطا بلبن. لم تؤد رسوم السكن في هذه الحارة.

"رسـوم السـكن فـي الحـارة، مـا هـذا الشـيء؟ إننـي أديـت اللزومية للبوليس،" قال أسلم.

"إن وددت أن تسكن فـي هذه الحارة يلزم أن تؤدي الرسوم، الكل يدفعون الرسوم" قال الزائر السمين.

"ولكـن لمـاذا؟ كـان بلغنـي رئـيس الحـارة الـبراداان أن أقـدم اللزومية للبوليس". قال أسلم.

"يلـزم أن تـؤدي ثلاثمائـة روبيـة للأسـطابلين. إن الاسطابلين أكبر وأقوى من رئيس الحارة البراداان.

"أغرب بوجهك يا لئيم. لا توجد عندي فلوس للأوغاد من أمثالكم، قال أسلم واستعد للمصارعة مع الزائر ولكن أنجو منعته من ذلك.

"طيـب، أنـا أعطـيك فرصـة التفكـير. سـوف أزورك بعـد للفلوس. لا يمكن أن تسكن فـي هذه الحـارة بـدون أن تـؤدي الرسوم للاسـطابلين، تواجـه مشـاكل ولـن تجـد شخصـا يحمـيك مـن غضـب الأسـطا". فمشـى الزائـر السمين مهددا بأنـه يعـود فـي الـيوم التالـي لتحصيل الفلوس.

كانـت أنجو خائفة إلى حد كبير، خافت أن عصابة بلبن تثير مشـاكل بالنسـبة لهـم. رأى أسـلم الخـوف فـي وجـه أنجـو وبـدأ يقـص

عليها قصص شجاعته والمشاكل التي عاناها منذ وصوله من بنغلاديش. أنني عانيت كثيراً وواجهت كثيرين من البلطجة. لا تخافي فسوف ترين أن هذا الشخص لن يعود إلينا لتحصيل الفلوس.

وحقاً لم يأت الرجل السمين في اليوم التالي. وخلال النهار استفسر أسلم عن بلبن وعرف أنه رئيس عصابة البلطجة وينفذ في هذه الأيام مدة سجنه في سجن بيهار. وهؤلاء من أعضاء عصابته يجمعون الفلوس باسم بلبن. كانوا بنغلاديشيين مثله ولكنه بعد زواجه من أنجو بدأ يظن بأنه أيضاً هندي فلماذا يخاف من هؤلاء المهاجرين غير القانونيين. ولماذا يدفع لهم الرسوم. إن مكاسبه في اليوم لا تتعدى ثلاثين روبية. وهكذا يكسب ألف وثمانمائة روبية بالكاد في الشهر. حوالي ستمائة روبية ينفقها على المطبخ والبقية لا تكفي للحاجات الأخرى من مثل الملابس والكهرباء والماء والعلاج. بالكاد تكفيه مكاسبه.

في اليوم التالي عندما عاد بالمساء للبيت رأى شخصا كثيف الشوارب يتحدث إلى زوجته أنجو. عندما رأته أنجو يقدم إلى البيت تقدمت إليه وتقدم معها الزائر الجديد إلى أسلم ونظر إليه بنظرة فاحصة وقال:

"أنت أسلم، لقد أرسلني الاسْطابلبن."

"تكذب أنت. الاسطابلبن في السجن"، قال أسلم.

وذلـك لا يقللـل مـن أهمـية الاسـطابلبن. أنـت أخونـا مـن بـنغلاديش. يلـزم أن نتسـاعد ونـتعاون والرسـوم المطلوبـة منك يـتم استخدامها لأعمـال خير وتحفظـك من مشاكل كثيرة. تحفظك من البولـيس والمـبلغ لـيس كبـيراً.... ثلاثمانـة روبـية فقـط وبعـده روبـية واحـد لكل يـوم، والكـل دفعـوا هـذه الرسـوم وكذلـك يدفعـون روبـية واحـدة عن كل يـوم. فقل يـا أخـي، متى تدفـع الرسـوم ومتى آتـى أو أرسل شخصا لاستلام المبلغ منك.

أثـار هذا الكـلام غضـب أسلم ونظـر إليه نظرة احتقار وقال: ولا بيسة. أغرب بوجهك ولن تأتي إلى باب بيتي مرة أخرى.

"لا تغضـب يـا أسلم، أنـت أخونـا، رفع الزائر طرف قميصه وظهرت سكينه متدلاة من حزام، واستمر الزائر ينصح أسلم: أنت أخونـا ولا نـود لـك سوء. هؤلاء كلهم يدفعون الرسوم المفروضة من الاسـطابلبن، لا تسـمع كـلام زوجـتك الهـندية. وان سـمعت كلامهـا وامتنعت عن دفع الرسوم للاسطابلبن فإنك توقع نفسك وزوجتك في المشاكل.

قـال: أسـلم: امـش، يـا كلـب ابـن كلـب. فلـن أدفـع ولا بيسـة. واسـمع كلامـي. إن رأيـتك مـرة أخـرى فـي جـوار كوخـي فسـوف أقطعك قطعاً وأرميها للكلاب.

"طيـب، لـن أعـود لـك مـرة أخـرى، ولكـن يلزم أن تعد أيامك من الآن، قال ذلك أبو الشوارب الكثيفة وغادر المكان.

امتقع لون وجه أنجو من الخوف. بدأ أسلم يسلي أنجو قائلا: لا تخافي يا حبيبتي، يوجد هناك قانون والبوليس وفوق ذلك كله ربنا معنا.

قالت أنجو: البوليس لن يساعدك. كانت الجارة تقول إن البوليس يلقى القبض عليك إن لم تدفع الرسوم للاسطابلين. وسيجنونك لأنك لست هنديا وتسللت إلى هذه البلاد عن طريق غير قانوني. لا تنس أنت من بنغلاديش. لا تخافي يا أنجو ولا تسمعي كلام هؤلاء النساء. تعالي ندخل. أنا جوعان. أعطيني الطعام.

جلس أسلم يأكل العشاء ولكنه كان يفكر إن أخرجه البوليس من هذا المكان فاين سيذهب . فلماذا لم يولد في الهند بينما ولدت زوجته في الهند وصديقه ذاكر. وهنا في الهند لا أسرق بيوت الناس. إنني أعمل لأكسب قوتي وقوت زوجتي. قد ينتمي الإنسان إلى الهند أو إلى بنغلاديش أو إلى مكان آخر... إنني لست ثقلا على أحد. اجتهد كثيرا. إذن فلماذا يلقى البوليس القبض على ويعيدونني إلى بنغلاديش. يلزم أن استشير ذاكر في هذا الموضوع.

في اليوم التالي في وقت الظهر عندما كانت أنجو متمددة على الفراش إذ دق الباب. فتحت أنجو الباب ورأت رجلا أبا اللحية وإمرأة في ملابس نظيفة جداً. فقالت أنجو: ما عندنا أطفال ولا نحتاج إلى حقن ضد الأمراض.

ضحكت المرأة وقالت: انا زيبا وهذا زميلي أميت بانداري. نحن من صحيفة . نود أن نتحدث إليك قليلا.

أدخلتهما أنجو في الكوخ وأجلستهما على السرير وجلست مواجهة إياهما على الأرض.

"ما أسمك؟" سألته زيبا وأخذت الاستعداد لتسجيل المعلومات في دفتر وجد لديها.

"لا تخافي"، قولي لنا اسم زوجك، وماذا يعمل؟

ولكن .:. هذا كله لا يفضينا إلى مشاكل ، سألت أنجو.

لا. لا. أبدا. أكدت لها زيبا. وقعت نظرة زيبا على الطبلة الموضوعة في زواية الكوخ وسألت : من يضرب على الطبلة؟

"كنت أضرب عليها. أنا أصلا من القلاندرة. قبل الزواج مع أسلم كنت اشتغل قلندرة... ارقص وأغني لكسب قوتي وقوت والدتي المرحومة. إن زوجي بنغالي من بنغلاديش. يشتغل روبا بكيا، وهذا كوخنا الجديد. بنيناه قبل أسبوعين، قالت أنجو "والآن تركت العمل وأنت ربة المنزل فقط"، سألت زيبا.

"أي نعم، مرضت أنا أيضاً وأصبحت ضعيفة البدن. زوجي أسلم لا يسمح لي بالخروج. ولكن بعد أيام عندما أصبح قوية، فسوف اخرج أنا أيضاً للعمل، قالت أنجو.

"هبي أن الحكومة تزيل كوخكم"، فإذن ماذا تفعلون؟ سألت زيبا.

"لا أظن أن الحكومة تزيل الأكواخ من هنا، هذا المكان ليس لائقا لبناء البيوت للأغنياء. وإن أزيلت هذه الأكواخ فأين ستجدون خداما رخيصين لأشغالكم المنزلية وكذلك الحماليين وسواقي الركشا"، قالت أنجو.

"يعني تقولين إن وجود الأكواخ ضروري"، تدخل أميت لأول مرة في الحديث.

"هذا ليس ما أقوله أنا. ألا ترى مجموعة من الأكواخ بجانب بكل مجموعة من البيوت الجميلة"، قالت أنجو.

ومن رئيسكم؟ هل هو ذلك البراادان؟.

"البراادان؟ لا، الرئيس الحقيقي هو بلبن البلطجي"، قالت أنجو.

" لا أدري. لا يهمني هذا الموضوع. أصلا لا توجد لنا بطاقة التموين فكيف ندلي بالصوت؟ مدام، أيمكنك أن تساعديني في عمل بطاقة تموين لنا؟ سألت أنجو.

لم تدر زيبا كيف ترد على هذا السؤال. قالت أننا نكتب عن مشاكلكم في الصحيفة فربما ذلك يساعدكم ويمكن لكم أن تعملوا بطاقة التموين بعد ذلك.

"مدام، إن زوجي من دولة أخرى. إنه إنسان طيب. يجتهد كثيرا للمعيشة. فهل يعيده البوليس إلى دولته؟ سألت أنجو.

رنت زيبا إلى أميت وقالت: إنه أكيد من بنغلاديش.

"لا، يمكن له أن يبقى في الهند على أساس زواجه معك"، أكد لها أميت.

"ابتسمت أسارير وجه أنجو وتحركت إلى اتجاه الموقد".

"ماذا تفعلين؟ نحن في عجلة".

"مدام، لازم تشربوا شاي".

انتصبت زيبا واقفة. همس أميت في أذن زيبا: لم توجهي إليها أسئلة اقتصادية.

فقالت زيبا: إنك لا تعرفهم جيداً. فلماذا يأتون هؤلاء إلى المدن. أنهم يسيئون إلى سمعة مجتمعنا المثقف والمتحضر. ألم تسمع الذي قالته أنجو عن ضرورة وجود الأكواخ؟

"ولكنها حقيقة مرة"، قال أميت بصوت خفيض، "طيب، فلنعد اليوم، هذه المعلومات تكفينا اليوم.

وبالليل عندما عاد أسلم للبيت من العمل فأول خبر بلغته أنجو هو أنه أصبح هنديا على أساس زواجه معها. لسماع هذا الخبر

تنهد أسلم الصعداء. إذن، حتى ولو شكا رجال بلبن لبوليس فأنهم لن يستطيعوا أن يعيدوه إلى بنغلاديش. جاره الأخ رحمان نصحه أن يعطي الرسوم لبلبن وقال: حتى أن صديقك ذاكر فعل ذلك. وكذلك يدفع روبية عن كل يوم. نحن كلنا نفعل ذلك. هم أقوياء جداً. لا يمكن لأحد أن يساعدك في هذا الموضوع. إن البراداان هو رئيس الحارة في الاسم فقط والذي يملك ويدير هذه الحارة هو بلبن عن طريق رجاله. ود أسلم أن يستشير صديقه ذاكر ولكن لم تسنح له الفرصة. ولأيام لم يأت أحد لمطالبة رسوم السكن في الحارة. فظن أسلم أن رجال بلبن خافوا منه. وبصفته هندياً الآن هذه الأراضي على شاطئ جامونا ملكه هو وليس ملكا لبلبن البنغلاديشي. إذن لماذا يدفع رسوم الانضمام إلى الحارة.

ولكن أخطأ أسلم. في اليوم التالي عندما دخل بيته رأى كل الأواني مبعثرة هنا وهناك في الكوخ... وكذلك الأشياء الأخرى وانجو جلست خائفة في زاوية تبكي.

"حوالي الساعة عشرة دخلوا البيت وعملوا هذا كله. سبوني وسبوك وقالوا بأنهم يقتلونك. قالوا أنت جميلة ويمكنك أن تكسبي من بيع جسمك لدفع الرسوم والثلاثين روبية شهريا، قالت أنجو.

"من كان هؤلاء؟ هل كانوا رجال بلبن؟" قال أسلم في لهجة غضب.

"نعم ومن غيرهم. ارجو أن تدفع لهم الفلوس" توسلت أنجو.

"لا أبدا، لن أدفع لهم ولا بيسة واحدة" قال أسلم.

"هل تدفع الفلوس عندما أكون قدمت"، قالت أنجو وهي تبكي.

كان الوقت متأخرا في المساء. توجه أسلم إلى كوخ ذاكر الذي وجد في الطرف الآخر للحارة. وجد كوخه مقفلا. قال لجاره: بلغه أن جئت لمقابلته. تقول له يأتيني فور وصوله.

كان الشتاء بدأ يطرق على الأبواب. كان أسلم وأنجو ينامان داخل الكوخ ملتفين ببطانية قديمة، كان الوقت حوالي الساعة الثانية إذ شعر الاثنان صعوبة في التنفس. خرج الاثنان من داخل البطانية ورأيا أن الكوخ كان ملأه دخان كثيف. خرج الاثنان من داخل الكوخ وبدآ يحاولان إطفاء الحريق ولأن الهواء كان رطيبا فلذلك تمكنا من إطفاء النار بسهولة.

قالت أنجو: لابد أن النار اشعلها هؤلاء الاغاد.

في الصباح قالت أنجو لأسلم: يلزم أن ندفع الفلوس لهؤلاء الاوغاد. أنت تخرج للعمل ولا تدري كيف أنفق نهاري الطويل. أتوقع مصيبة كل ثانية. أخاف انك إن لم تدفع الفلوس فهم يقتلوننا. الحمد لله الذي نجانا من الموت الأكيد البارحة. ولكن هذا لا يحصل كل مرة.

"من أين أدفع لهم الفلوس. بالكاد أتمكن من إدارة البيت. إن المبلغ الموجود لدى هو كل رأسمالي. أوظفه في عملي. إن سلمت لهم هذا المبلغ فماذا سأفعل؟ لا تخافي. أنني أعود اليوم مبكرا. أنا سامر على ذاكر اليوم واكلمه في الموضوع".

في المساء حوالي الساعة الرابعة ذهب أسلم إلى كوخ ذاكر. ولكنه لم يكن موجوداً. عرف من جيرانه أن ذاكر يرجع للمنزل متأخرا و يخرج لعمله مبكراً في هذه الأيام.

فتوجه أسلم إلى سوق الحارة واشترى حاجات المنزل من الأرز والعدس وما إلى ذلك. كان متوجها إلى بيته إذ ناداه من وراء الأخ رحمان، توقف أسلم وسلم عليه. بعد تبادل التحيات سأله رحمان: ماذ عن رسوم السكن مع بلبن؟ هل انحلت المشكلة؟

"لا. ما انحلت المشكلة، ولن تنحل. انهم اشعلوا النار في كوخي بالبارحة. الحمد الله الذي نجانا من الموت الأكيد. الآن أزمعت على أنني لن أدفع لهم ولا بيسة واحدة"، قال أسلم.

"لا يا أخي المحترم. أنهم ليسوا أناسا طيبين. يلزم أن تصطلح معهم"، نصحه رحمان.

"لا يمكن. إنهم سبوا زوجتي أيضاً. الآن ، يلزم أن اتخذ إجراءات. وصل أسلم بيته ورأى الباب مفتوحا. دخل البيت ورأى أن أنجو كانت تبكي. عندما رأته يدخل الباب بدأت تصرخ وتقول،

قدم ثلاثة رجال ومسوني. وقالوا انهم في المرة القادمة يعملون ما يعملون. يلزم أن تدفع لهم الفلوس أو تتنازل عن الكوخ. يلزم أن نهرب من هذا المكان"، قالت أنجو.

"ماذا فعلت؟، سألها أسلم، "لم تناد آخرين من الجيران لاعانتك".

"ناديت عليهم وأطلقت صراخات بأعلى صوتي اطلب المعونة. ولكن لم يتقدم أحد لمساعدتي خوفا من رجال بلبن"، قالت أنجو.

بعد أيام حدثت حادثتان في الحارة غيرتا منهج حياة أسلم. صباح يوم وجد الشرطي المتعين في الحارة ميتا وراء كوخ بلبن الذي وجد بجوار كوخ البرادان.

فتحرك البوليس والقوا القبض على رجال بلبن وساقوهم إلى السجن. وفي يومين أو ثلاثة بعد هذا الحادث نشب حريق في كوخ بلبن واحترق كليا. منذ ذلك اليوم بدأ سكان الحارة ينظرون إلى أنجو وأسلم نظرة خوف واحترام. كانت دنيا أسلم تغيرت كليا. لم يخرج أسلم للعمل منذ ذلك الوقت. بقي بالبيت ليل نهار. يجلس على سرير أمام باب بيته يشرب النارجيلة والمارة يسلمون عليه ويقدمون له احتراماتهم. بدأ ذاكر يقدم إلى أسلم كل مساء يجلس معه على السرير ويتحدث إليه بصوت خفيض. ذات يوم قالت أنجو لذاكر: إن

صديقك لا يخرج للعمل هذه الأيام. حتى متى يجلس هكذا وكيف ندير المنزل ويضاف إلى ذلك أنني أتوقع.... إن صديقك يصبح و الدا في القريب. فضحك ذاكر وقدم لها كيسا مملوء بالنقود وقال: هذا هو دخل هذا الشهر، لم يتردد أحد أن يدفع الاتاوة للاسطا أسلم.



THAQAFAT-UL-HIND : Statement of ownership and other particulars.

FORM IV
(See Rule 8)

1.	Place of Publication	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
2.	Periodicity of its Publication	:	Quarterly
3.	Printer's Name	:	Pavan K. Verma
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
4.	Publisher's Name	:	Pavan K. Verma
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
5.	Asstt. Editor's Name	:	Rizwanur Rahman
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
6.	Name and address of individuals who own the newspaper	:	Director-General Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002

I, Pavan K. Verma, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Sd/- Pavan K. Verma
Signature of Publisher